موجز تاريخ التسامح
فى الغرب

أ.د. زينب عبر العزيز

2010

"لن تصل الحضارة إلى كمالها إلا إذا سقط آخر حجر من آخر كنيسة على آخر قسيس"!

إميل زولا

كاتب وأديب فرنسى

(1902-1840)

(وارد فى كتابه **"الأناجيل الأربعة"**)

موجز تاريخ التسامح فى الغرب

مقدمة

من يتأمل الأحداث والوقائع على مر التاريخ، في فترة آخر ألفي عام فيه، وهي الفترة التي تتضمن نشأة المسيحية وتطورها عبر العصور، لا بد وأن يُذهل من كَمّ المذابح التي واكبت مسيرتها، وكَمّ تلك الدماء التي أسالتها سواء بين أتباعها أو بين الشعوب الأخرى.. لذلك يجمع المؤرخون حاليًا على أن المؤسسة الكنسية لم تعرف التسامح في حياتها.. بل وما أكثر المواقع الإلكترونية التى أصبحت تكشف عن ذلك بمختلف اللغات إعتمادا على الوثائق الرسمية والأبحاث الجديدة!

فما عرفَته ومارسته هذه المؤسسة العتيدة هو الاضطهاد كفعل مكمّل لعملية عدم التسامح، الاضطهاد بمعنى اقتلاع الآخر. وذلك كي تحافظ على ما قامت به من تحريف وتزوير لترسي قواعد تلك العقائد التي اختلقتها عبر المجامع على مر العصور والتى لا يعرف عنها السيد المسيح أي شيء.. لذلك لجأت إلى القوة والعنف دفاعًا عما أرسته سواء بمحاربة الأفراد واقتلاعهم أو حتى الشعوب، في العديد من الأحيان، عن طريق الحروب الدينية ومحاكم التفتيش والحروب الصليبية من أجل فرض كاثوليكية روما على العالم. إذ إن نفس كلمة "كاثوليك" باليونانية (كاثوليكوس) تعنى "عالمى" . وهو اللفظ الذي اختاروه لمسيرتها الدامية عبر القرون منذ تم الإعتراف بها ديانة رسمية فى الإمبراطورية الرومانية سنة 325..

ولقد ظهرت كلمة "كاثوليك" لأول مرة فى كتابات كليمون السكندرى (150–216)، فى بداية القرن الثالث الميلادى للتعبير عن دور الكنيسة "العالمية". أى أنه منذ أولى خطواتها وهذه الكنيسة تسعى إلى فرض سيادتها على العالم بأى وسيلة وبأى ثمن..

ولكي ندرك في عجالة السبب الدفين خلف كل هذا الإصرار على اقتلاع الآخر لا بد من العودة إلى تلك البداية في عجالة:

احتل الرومان فلسطين عام 64 ق. م. ووُضعت تحت الحماية الرومانية، وكانت فرق اليهود منقسمة إلى العديد من الفرق المتناحرة دينيًّا وسياسيًّا. وفي عام 66م ثار اليهود وذبحوا الحرس الروماني في القدس، وامتدت الثورة إلى باقي المقاطعة، فأرسل الرومان فرقًا من الجيش لسحقهم، وظلت فلسطين تحت الحكم الروماني حتى الفتح الإسلامي. وفي سنة 70م قام طيطس بطرد اليهود تمامًا فيما عُرف بالشتات ومُنعوا من دخول مدينة القدس.

ومن هذه الفرق المشتتة والتي استقرت في روما وامتدادها في آسيا الصغرى واليونان ومدينة الإسكندرية انبثقت المسيحية. ويأتي موقع حياة يسوع التبشيرية، المختلف على مدتها فى نفس الأناجيل، من بضعة أشهر إلى ثلاث سنوات، في فترة من القلاقل الصاخبة، والتي كان اليهود فيها قد حادوا عن رسالة التوحيد، لذلك يقول يسوع: «**لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة**» (متى 15: 24)، ووعد بأن كل ما تحدث عنه وعن الملكوت سوف يتم أثناء حياته. ولم تتحقق أية نبؤة من النبؤات التي تنبأ بها حتى اليوم. وهو ما يفسرعدم كتابة الأناجيل آنذاك، فقد كانوا في انتظار تحقيق الوعود والنبؤات ونهاية العالم التى كانت من المفترض ووفقا للأقوال المنسوبة ليسوع وشيكة الحدوث بل وفى حياته..

لذلك يضع المؤرخون تواريخ بداية الأناجيل فيما بين أعوام 80م و120م. وهو ما يؤكد أن ما من واحد من كتبتها معاصر للأحداث أو شاهد عيان، وما من واحد منها كتبه الأسم الذي أُلصق به.. وقد وصل عددها إلى أكثر من خمسين إنجيلاً، ويقول البعض إلى مائتين؛ لذلك قام البابا داماز في القرن الرابع بإسناد عملية تنقيتها وضمها وإنتقاء الأنسب من وجهة نظر المؤسسة الكنسية، إلى القديس جيروم ليخرج بالشكل الذي هي عليه. ولا غرابة في ذلك فهي في الأصل كانت مجرد كتابة قصة، كتابة قصة متناقلة من الذاكرة. وهو ما يقوله لوقا في بداية إنجيله: «إذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة في الأمور المتيقنة عندنا كما سلمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معاينين وخدامًا للكلمة رأيت أنا أيضًا؛ إذ تتبعت كل شيء من الأول بتدقيق أن

أكتب على التوالي إليك أيها العزيز ثاوفيلس لتعرف صحة الكلام الذي عُلِّمْت به" (1:1-4). أي أن الكلام الوارد في «قصته» عُلّم به ولم يعاصره، وإن إنجيله مجرد قصة من القصص التى تمت كتابتها فى هذا الموضوع بأثر رجعى..

وحتى القرن الرابع، كانت الفرق اليهودية غارقة في تطاحنها ومنها الفرقة التي اتخذت يسوع رئيسًا أو نسباً لها. وقد ظهرت كلمة «كاثوليك» لأول مرة في كتابات كليمون السكندرى في مطلع القرن الثالث الميلادي (عام207) للتعبير عن دور الكنيسة «العالمية»، للتفرقة بين فريق «المسيحيين»، الذين اتخذوا يسوع مثالا لهم، وباقي الفرق التي أُطلق عليها «الهراطقة»، بمعنى المنشقون عن تعاليم الكنيسة الكاثوليكية! أى أن الكنيسة لم تولد كاثوليكة منذ أول يوم كما يشيعون، وإنما أتخذت هذه الصفة فى مطلع القرن الثالث. وهو ما يكشف عن الهدف الأساسي منذ أولى الخطوات: فرض سيادتها وتنصير العالم وفقًا لكاثوليكية روما.

وكان الرومان يتقبلون تلك الفرق، إلا عندما تثير القلاقل أو محاولة المساس بالحكم، ويُعد نيرون، إمبراطور روما من 54 إلى 68 م أول من حاول محاصرة فرق اليهود المسيحيين. ثم تعرضوا لحملات قاسية أيام الإمبراطور دسيوس عام 250 م، وكانت آخر حملة قام بها الإمبراطور ديوكلسيان عام 302م. وفي عام 311 م أصدر جالريوس «مرسوم التسامح»، قبل وفاته بقليل، والذي بمقتضاه أصبح يحق للمسيحيين ممارسة شعائرهم مع باقي الديانات الأخرى السائدة آنذاك. وتواصل الشغب والإصرار بين هذه الفرق المتناحرة بحيث اضطر الإمبراطور قسطنطين إلى إصدار الوثيقة المعروفة باسم «مرسوم ميلانو» ليؤكد انه سماح لهم بممارسة شعائرهم كالديانات الوثنية الأخرى، وذلك في عام 313م.

ثم حاول الإمبراطور جوليان (361 – 363) الحد من نفوذ المسيحيين وإعادة الديانات الوثنية، وارتد هو عن المسيحية وقام بإصلاحات واسعة في الدولة وبدأت المسيحية تتراجع بنفس السرعة التي انتشرت بها، لكن الكنيسة الرومية رتبت قتله بيد حارسه للتأكد من استبعاده عن طريقها لتواصل مسيرتها للإستيلاء على السلطة. (لوسيان هيلديه: "**الأباطرة الرومان**")..

وفي عام 381 أعلن الإمبراطور تيودوز المسيحية ديانه رسمية وحيدة للدولة وأرسل جيشه لتعقب أتباع الأسقف أريوس الرافضين لتأليه المسيح. وخلال فترة حكمه أصدر 15 مرسومًا لمحاربة الهراطقة، وفرض على مجلس الشيوخ التخلي عن الإله جوبيتير وفرض عليهم القَسَم بالولاء ليسوع. وهو ما يكشف عن ان الديانات الوثنية كانت لا تزال سائدة فى روما ويُحتفى بآلهتها حتى القرن الرابع، وأن المسيحية لم تكن منتشرة فى العالم بأسره كما يوهمون! وفي عام 390 أصدر مرسومًا يمنع فيه أية ديانة أخرى في الإمبراطورية. ويقول لوسيان هيلديه في بحثه عن «**الأباطرة الرومان**»: " وسرعان ما انطلقت كراهية المسيحيين لاقتلاع وهدم المعابد الأخرى بطول البلاد وعرضها».. كما قامت تلك الأيادي بإبادة كافة النصوص المعارضة أو التي لا تتمشى معها بحيث لا توجد أي معلومة عن يسوع في هذه القرون الأولى إلا ما تضمّنته الأناجيل وباقي الكتب المكملة للعهد الجديد.. أى ما صاغته المؤسسة الكنسية أو ما يتمشى مع النسق الذي حددته.

وفي القرن السابع، ومع ضياع الإمبراطورية الرومانية، أصبح بابا روما رئيسًا لكل الأراضي المسيحية بفضل وثيقة «هبة قسطنطين» المزورة. وسوف نتناولها بشيء من التفصيل فيما بعد. وفي نفس ذلك القرن السابع، وبعد أن كانت المؤسسة الكنسية لا تواجه سوى خطين أساسيين من «الهراطقة»: اليهود والوثنيين، أضيف إليهما الخط الثالث، ألا وهو: الإسلام! الإسلام الذي أتى مصوبا وكاشفا لكل ما قامت به تلك المؤسسة من تحريف وتزوير وشرك بالله عز وجل، فى النصوص وفى الرسالة..

وفرضت المؤسسة الكنسية ما عُرف بعصر الظلمات، وهي قرابة ألف عام من التعتيم ومنع التعليم إلا على بعض قساوستها، ومنعت قراءة الأناجيل، وفرضت محاكم التفتيش والحروب الدينية والصليبية. وننتقل مرورًا بعصر النهضة وعصر التنوير لنصل إلى أهم مجامعها قاطبة وهو: مجمع الفاتيكان الثاني المنتهى عام 1965. إذ إنه يمثل نقطة فارقة في تاريخ مجامعها المسكونية والعامة. فلأول مرة تخرج الكنيسة عن تعاليم الدين الذي نسجته، وعن معاداة السامية التي أوجدتها منذ

صياغة أناجيلها، لتقوم بتبرأة اليهود من دم المسيح خضوعًا لسلطان يبدو وكأنه أعلى من هيلمانها..

وقد تمخض هذا المجمع عن ثلاثة أنواع من الوثائق التنظيمية الدينية، والإجتماعية، والسياسية التاريخية. ومن أهم هذه القرارات إجمالا فيما يعنى هذا البحث:

1 – تبرئة اليهود من دم المسيح، رغم مخالفة ذلك تماما للعقيدة وللنصوص الشديدة الوضوح. إذ يتضمن العهد الجديد أكثر من مائة آية صريحة تتهم اليهود بقتل السيد المسيح، كما يقولون..

2 – إقتلاع اليسار فى عقد الثمانينيات (من القرن العشرين)، حتى لا تبقى اية أنظمة بديلة للرأسمالية الإستعمارية.. وما أكثر ما كتب عن تفاصيل اختلاق حزب " تضامن" فى بولندا، واختلاق "العام المريمى" لتأجيج مناخ دينى مفتعل، أو عن المبالغ التى أُهدرت لتنفيذ هذه المخططات. بل وما أكثر ما كتب عن فضيحة بنك أمبروزيانو التابع للفاتيكان فى إيطاليا والذي تولى تمويل هذه العمليات وأفلس بعجز مليار ونصف تقريبا من الدولارات، بل هى فضيحة تورط فيها أيضا المحفل الماسونى هناك والمافيا الإيطالية .كما سوف نرى فيما بعد!

3 – إقتلاع الإسلام فى عقد التسعينيات حتى تبدأ الألفية الثالثة وقد تم تنصير العالم!

4 – توصيل الإنجيل لكافة البشر.. وهي الصيغة المضغمة التى تم إعلانها آنذاك، ثم قام البابا يوحنا بولس الثانى عام 1982 بتوضيحها فى خطاب رسمى معلنا ضرورة تنصير العالم، موضحا أن ذلك قرار لا رجعة فيه (لأنه قرار مجمع مسكونى، أى مجمع عالمى)!

5 – توحيد كافة الكنائس تحت لواء كاثوليكية روما، وإنشاء لجنة خاصة بذلك، رغم الخلافات العقائدية الجذرية بينها. وعندما لم يتم ذلك، راح البابا يوحنا بولس الثانى يحثهم قائلا: " إن هذه هى الوسيلة الوحيدة للتصدى للمد الإسلامى" (وارد فى كتاب: **الجغرافيا السياسية للفاتيكان**).

6 – فرض عملية التبشير على كافة المسيحيين، الكنسيين منهم والمدنيين، وهي أول مرة فى التاريخ تقوم فيها الكنيسة بإصدار قرارات مكتوبة ومعلنة خاصة بالمدنيين الذين لا يندرجون رسميا فى الهيكل الكنسى، وبالتالى استخدام كافة المجالات المدنية فى عمليات التبشير والتنصير.

7 – استخدام الكنائس المحلية فى عمليات التبشير والتنصير، الأمر الذي يضع الأقليات المسيحية فى موقف عدم الأمانة أو الخيانة للبلد الذي يعيشون فيه..

8 – فرض بدعة "الحوار" كوسيلة للتبشير وكسب الوقت حتى يتم التنصير بلا مقاومة تذكر بينما تتوالى التنازلات بالتدريج من جانب المسلمين..

9 – إنشاء لجنة للحوار برئاسة الكاردينال آرنزى، وهو ما يوضح أهمية الحوار فى مفهومهم أو فيما يخططون له، فالكاردينال هى الرتبة السابقة لرتبة البابوية.

10 – إنشاء لجنة خاصة بتنصير العالم برئاسة الكاردينال يوسف طومكو. وقد قام أعضاء اللجنتين بإصدار وثيقة مشتركة فى 1991/6/20 بعنوان: "**حوار وبشارة**" تتضمن التوجيهات اللازمة لعملية التنصير الدائرة منذ ذلك الوقت فى تصعيد متواصل وكيفية إدارتها فى مختلف البلدان.

وإضافة إلى إعلان البابا يوحنا بولس الثانى، فى سنة 1982 م، عن ضرورة تنصير العالم، فقد أصدر خطابا رسوليا بعنوان: **عشية الألف الثالثة**، فى عام 1995، يعد بمثابة خطة خمسية لتنصير العالم قبل حلول مطلع الألفية الثالثة. وقد وصفته آنذاك صحيفة "**لو موند ديبلوماتيك**" الفرنسية قائلة: "أنه يسير على الإسلام بوابور ظلط لدكه تماما"! وذلك إضافة إلى إقامة المؤتمرات العالمية الكبرى للتنصير..

وحينما لم يتم تنفيذ ذلك الترتيب قام مجلس الكنائس العالمي في يناير 2001 بإسناد هذه المهمة إلى الولايات المتحدة الأمريكية لتنفيذها، بحكم أنها السلطة العسكرية المتفردة في العالم. فاختلقت مسرحية الحادي عشر من سبتمبر من نفس ذلك العام لتتلفع بشرعية دولية لاقتلاع الإسلام والمسلمين خلال الفترة الجديدة التي تم تحديدها بهذا العقد الذي أطلقوا عليه «عقد اقتلاع العنف» أو الشر، الذي هو الإسلام في نظرهم، والذي من المفترض أن يتم بحلول عام 2010!!

وهو ما يفسر سرعة إيقاع المعارك التي تنبثق في كل مكان في العالم، فى مختلف القطاعات، وسر وجود فرق المبشرين التي تواكب الفرق العسكرية، ولذلك يتم استخدام كافة المجالات للتبشير كالثقافة والعلوم والاقتصاد ووسائل الإعلام والسياحة والصحة والمنظمات غير الحكومية إلخ.. وهو أيضا ما يفسر العمليات الإستفزازية التى تشرئب بصورة واضحة كالرسوم المسيئة للرسول عليه الصلاة والسلام، أو الإساءة للإسلام، أو مهاجمة الحجاب، ومنع إقامة المساجد فى مختلف البلدان الأوروبية – وكلها تتكاتف لتضييق الخناق على الوجود الإسلامى فى الغرب المسيحى المتعصب.

تلك هى باختصار شديد الخلفية التاريخية لمسيحية الغرب ومفهوم التسامح في نظر الغرب المسيحي المتعصب وعقيدته، القائمة على اقتلاع الآخر بأي وسيلة وبأي ثمن، حفاظًا على كل ما قامت به الأيادى العابثة من تحريف وتزوير على مر العصور، وما أكثر المراجع التي أصبحت تتناول هذه الحقائق التي أدى كشفها إلى الإلحاد في الغرب وإبتعاده عن الدين.. وكلها أبحاث لم يتوقف سيلها منذ ما أطلقوا عليه "عصر التنوير" ، كرد فعل لعصور الظلمات التى فرضتها المؤسسة الكنسية على الأتباع، لأكثر من الف عام، وانعكست أصداؤها على جميع سكان العالم، بسبب ما يُفرض عليهم من عمليات تبشير وتنصير لا تكل ولا تكف عن استخدام شتى الوسائل والمغريات أو التهديدات ولىّ الأعناق ، كالتحكم فى المعونات والتدخل فى الشؤون الداخلية للبلاد، وهو ما قاله بوضوح شديد البابا يوحنا بولس الثانى فى خطابه الرسولى السالف الذكر، وخاصة التلاعب بالأقليات التابعة للكنيسة . وذلك على سبيل المثال لا الحصر، فالواقع المُعاش وأحداثه المريرة الشديدة الوضوح، أكبر من أن تضمه هذه الصفحات ..

لذلك لن نكل عن لفت النظر والتأكيد على أهمية مجمع الفاتيكان الثانى الذي يمثل بالفعل الإطار العام الذي تدور بداخله وبمقتضاه مختلف الأحداث الرامية إلى تنصير العالم، وفقا لكاثوليكية روما، وإلى اقتلاع الإسلام والمسلمين وأية ديانات أوعقائد أخرى..

الفصل الأول

بالسيف والنار

- الآخر فى الحضارات الغربية
- التاريخ الدموى للكنيسة
- التاريخ الإجرامى للبابوية
- البابوات والإسلام

الآخر في الحضارات الغربية

لكي نفهم موقف الغرب المسيحي من «الآخر» لا بد من الرجوع إلى أولى خطوات المسيحية عبر التاريخ، فعلى حد قول فولتير، الفيلسوف الفرنسي، «أن المسيحيين، دونًا عن باقي البشر، هم أقل الناس تسامحًا». فقبل حتى أن يُعرف اسم «المسيحية» كانت هناك قرابة عشرين طائفة دينية في منطقة اليهودية، و«كانت الحكومة الرومانية تزدريهم لغموضهم ولأنهم يتناحرون في الأقبية التي كانوا يزحفون فيها». ولقد ولدت المسيحية وسط العديد من الفرق اليهودية المتناحرة كالسامريين والفارسيين والصادوقيين والأسينيين وغيرهم. وما أن انفصلت عنهم واستقلت وتم الاعتراف بها كديانة ضمن الديانات الوثنية السائدة، حتى أصبح هدفها هو اقتلاع الآخر. والآخر هنا يعني كل من يخالف العقائد والتعاليم التي بدأت تنسجها. ويقول فولتير: «لقد رأى المسيحيون أنه يتعين على كل الأرض أن تصبح مسيحية. لذلك كانوا أعداء لكل الأرض إلى أن يتم تنصيرها» (القاموس الفلسفي: صفحة 363).

ويتساءل فولتير: «**لماذا ظللنا نذبح بعضنا بعضًا بلا هوادة تقريبًا منذ مجمع نيقية الأول؟**» وهذا التساؤل الذي يطرحه فولتير في باب «التسامح» من "**القاموس الفلسفى**" يلخص مسيرة التعصب الكنسي منذ أولى خطواته. فقد قام الفريق الذي سيعرف فيما بعد باسم المسيحيين باضطهاد ترتوليان وبراكسياس وأوريجين ونوفات ونرفسيان ودونا، والعديد غيرهم، حتى قبل أن يتم الاعتراف بالمسيحية ديانة رسمية للدولة! وما أن أعلنها قسطنطين ديانة رسمية للدولة حتى بدأ التناحر بين الأساقفة أطنازيوس وأوسبيوس. ومنذ ذلك الوقت غرقت الكنيسة في الدماء حتى يومنا هذا..

فلقد عانت الكنيسة من الانقسامات العقائدية بينما كانت لا تزال في المهد وظلت منقسمة حتى أيام اضطهاد الأباطرة الرومان لها. فما أبعد مسيحية اليوم التي تشكلت في القرن الرابع، عن تلك التي نطالع أولى تعاليمها في بعض مما نسب إلى يسوع. ولا تزال تعاني من الانقسامات العقائدية واللاهوتية حتى هذه اللحظات..

ومن متابعة الحركة النقدية للمسيحية، تلك الحركة التي بدأت مع بدايات عصر التنوير، عندما راح بعض العلماء يراجعون الترجمات الأولى للكتاب المقدس ويكتشفون الفَرق بين النص اليوناني – الذي يعتبرونه الأصل، وليس بالأصل، فقد كانت لغة يسوع الآرامية.. ثم تُرجم النص من اليونانية إلى اللاتينية، وتم تعديله عدة مرات، بل يصل التعديل من طبعة إلى أخرى، بحيث نطالع في الموسوعة البريطانية طبعة 1972 أن أخطاء الترجمة والتحريف والتعديل تصل إلى مائة وخمسين ألفٍ، بينما رفعها البعض في أواخر القرن العشرين إلى الضعف، أى إلى أكثر من عدد كلمات الأناجيل نفسها!

ولا يسع المجال هنا لتناول تاريخ صياغة الأناجيل وما تم بها من تحريف، ويكفي أن نشير إلى ذلك التيار الذي أُطلق عليه "هدم الكنيسة من الداخل"، فأكثر الذين أسهموا فيه كنسيين، وبذلك بدأ الحديث عن يسوع التاريخي ومحاولة البحث عنه، ويسوع الكنيسة أو وفقًا للإيمان، وهو الشكل الذي فرضته الكنيسة. ويقول الباحث بارت إرمان، رئيس قسم الدراسات الدينية في جامعة كارولينا الشمالية بالولايات المتحدة في كتابه المعنون: «**المسيحيات الضائعة**» الصادر 2003، عن أصول الأناجيل والكتب المقدسة موضحًا: «ليس لدينا أية أصول لأي إصحاح من الإصحاحات التي يضمها العهد الجديد، أو تحديدًا ولا لأي إصحاح مسيحي. إن كل ما لدينا هي نصوص منقولة عن الأصل. أو لنكون أكثر دقة، إنها نسخ منسوخة عن نسخ لنسخ منسوخة عن الأصل. وكل هذه النصوص تبعد مئات السنين عن النصوص الأصلية» (صفحة 271).

وفي حديثه عن مخطوطات أو نسخ العهد الجديد يقول بارت إرمان: "إن عددها بلغ حوالي 5400 نسخة، تتفاوت أجزاؤها من حجم الكف إلى نسخ تضم السبعة وعشرين سفرًا. وكلها ترجع إلى ما بين القرن الثاني والقرن الخامس عشر، عند اختراع المطبعة ". ثم يحدد قائلاً: «واللافت للنظر عندما نقارن هذه النسخ، باستثناء القطع الصغيرة، لا نجد نسختان متطابقتان. ولا يوجد تفسير لذلك إلا شيء واحد هو أن الكتبة الذين نقلوها قد غيروها. ولا يعلم أحد كم عدد مرات تغييرها، ولم يستطع أحد أن يحصي عدد الأخطاء والمتناقضات الواردة، وإن كان البعض يقول إنها حوالي

200.000 ويرى آخرون أنها أكثر من 300.000، ولعله من الأبسط أن نقول للتعبير عن هذه الاختلافات: إن عددها أكثر يقينًا من عدد كلمات العهد الجديد» (صفحة 219).

لذلك يؤكد هوبر برنو قائلاً: «إن الأناجيل تشهد بأن ما أجري بها من تغيير في مساحات كبيرة منها، كانت كلها تغييرات عمدية مقصودة». وهو ما يصل إليه أي عالم إكليروسي أو مدني أو مؤمن أو غير مؤمن، فالجميع حاليًا يصلون إلى نفس النتيجة: أن الأناجيل ليست نصوصًا تاريخية مُنَزَّلَة، وإنما أعمال تعليمية. أو كما يقول بونسيرفن: «إنها مكتوبة من أجل تجنيد أتباع جدد، ومن أجل التصدي للهرطقات، والهرطقة هي كل ما هو مخالف لتعاليم المؤسسة الكنسية، ومن أجل بلبلة اليهود المتعصبين ومن أجل الطقوس واحتياجاتها».

أما روجيه بترينييه، رجل الدين السابق، فيؤكد أنه «على الرغم من تأكيدات الكنيسة، فما من إنجيل واحد قد تمت صياغته قبل سنة 150م. ونعيد التأكيد: لا يوجد أي نص يذكر حياة يسوع قبل سنة 150م. وبالعكس، فإن المؤشرات التي تؤكد أن صياغة الأناجيل تمت بعد ذلك التاريخ عديدة (...) ولقد صيغت بعد وقوع الأحداث التي ترويها، وما من إنجيل واحد مكتوب بقلم الأسماء التي هي معروفة بها، وما من مؤلف واحد من بينهم كان شاهدًا على الأحداث. بل والأدهى من ذلك أنها كتبت جميعها بعيدًا عن الأماكن التي وقعت بها هذه الأحداث. وعلى الأقل اثنان منهما أصلهما رومانيان (...) وما نخرج به من كل هذا أن القيمة التاريخية للأناجيل شبه منعدمة»، ("**يسوع المسيح أسطورة أم شخصية تاريخية؟**" صفحة 86).

ومن البديهي أن قِدَم النص لا يثبت مصداقيته؛ لأن الكذب لا يتحول إلى حقيقة بالأقدمية.. لذلك كتب جوزيف هويلس في كتابه المعنون: «**التحريف في المسيحية**» يقول: «كون الأناجيل الأربعة كما رأيناها عبارة عن كتابات متأخرة، ناجمة بأسماء الحواريين بعد أكثر من قرن على وفاتهم، وهي بالتالي عبارة عن تزوير، فهو أمر ثابت حاليًا دون أدنى شك، وكونها ليست حتى كما رأها وعرفها الأسقف إيريني بأن كل واحد منها بقلم شخص واحد، فهو أمر تم إثباته بصورة قاطعة: إن هذه الأناجيل الأربعة عبارة عن تراكمات خرقاء قام بها العديد من الأشخاص في فترات زمانية

مختلفة كما هو واضح على سطحها، وهي بذلك عبارة عن تسلسل من التحريف داخل التحريف» (صفحة 201)، والمتحدث هنا رجل قانون وعضو دائم بكلية الحقوق الأمريكية.

ولا ندري كيف يمكن لأي قارئ لهذه الأناجيل أن يحترم ما بها من قصص على أنها مُنَزَّلَة أو أن «الله هو مؤلفها» كما يقولون، إن لم تكن مساحة الجهل بالحقائق جد شاسعة.. وهو نفس ما يؤكده الباحث روبرت فَانْكْ الذي ترأس «**ندوة عيسى**» التي أقيمت في التسعينيات من القرن الماضي، وأثبت المشاركون فيها أن 82% على الأقل من الكلام المنسوب ليسوع لم يقل منه شيئًا، وإنما هي إضافات وُضعت على لسانه، وان 86% من الأعمال المنسوبة إليه لم يقم بها! لذلك يختتم دانييل ماسيه المجلد الثالث من ثلاثيته حول «**لغز يسوع**» قائلاً: «إن المسيحيين الذين يزعمون أن عقائدهم راسخة ثابتة، يرتجفون من الأبحاث العقلانية المنطقية التي تستند إلى الوثائق الدامغة أن تهزمهم أو تدفعهم إلى الانهيار. فالمسيحية هي – مهما جاهد الذين اخترعوها للتعتيم على حقيقتها، هي نتاج تاريخي وعبارة عن طبقات متراكمة من الأكاذيب والفريات».

وما تقدم ليس إلا شذرات لا تُذكر بالنسبة لكل ما تتضمنه مئات الكتب والأبحاث التي تتوالى، منذ عصر التنوير حتى يومنا هذا، والتي تتناول مراجعة التاريخ الكنسي ووثقائقه وكل ما نسجته الأيادي العابثة في المؤسسة الكنسية. لذلك عند القيام بأي محاولة لتناول موقف الكنيسة من التسامح الديني فلابد من أن نأخذ في الاعتبار نقطتين أساسيتين:

1- حقيقة ذلك التاريخ أو الواقع المزيف، وكل ما نسجته من عقائد قائمة على التلفيق والتزييف والأكاذيب.

2- أهمية حمايتها لذلك الكيان الذي نجم عن كل تلك العمليات المتراكمة من التزوير والتحريف، إذ أن ضياعه يعنى ضياع كل المنتفعين من هذا التزوير.

وحماية ذلك الكيان/الأكذوبة لا تتأتى إلا بخطين متوازيين من الجانب الكنسي: الإصرار على مواصلة خط الفريات من جهة، ومن جهة أخرى: التصدي لكل ما ومن يمكنه المساس بذلك الكيان. وهو ما قامت به المؤسسة الكنسية باعتبار تلك

النصوص «أصول» منزلة أو موحاة بإشراف الرب والروح القدس، وكل ما ومن يحاول كشفها يُدرج تحت مسمى «الهرطقة» – وهي عباءة جد فضفاضة دخل في جبتها كل أنواع الاعتراضات والانقسامات والخلافات وليس الساحرات وحدهن!

وما أكثر الوسائل التي تصدت بها المؤسسة الكنسية لهذه الهرطقة، وإن كانت بدأت باستخدام الحروب بأنواعها وبمحاكم التفتيش. وهو ما سنراه بشيء من التفصيل في الأجزاء التالية...

ومن أهم الدراسات التي تناولت موقف الكنيسة من الآخر، والآخر هو عادة كل من يخالفها، هو الباحث فيليب سيناك في كتاب بعنوان «صورة الآخر» الصادر في باريس عام 1982. والآخر الذي تناوله في هذه الدراسة هو الإسلام والمسلمين في القرون الوسطى وموقف الكنيسة منهما.

ويوضح الكاتب أنه حتى القرن السابع وما بعده كانت أوروبا غارقة في الشعوذة والجهل المفروض عليها – بينما كان الإسلام في أواخر نفس ذلك القرن يستعد لعبور مضيق جبل طارق، وكانت أسبانيا لا تزال غارقة في الوثنيات القديمة بينما كانت راية الإسلام ترفرف على مساحات شاسعة تربط ما بين آسيا والمحيط الأطلسي. وهو ما اتخذه مدخلاً للتعريف بالكتاب قائلاً: «منذ القرن السابع وقفت حضارة شديدة الاتساق على أعتاب الغرب الذي كان لا يزال همجيًّا، وتلك هي الحضارة التي شيدها الإسلام».

فكيف تقبَّل الغرب آنذاك ذلك الآخر؟ يقول المؤلف: إنه بحث ودرس مختلف الصور والجداريات وتيجان الأعمدة في المباني والتماثيل والملاحم القديمة، ووجد: «أنه تم التعبير عن المسلمين بأبشع الصور والملامح القبيحة، الشيطانية، والطاعة العمياء لنبيهم اللاأخلاقي، الذي شبّهوه بالمسيح الدجال».

وفيما عدا ما نَدُر من الاستثناءات فإن الغرب فيما قبل القرون الوسطى وأثناءها وفيما بعدها «رفض الاعتراف بوجود من أطلق عليهم «الكفرة» أى المسلمون، وجعل منهم كبش الفداء الذي يتعارض شكلاً وموضوعًا مع المسيحي «الورع»، إلى أن أتى ذلك اليوم الذي ازدهرت فيه التجارة والسياسة وانتشار المعرفة لتأخذ مكان تلك الأساطير المناهضة للمسلمين. إلا أن تلك الأساطير لا تزال تواصل عداءها حتى

يومنا هذا. فرغم كل ما تم من محاولات فإن الهاوية الأصلية التي انغرست، أو بتعبير أدق: تلك التي غرسها الكنسيون لتشويه الإسلام والمسلمين لا تزال قائمة. ذلك لأنه حتى أواخر القرن الثالث عشر – وما بعده، كل الوثائق التي تمت كتابتها للتعريف بالإسلام كتبها كنسيون منحازون، يرون أن رسالتهم تعني انتقاد وتحريف ديانة الآخر».

لذلك دأب الرهبان والقساوسة على تصوير الآخر، وخاصة المسلمين، بعملية إسقاط لكل ما تم في المسيحية من تحريف ومآخذ. وإن كان اليهود والمسلمين يمثلون أساسًا ذلك الآخر الذي يتعين اقتلاعه، فذلك لم يمنع أيضًا من أن تقوم المؤسسة الفاتيكانية من محاولة نفس التصرف مع باقي الفرق المنشقة عن كاثوليكية روما. وهو ما يدور حاليًا من موقف بعد إعلان البابا بنديكت السادس عشر في 7 يوليو 2007 أن الكنيسة الكاثوليكية الرومية الرسولية هي وحدها الكنيسة التي أنشأها المسيح، وأن الكنائس البروتستانتية ليست كنائس حقيقية ولا تتعدى كونها مجتمعات كنسية، وأن الكنائس الأرثوذكسية معيبة – وإن كان اعتبرها «كنائس» لأنها تعترف بالخلافة الرسولية للبابا والرسالة الكهنوتية لكنها تفتقر إلى الاعتراف بأولوية بابا روما على باقى الكنائس.

ولا يسع المجال هنا للدخول في تفاصيل هذا الموقف الأخير إلا أنه لا بد من توضيح أن السيد المسيح لم ينشئ أية كنيسة من الكنائس، كما لم يُقم أية عقيدة من العقائد السائدة والتى تم تكوينها تباعا، وأن المسيحية الحالية بكل فرقها تم نسجها عبر المجامع على مر العصور. لذلك يؤكد معهد ويستار التي تبنى «ندوة عيسى» لتخرج أبحاث مئات العلماء بأن 82% مما هو منسوب كأقوال ليسوع لم يقلها. و86% من الأعمال المنسوبة إليه لم يقم بعملها. والأبحاث منشورة ومتداولة منذ صدورها عام 1992 وما بعده فى جميع أنحاء العالم الغربى..

وهو ما يكشف من ناحية أخرى عن مدى إتساع تلك الأكذوبة القائم عليها ذلك الكيان الكنسى، وعن مدى الجهود التى يبذلها من أجل الحفاظ عليها بدأً باقتلاع الآخر..

التاريخ الدموي للكنيسة

يقول الباحث الإيطالي إنريكو ريبوني في مقدمة كتابه المعنون: «**الصفحة السوداء للمسيحية**»: «لقد استولت الكنيسة على السلطة السياسية في الإمبراطورية الرومانية، وألغت حرية العبادة، ثم قامت بتكوين جبال من الجثث: فقد قام رجالها بقتل ملايين ممن أطلقت عليهم «الكفرة» و«الهراطقة» و«الساحرات» وغيرهم. ثم سيقوم المسيحيون بذبح بعضهم البعض لتقع أوروبا في سلسلة من أبشع الحروب الطاحنة المعروفة باسم «الحروب الدينية». ومثل هذا التاريخ الدامي من المفترض أن يدفع إلى الخجل والتواضع، إلا أن المسيحيين يصرّون على احتكار كل القيم، ويزعمون أنهم يعبدون إله المحبة، ويرون أنهم أفضل مَنْ في البشر ويدينون باقي الإنسانية على أنها حثالة من عبدة الآلهة المزيفة.. لقد آن لنا أن نفتح الكتاب الأسود للمسيحية الذي يضم ألفي عام من الرعب والاضطهاد والقمع»!

وفيما يلي مقتطفات لبعض التواريخ المكوِّنة لتلك المسيرة الدامية:

- العام الأول:

كانت الامبراطورية الرومانية تسمح بحرية العبادة لمختلف الديانات والعقائد بلا تحيز، وكلها ديانات قائمة على فرضيات أسطورية.

- من 50 – 150:

تطورت طائفة المسيحيين عبر صراعاتها المتعددة مع الفرق اليهودية والسلطة السياسية الرومانية، وبدأت في صياغة أحداث تطورها في نصوص متفرقة مع إبادة كل ما عداها أو كل ما يمكنه أن يدينها. ونطالع في أعمال الرسل: «وكان كثيرون من الذين يستعملون السحر ويجمعون الكتب ويحرقونها أمام الجميع. وحسبوا أثمانها فوجدوها خمسين ألفًا من الفضة. هكذا كانت كلمة الرب تنمو وتقوى بشدة» (19: 19 – 20).. تنمو وتقوى بحرق الفكر واقتلاعه! وهي الكتب التي كانت تخالف ما كانت الأيادي العابثة تحيكه لصياغة عقيدتها.

وبذلك بدأت أولى خطوات عدم التسامح الذي يهدف منذ بداية المشوار الكنسي إلى اقتلاع كافة العبادات الأخرى، ومنع حرية العقيدة التي هي أساس المجتمع الروماني آنذاك. كما بدأ في نفس الوقت تغيير الحقائق وفرض الأكاذيب. فمن كان القانون الروماني يدينهم كانت تطلق عليهم «شهداء»، لأنهم رفضوا التخلي عن إيمانهم، بينما هم في الواقع قد أدينوا لفرضهم القلاقل...

300 – 309 (التاريخ غير مؤكد):

انعقد أول مجمع في بلدة إلفيرا في جنوب أسبانيا لوضع القوانين الكنسية. وهي أول ما حفظ من قوانين. وكانت تنص على مجموعة من العقوبات وفقًا للأخطاء. فالطلاق أو عبادة آلهة أخرى عقوبتها الطرد من الكنيسة، والأقل من ذلك الاستبعاد منها لفترة محددة. ومن ضمن الجرائم التي كان يعاقب عليها تشغيل يهودي في أعمال الزراعة، أو تناول الطعام مع يهودي. وبذلك أرست الكنيسة أولى قواعد معاداة السامية التي ستزداد من مطلع القرن الرابع وتتواصل حتى القرن العشرين. وقد كتب يوحنا كريزستوم، وهو أحد آباء الكنيسة الأجلاء قائلاً: «إن المعبد اليهودي عبارة عن مبغى عن عرين حيوانات نجسة (...) فما من يهودي قد صلى لله. إنهم ممسوسون من الشيطان».

:313

أعلن الإمبراطور قسطنطين مرسوم ميلانو الذي سمح للمسيحيين بموجبه بممارسة عقيدتهم مثلهم مثل أتباع الديانات الأخرى. إلا أن الكنيسة منذ ذلك التاريخ ستواصل بدأب مسيرة اقتلاع العقائد الأخرى منذ أن أصبحت الديانة الرسمية للدولة، وهو ما تواصله حتى يومنا هذا..

:325

دعا الإمبراطور قسطنطين إلى انعقاد مجمع نيقية الأول لحسم الخلافات العقائدية حول شخصية يسوع، وقام المجمع بفرض مساواته لله وإدانة الأسقف أريوس الذي كان رافضًا لتأليه يسوع. كما قام المجمع بتغيير تاريخ عيد الفصح. وتقول المذكرة التفسيرية: «من غير اللائق أن تكون أعيادنا المقدسة وفقًا للعادات اليهودية. ومن الآن فصاعدًا لا يجب أن يكون هناك شيء مشترك مع ذلك الشعب الكريه» ! ثم

اختلفت الكنائس المسيحية بعد ذلك فيما بينها في تاريخ هذا العيد تحديدًا. (والمضحك أن يتم توحيده هذا العام 2007 في كافة الكنائس وفقًا لتاريخ كاثوليكية روما – ضمن محاولاتها المستميتة لتوحيد الكنائس لكي تتصدى للمد الإسلامي..).

:326

بدأت عمليات إضفاء القوانين والعقائد المسيحية على القانون الروماني وازداد الموقف صعوبة ضد العبيد: فلم يعد قتل العبد يمثل جريمة، ومُنع التحيقيق مع أي سيد يتسبب في تعذيب وقتل أحد العبيد. وفي نفس الوقت تم إلغاء حق العبيد في اللجوء إلى القضاء وإن تجاسر وتقدم للقضاء يُقتل بلا تحقيق! كما تم سن قانون يسمح للفقراء ببيع أطفالهم كعبيد – وهو ما كان ممنوعًا فيما مضى.

:361

قام الإمبراطور جوليان بإعادة حرية العقيدة وسمح بالعودة إلى تعدد الديانات الوثنية، والحد من سلطة الكنيسة والقساوسة. فدبرت الكنيسة اغتياله وألصقت باسمه عبارة «جوليان المرتد» التي يشار بها إليه في كافة الوثائق حتى يومنا هذا.

:380

الإمبراطور تيودوز يعلن المسيحية ديانة رسمية للدولة، ويطلق بدعة اقتلاع الهرطقة. والهراطقة هم كل من يعترض على العقائد والقرارات المسيحية، ومنها: منع الاجتماعات، منع التعليم، منع المناقشات والمداولات العامة، منع المساس ببدعة تأليه يسوع. كما بدأ اضطهاد أتباع كل الأساقفة الرافضين لتأليه السيد المسيح. فقد كانت الكنيسة تأمر بأن تفقأ عيونهم وتحرق أعمالهم وتحرقهم أحياء. وقد أصدر تيودوز خمسة عشر مرسومًا ضد الجماعات المختلفة المتهمة بالهرطقة.

أعوام 381 و383 و391:

أصدر الإمبراطور تيودوز مجموعة من القوانين لاقتلاع المرتدين عن المسيحية لصالح أي عقيدة أخرى بما فيها اليهودية، وبدأ الأسقف تيوفيل في الإسكندرية بهدم كافة المعابد وأماكن العبادة غير المسيحية، ومنها معابد الآلهة الرومانية في الإسكندرية ومعبد سرابيس والمكتبة الشهيرة. وكان يأمر باستخدام الأحجار الناجمة

عـن هـدم المعابـد لبنـاء كنـائس للديانـة الوحيـدة التـي أصـبح مسـموحًا بهـا فـى الإمبراطورية.

وفي روما قام البابا سيريس بفرض قَسَم الولاء ليسوع على مجلس الشيوخ بدلاً من الولاء للإله جوبيتير، كما أمر بنزع تمثال النصر من المجلس ليوضع الصليب. وهو ما يكشف، من ناحية أخرى إلى استمرار الديانات الوثنية حتى القرن الرابع . إذ أن الكنسيين يحاولون فرض فكرة أن العالم بأسره تحول إلى المسيحية منذ أولى خطواتها!

401:

طالب القديس أغسطين أسقف كارتجنة، ويُعد من آباء الكنيسة، بأن يتم تدمير كافة المعابد والمكتبات الوثنية في مدينة كارتجنة، مثلما حدث في روما وفي الإسكندرية. ويعد كتابه المعَنْوَن: «مبحث في الحرب العادلة» من الكتابات التي بررت الحروب الصليبية بعد ذلك. فالحرب العادلة فى نظره تعنى اقتلاع الآخر حماية للمسيحية..

448:

فى هذا العام 448، أصدر الإمبراطور تيودوز الثانى قرارا بحرق كتاب الفيلسوف اليونانى بورفير (234–305) السورى الأصل وتلميذ أفلوطين، المعنون "ضد المسيحيين" والمكون من 15 مجلدا، لأنه يهاجم المسيحية.

590:

يعد البابا جريجوار الأول مبتدع الحروب الصليبية، فقد أرسل إلى جناديوس حاكم إفريقيا في العصر الروماني يدعوه إلى شن العديد من الحروب في المناطق المحيطة به لإجبار الناس على الدخول في المسيحية. كما أرسل خطابًا إلى أسقف فيينا في فرنسا يقول فيه: «بلغ إلى علمنا معلومة أذكرها بكل خجل وهي أنهم يقومون بتدريس القواعد اللغوية في أبرشيتك»! وبخلاف أوامره بمنع تدريس قواعد اللغة قام بمنع الثقافة الرومانية واللغات والعلوم والفلسفة.

فيما بين القرن السابع والخامس عشر:

مع اختفاء المكتبات الكبرى وغيرها في القرون الوسطى والمنع التام لعمليات النشر ومنع التعليم في أوروبا والإمبراطورية الرومانية السابقة سيطرت الكنيسة واحتكرت

مجال الكتابة والإعلام، وأغرقت الشعوب في الجهل. كما منعت الأتباع من قراءة الكتاب المقدس أو الاحتفاظ بنسخة منه. وفرضت سلطانها بمحاكم التفتيش. وانتشرت بدعة حرق الساحرات أحياء وكل من يخالفها أو يتصدى لها أو ترى فيه أنه يهدد كيانها.

:804

قام الإمبراطور المسيحي شارلمان بفرض التنصير بأن يعرض اعتناق الكاثوليكية أم قطع الرقبة. وسقطت عشرات الآلاف من الرؤوس بمباركة الكنيسة.

القرن الحادي عشر:

انفصال كنيسة الشرق بسبب الخلاف حول استخدام الخميرة في عمل خبز المناولة. وتبادل بابا روما والقسطنطينية اللعنات حول صنع هذه الأفخارستيا، وامتدت الحروب الخلافية بسبب هذه النقطة حتى عام 1990 التي اندلعت فيها الحرب بين الكاثوليك والأرثوذكس في يوغسلافيا. ولا تزال الكنيسة الرومية تفرض أن الخبز والنبيذ يتحول في بطن الأتباع إلى لحم ودم المسيح فعلاً وحقًّا.

:1179

مجمع مدينة لاتران الثالث يفرض «وضع العبودية» على كل الذين يتعاملون مع المسلمين أو يقدمون لهم العون.

:1224

أصدر الإمبراطور فريدريك الثاني أمرًا بحرق الهراطقة أو قطع لسانهم وفقًا لدرجة الجريمة. وفي عام 1231 أقر الدستور الصقلي القرار المطلق بحرق الهراطقة، وتم تطبيق نفس القرار في فينسيا.

:1255

أصدر ألفونس الحكيم ملك قشطالة قرارًا بحرق كل المسيحيين الذين اعتنقوا الإسلام.

:1274 –1255

يعد القديس توما من كبار علماء الكاثوليكية، ومن أعماله كتاب «مجمل اللاهوت» الذي ينص فيه على ضرورة قتل الهراطقة. وقامت محاكم التفتيش بتنفيذ ما طالب به، بمعنى: إذا أقر الجاني واعترف بخطئه، وهو يقاد إلى المحرقة ليتم حرقه حيًّا

تخفف عنه العقوبة بأن يقتل شنقًا، والفلسفة التومية تُعد الفلسفة الرسمية للكنيسة الكاثوليكية، ولا تزال تستشهد بأعماله، وقد تم إنشاء محاكم التفتيش رسميًّا عام 1231.

1354.1347:

اندلع الطاعون في أوروبا وقام القساوسة الكاثوليك بإعلان أن اليهود قاموا بتسميم آبار المياه. وتم إبادة 350 تجمعًا لليهود في ألمانيا إلى جنوب إيطاليا. كما أصدروا أمرًا بمنعهم دخول المدن الكبرى ظل ساريًا حتى القرن الثامن عشر.

1478:

تم توحيد أسبانيا شمالاً وجنوبًا بزواج فرديناند من آراجون وإيزابيلا من قشطالة للتصدي للوجود الإسلامي في البلاد. وقد حصلا على موافقة البابا لإقامة محاكم تفتيش في أسبانيا من أجل اقتلاع المسلمين.

1482:

أذاق الإمبراطور فرديناند المسلمين مُر العذاب بعد سقوط الأندلس على مدار عشرين عاما، وصدر في عهده مرسوم بابوي بإنشاء محاكم التفتيش في أكتوبر 1483. وعند وفاته انتقل الحكم إلى حفيده شارل الخامس الذي أوصاه جده أن ينصر الكاثوليكية بسحق المسلمين سحقًا. وتقدم لهم المسلمون بشكوى تضررهم من قانون تنصيرهم بالإكراه ويطالبون بالسماح لهم بالهجرة. فأمر بتشكيل محكمة بابوية أصدرت حكمًا بأنهم تنصروا باختيارهم ولا يحق لهم الخروج من البلاد ومن يهرب يُعد أنه خرج عن المسيحية فيجب قتله.

وإمعانًا في إذلال المسلمين الذين خضعوا للتنصير أصدر شارل الخامس مرسومًا ملكيًّا في 1511/6/21 يلزم المسلمين بتسليم كتبهم الدينية والفقهية وحرقها في الميدان العام تحت إشراف أحد الكرادلة، وفي 1524/3/12 أصدر قرارًا بتنصير كل مسلم بقي على دينه. وفي 1526 أصدر قرارًا يحظر على المسلمين التخاطب باللغة العربية أو تعليمها لأبنائهم. وفي 1566 أصدر فيليب الثاني قانونًا يحرم التخاطب بالعربية وتم فرض لغة القشطالية كلغة للتخاطب والتعامل.

1492:

طرد اليهود والمسلمين من أسبانيا بعد تخييرهم التنصير أو الطرد. وقام البابا بطلب تنفيذ نفس الإجراء من الملوك الآخرين. ومن كان يقبل التنصير يتم اختبار مدى إيمانه بأن يفرض عليه أكل لحم الخنزير ومن كان يبعد الطبق يتم حرقه على أن «إيمانه» مزيف.

القرن السادس عشر:

عندما قررت الكنيسة استبعاد المرأة من الاشتراك في الجوقة الموسيقية الكنسية لجأت على إخصاء الأطفال الذين يتمتعون بأصوات جميلة حتى تظل لديهم الطبقات الصوتية العليا أو الرفيعة. وظلت هذه العادة سائدة حتى القرن 19.

1547: شهادة النقاء العرقي:

لم تعرف أسبانيا حرية العقيدة إلا في فترة الحكم الإسلامي؛ حيث كانت الرسالات الثلاث تُمارس بكل حرية. وما أن استولى المسيحيون على الحكم حتى قامت الكنيسة بفرض التنصير على المسلمين واليهود. واخترع الكاثوليك شهادة النقاء العرقي (La limpieza) لكي يتم قصر الوظائف الحكومية والمهام الكنسية على من يتمتعون بالنقاء العرقي أين ينحدرون أبًا عن جد من مسيحيين. ثم امتد هذا القرار إلى جامعة سلامنك التي كانت تطلب شهادة النقاء العرقي من الطلبة عند التحاقهم بالجامعة. وكانت محاكم التفتيش هي التي تصدر هذه الشهادات ولم تلغَ إلا في عام 1835 وإن ظلت تطلب من المجندين ومن المرشحين للوظائف العليا حتى عام 1865.

1559: «الإندكس» (Index).

أدى اختراع المطبعة إلى تزايد عدد الذين يمكنهم التزود بالعلم والمعرفة فتصدت الكنيسة لذلك بفرض قانون «الإندكس» أي الإدانة، وهي قوائم بالكتب الممنوع الاطلاع عليها. وتقوم اللجنة المسئولة عنها بمراجعة كافة المطبوعات وتصدر قائمة رسمية بالكتب الممنوعة. وبصدور هذا القرار هرب العديد من الناشرين الإيطاليين إلى سويسرا وألمانيا بعيدًا عن سلطات هذه اللجنة، وصدرت آخر قائمة رسمية عام 1961. (إلا أن عمل هذه اللجنة لا زال قائما بصورة غير رسمية لمحاصرة أي كتاب

يمس الكيان الكنسي مثلما حدث مع رواية دان براون «شفرة دافنشي» وكل الحملة التي قادتها منظمة «أوبس داي» التابعة للكنيسة).

1566 – 1572:

يفخر البابا بيوس الخامس أنه أيام كان يترأس لجنة محاكم التفتيش أشعل بيديه النار ليوقد مائة محرقة للهراطقة. وفي عام 1569 أصدر أوامره بطرد المسلمين واليهود من دولة الكنيسة وأراضيها. وفي 1568/2/16، وقع أول قرار يأمر بالقتل العرقي لاقتلاع سكان هولندا الذين اعتنقوا البروتستانتية. فأصدر أوامره للملك فيليب الثاني ملك أسبانيا – وكانت هولندا تتبعه، لإبادة مجمل ذلك الشعب. وبعد عشرة أيام طلب الملك من دوق ألبا تنفيذ قرار البابا. وتمكن دوق ألبا من قتل ثمانية عشر ألفًا من الهولنديين. وعند تزايد ثورة الشعب عليه أعاده الملك إلى أسبانيا وأسند إليه مهمة رسمية مماثلة في البرتغال للتخلص من المسلمين واليهود.

أواخر القرن السادس عشر – مطلع القرن الثامن عشر:

إبادة سكان الأمريكتين بالغزاة الأسبان وغيرهم ومعاونة رجال الكنيسة الذين يواكبون الحملات العسكرية منذ نشأة الكنيسة وحتى يومنا هذا. (وليس مَثَل احتلال العراق وفرق المبشرين ببعيد).

1609:

بعد أن تخلصت الكنيسة من اليهود بدأت مطاردة المسلمين حتى أولئك الذين خضعوا للتنصير، وعندما خشيت محاكم التفتيش أن يفلت من براثنها أي مسلم طلبت من الملك طردهم من أسبانيا إلى شمال إفريقيا. ويقدر تعداد من تم طردهم بحوالي ثلاثة ملايين نسمة. فأقفهر الريف وانتكست التجارة والأعمال وخبأت عجلة الحياة اليومية إلى أن تم تعويض من يشغل مكانهم. وبعد أن تم طرد آخر جماعة من المسلمين أعلن كبير مفتشي المحاكم قائلاً: «أخيرًا تنفست أسبانيا الصعداء بعد أن انتصرت النظافة على العفن».. (والمضحك أنه عندما استحم ملك فرنسا في القرن السادس عشر دخل التاريخ بذلك الحمام الأول!).

1650:

استعان الأسقف جيمس أوشر في أيرلندا بالكتاب المقدس لمعرفة عمر الأرض. واكتشف أنها خلقت يوم 4004/10/23 ق. م.! والطريف أنه قبل ذلك بعام كان بليز باسكال، العالم الفرنسي، يقوم بتكوين أول آلة حاسبة. وهو ما يكشف عن الفارق الشاسع بين العقلية الكنسية والعقلية العلمية التي ظلت الكنيسة تحاربها بدأب لا يكل ولا يهدأ.

1832:

كانت أوروبا قد اهتزت بالعديد من الحركات الثورية فلم تعد الشعوب تتحمل الأنظمة السياسية الخاضعة للكنيسة أو التدخلات الكنسية في الحياة العامة التى زادت فى القرون الوسطى. فقام الباب جريجوار السادس عشر بإعلان خطابه الرسولي المعنون «Mirari vos» يدين فيه: «حرية العقيدة المعدية والتي تمهد الطريق لآراء تهدم الكنيسة والدولة».. كما أدان حرية الصحافة والمنظمات التحررية وحرية التعليم وسيادة الشعب والانتخابات الحرة. وهو ما يكشف عن مواصلة الكنيسة في محاربة التقدم والحرية وكل ما يمكنه أن يمس كيانها، وكل ما فرضته من عقائد وقوانين عبر المجامع على مر العصور.

1848:

ثورة سكان روما ضد الدكتاتورية البابوية. وقد تم طرد البابا بيوس التاسع وإعلان النظام الجمهوري، وهدم جدران معزل حي اليهود. إلا أن السلطات الفرنسية قد قامت بإعادة البابا في العام التالي وقتل المعارضين رميًا بالرصاص.

1863: «السيلابوس» (Syllabus)

قام الباب بيوس التاسع بإصدار وثيقة «السيلابوس»، وهي كشف يتضمن ما أطلق عليه أخطاء العصر الحديث التي يجب محاربتها. وهي وثيقة شبيهة بالإندكس الخاصة بالكتب الممنوعة. ومما اعتبره الباب من الأخطاء: الزواج المدني، التسامح في البلدان الكاثوليكية تجاه طقوس الديانات الأخرى، حرية العقيدة، الليبرالية، الاشتراكية، الثورة ضد الحكام الشرعيين، انتقاد السلطة الزمانية للبابا، فكرة تقدم الإنسان عن طريق العقل، المطالبة بعدم تدخل الكنسيين في مجالي العلوم والفلسفة.

وفي عام 1870 فرض مجمع الفاتيكان الأول قانون معصومية البابا من الخطأ بأثر رجعي لكي يتأكد من أن ما أدانه «السيلابوس» لا يمكن إنتقاده وأنه لا رجعة فيه.

:1871

أعلن البابا أنه من حقه حرمان أي شخص إذا شارك في الانتخابات الإيطالية لأنه يسهم بذلك في حرمان البابا من سلطاته المدنية. إلا أن ذلك لم يمنعه من مباركة الحزب الإيطالي الكاثوليكي عندما تم الإعلان عن تكوينه برآسة أحد القساوسة..

:1945 – 1918

ساندت الكنيسة كل الأنظمة الدكتاتورية الشمولية في أوروبا ودافعت عن جرائمهم. مثلما حدث في النمسا الفاشية، وإيطاليا حيث فرضت في اتفاقية مع النظام الفاشي أن الكاثوليكية ديانة الدولة. وكذلك في ألمانيا عام 1933 حيث أيد الحزب الكاثوليكي مطلق سلطات هتلر، وتضامنت مع النازي ضد الشيوعية.

وفي أسبانيا أشعلت الكنيسة الثورة في 1931/5/7 ضد النظام الجمهوري وقامت بمساندة فرانكو. وأسفرت هذه الحرب الأهلية عن قتل أكثر من مليون أسباني. وعند انتصار الدكتاتور فرانكو أمر بإعدام أكثر من مائتي ألف سجين، كما قامت كل كنائس الكاثوليك بمساندة فرانكو ضد النظام الجمهوري، وأعلن البابا أن كل من يقتله الجمهوريون يعد شهيدًا من شهداء الكنيسة. وسرعان ما قام فرانكو بتعيين عدد من أعضاء منظمة «أوبس داي» في الحكومة وتزايد عددهم حتى أصبح يمثل أكثر من نصف أعضاء الوزارة.

:1941

عندما اجتاح الألمان يوغسلافيا عام 1941 طالب أنتي بافليتس الكاثوليكي المتعصب باستقلال كرواتيا ليجعل منها دولة كاثوليكية نموذجية بقيادة الكنيسة والباب بيوس الثاني عشر. وتم إكراه الصرب الأرثوذكس على اعتناق الكاثوليكية. وبلغ عدد القتلى الصرب حوالي أربعمائة ألف نسمة.

:1985

في مطلع الثمانينيات من القرن العشرين جاهد علماء اللاهوت في أمريكا اللاتينية لنشر لاهوت التحرر بعيدا عن قبضة الكنيسة الكاثوليكية والدفاع عن الفقراء والابتعاد عن البذخ الذي تتمرغ فيه القيادة الفاتيكانية. وقامت لجنة عقيدة الإيمان، وهو المسمى الجديد لمحاكم التفتيش، بإدانة الأسقف ليوناردو بوف ومحاكمته وتم حرمانه ومنعه من الكتابة وخيرته ما بين المنفى أو الطرد من سلك الكهنوت، فاختار الطرد.

1990:

اندلعت الحرب الدينية في يوغسلافيا منذ الثمانينيات. وكان الكروات تبع كنيسة روما بينما الصرب تبع كنيسة بيزنطة الأورثوذكسية. وعندما أعلنت كرواتيا استقلالها اعترف بها الفاتيكان وأرسل مندوبيه إلى كافة البلدان الأوروبية للاعتراف بالدولة الكاثوليكية الجديدة. ثم تحالف الاثنان لإبادة المسلمين ومنها مجزة كوسوفا التي راح ضحيتها قرابة تسعة آلاف مسلم، وذلك تحت حماية الخوذات الزرق للأمم المتحدة وعلى مرأى ومسمع من العالم أجمع الذي أَلِفَ الفرجة والصمت إذا ما كان الأمر يتعلق بالإسلام والمسلمين (واللافت للنظر أن المحكمة الدولية التي نظرت قضية هذه المجزة هذا العام رفضت اعتبارها جرائم قتل عرقي «كي لا يتم دفع ملايين اليوروهات تعويضًا للمسلمين» وفقًا لما تناقلته الجرائد الفرنسية).

1994:

مساندة الكنيسة الحرب الدينية في رواندا بين التوتسي والهوتو، والتي راح ضحيتها أكثر من ثمانمائة ألف مواطن. وحاولت كنيسة روما حماية القساوسة الذين أسهموا في إحراق اللاجئين أحياء وهم يحتمون بأبنية الهناجرالتابعة للكنيسة..

ولا نقول هنا شيئًا عن فضائح الشذوذ الجنسي في الكنيسة، ولا عن فضيحة القرن العشرين وقيام الكنيسة بدفع أكثر من مائتين مليون دولار تعويضات لأهالي الأطفال المتضررين في كنيسة بوسطن بأمريكا فيما بين 1997 و2000.

وقد ذكرت هيئة الإذاعة البريطانية في 2007/7/15 أن كبرى أبرشيات الروم الكاثوليك في الولايات المتحدة دفعت حوالي 660 مليون دولار لتسوية قضايا

الاعتداءات الجنسية المتهم فيها قساوسة في مختلف الكنائس الأمريكية، وأن ما دفعته هذه الكنائس منذ عام 1950 يعد أكثر من ملياري دولار!

التاريخ الإجرامي للبابوية

يحظى السجل البابوي برقم قياسي في الفساد والإجرام عبر القرون، فالتاريخ الحقيقي للبابوية مكون من فضائح ووحشية ومجون وفرض الإرهاب والحروب والقتل العمد بعدة أساليب، كما يوصفون باللا أخلاقيات التى تملأ فضائحها عشرات الكتب والسجلات على مر التاريخ. والصورة التي يحفظها لهم هذا التاريخ والمؤرخون المعاصرون لا علاقة لها بما يحاولون إضفائه حاليًا على تلك الفئة التى تترأس كرسى البابوية من وقار وورع.

ولقد تم تزييف حياة البابوات بحيث إن العديد من الأتباع لا يمكنهم تصور مدى الانحلال السائد في البلاط البابوي، منذ تكوينه، ولا مدى الوحشية التي اتسموا بها في مواجهة خصومهم، خاصة عندما كانت السلطة المدنية في أيديهم. وحقيقة ما عاشته البابوية من أحداث مشينة يمثل حقائق لا سابقة لها في تاريخ الأديان بأسره. فهو تاريخ ممتد عبر قرون طويلة تداخلت فيه عمليات الإتجار بنفس منصب البابوية، والفضائح والإعتداءات والتزوير والتحريف والقتل بوحشية، إلى درجة أن قام أحدهم بوضع السم فى قرص المناولة ليقتل غريما له (راجع نيكولا بولانجيه 1722. وكتابه المعنون "**فضح المسيحية**" 1759)..

ويقول توني باشبي في بحثه عن «**التاريخ الإجرامي للبابوية**»: «إنه على الرغم من التلاعب في السجلات وإبادة العديد من الوثائق حتى لا تبقى هناك شهادات على ذلك التاريخ المؤسف، فهناك العديد من مذكرات بعض البابوات التي أفلتت من الإبادة، والخطابات والتقارير المتبادلة مع سفراء أجانب في الكرسي الرسولي، ووثائق تم تجميعها من الأديرة ، إضافة على سجلات مجالس الشيوخ الرومان ومحاضر الجلسات الكنسية في لندن ، وخاصة نسخة أصلية من «**موسوعة ديدرو**» الفرنسية «والتي ما إن تم طبعها حتى أمر الباب كليمنت الثالث (من 1758 – 1769) بحرقها فورًا عند صدورها عام 1759». وهو ما سمح بالكشف عن ذلك الإنحطاط المتفرد للبابوية منذ أولى خطواتها. إذ إن القداسة التي يحاولون إضفاءها اليوم لا

وجود لها في تلك الوثائق التي تشكف عن عدم أمانة القائمين على الكنيسة سواء بأيديهم أو بأيدي من عاصروهم. ويكفي أن نطالع ما كتبه ريتشارد بينيت عن «البابوية» قائلاً: «يقدر ما قتلته البابوية بزعم الهرطقة بحوالي خمسين مليونًا من البشر»!

وقد ظلت المسيحية تحارب خاصة أيام سيفريوس (193 – 211)، وديوكلسيان (284–305) وجاليريوس (303 – 311) من جراء أفعال رجالها ومحاولاتهم المتواصلة للسيطرة على السلطتين: الكنسية والمدنية. ويقول المؤرخ فيليب شان في كتابه عن «تاريخ الكنيسة الكاثوليكية»: «كان يجب حرق أي نسخة من الأناجيل وتجريد المسيحي وحرمانه من الوظائف العامة ومن حقوقه المدنية. وكان على جميع المسيحيين تقديم القرابين للآلهة الرومانية وإلا تم إعدامهم. وقد انتهى الاضطهاد بصدور مرسوم ميلانو عام 313 الذي أباح حرية العقيدة للمسحيين كالوثنيين».

ويقول بينيت، القس السابق، في كتابه عن «**البابوية**»: «وفيما بين القرن الرابع والخامس تمت إذابة الإنجيل الأصلي واستبداله بإدخال الطقوس وبعض الممارسات الوثنية بإضفاء لمعة مسيحية على السطح، وكلما تزايد الابتعاد بين الاثنين تزايد الإلحاح على الجانب الشكلي والسلطوي. وما أن استقرت هذه الواجهة حتى كان لا بد من أن يكون لها ممثلها الرسمي».

وفي أواخر القرن الخامس الميلادي تكون الكهنوت الذي تجرأ على القيام بدور الوساطة بين الأتباع وربهم.. فأصبحت الكنيسة تلك المؤسسة التي يسيطر عليها ذلك التدرج الهرمي من رجال الدين. وبانتقال مقر الإمبراطورية الرومانية إلى القسطنطينية عام 330 تزايدت سلطة أسقف روما معلنًا أنه من حقه اعتلاء عرش روما ليجعل منه مقعدًا جديرًا بحكم يسوع العالمي. وبذلك استولت كنيسة روما على الإمبراطورية الغربية لتصبح مع الوقت امتدادها الحقيقي: أي أن الإمبراطورية الرومانية لم تختفِ، وإنما قد تغير اسم رئيسها من القيصر إلى البابا!

وبينما كان الصراع دائرًا آنذاك بين إنطاكيا والأسكندرية والقدس وروما لمعرفة من في تلك الكنائس ستتولى القيادة، انحصر الصراع بين روما والقسطنطينية إلا أن الإمبراطور جوستيان الأول قد قام بإضفاء السيادة على أسقف روما لتتزعم قيادة

الكنائس الأخرى اعتبارًا من 538. ولا يعني ذلك أن جوستنيان قد أسس البابوية، وإنما قد أرسى قواعدها الأولى. واعتبارًا من العام التالي أصبح في وسع «الحبر الأعظم» وطاقمه تكوين محاكمهم الخاصة وفرض العقوبات على المدنيين الذين لا ينصاعون للأوامر الكنسية وجبروتها. والمعروف أن لقب "الحبر الأعظم" هذا كان أحد القاب القياسرة الرومان واستولى عليه البابوات من ضمن ما استولوا عليه فى مسيرتهم القائمة على التزوير والتحريف!

وفي القرن الثامن بدأت الكنيسة تلوح بوثيقة تسمى «هبة قسطنطين» وثيقة تنص على أن الإمبراطور قد تنازل إلى البابا سلفستر أسقف روما (314 – 335) عن جزء كبير من ممتلكاته وأمواله وقصر لاتران، وهو من أجمل قصور العالم، وتاج السلطة الدينية، والنياشين الإمبراطورية وحليّها، وإمبراطورية بيزنطة «لأنه لا يليق بأي إمبراطور دنيوي أن يمتلك أية سلطة في المكان الذي يوجد فيه رئيس الديانة التي أقامه الله عليها»!!

ثم ثبت أن هذه الوثيقة مزورة، قد تمت صياغتها قبل عام 754. إذ يقول المؤرخ ويلي: «إن ما يثبت تزوير هذه الوثيقة هو أنهم جعلوا قسطنطين، في القرن الرابع، يستخدم اللغة اللاتينية السائدة في القرن الثامن» – أي بعد أربعة قرون من التطوير والتغيير اللغوي! وكانت الكنيسة تسارع بحرق كل من يجرؤ على عدم تصديق هذه الوثيقة أو التشكيك في مصداقيتها. لكنها لم تقم بإعادة ما استولت عليه بموجبها بعد أن انفضح أمرها! وفي القرن التاسع عشر اضطرت الكنيسة إلى الاعتراف بتزوير هذه الوثيقة، والعديد غيرها، ومن السخرية أن تُعرف كل هذه الوثائق المزورة في التاريخ الكنسي بعبارة «التزوير الورع»، وهو ما سوف نتناوله فيما بعد بشيء من التفصيل!

وفي عام 800 ميلادية ركع شارلمان، ملك البلدان الرومية الجرمانية، أمام البابا ليون الثالث لكي يقوم بوضع تاج الغرب الإمبراطوري على رأسه. واللافت للنظر أنه في عام 538 قام الإمبراطور جستنيان بإضفاء لقب «الحبر الأعظم» على أسقف روما. وبعد 262 عاما ها هو البابا يقوم بتتويج الإمبراطور! وهو ما يكشف عن سرعة الخطوات التي تمت لتغيير الأحوال لصالح البابوية وأطماعها. فقد عم الفساد

بصورة فاجرة في المجال البابوي بعد استيلائه على ثروات وممتلكات طائلة بموجب تلك الوثيقة المزورة..

ويقول الأسقف المؤرخ فروز رنجهام عن بابوات القرون الوسطى وما بعدها: «كثيرا منهم كانت حياتهم ماجنة، وبعضهم كان يمارس السحر، والبعض الآخر غارق في الحروب والمذابح والمكائد إضافة إلى الإتجار في المقدسات والوظائف الدينية. بل وكان بعضهم لا يمت إلى المسيحية بصلة لانحطاهم الإجرامي وكأنهم أبناء أبيهم الشيطان»، ("مهد المسيح" 1877). ولا أدل على ذلك من بعض الأقوال المأثورة التي يحفظها لهم التاريخ، من قبيل الأسقف أوسبيوس (260 – 339) الذي قال: «إنه من أعمال الورع أن نخدع ونكذب إذا أدت هذه الأعمال إلى ازدهار مصالح الكنيسة»! أو تلك العبارة الشهيرة التي قالها البابا ليون العاشر (1513 – 1521): «كم نعلم تمامًا ما أضفته علينا من مكاسب تلك القصة الخرافية ليسوع»، ولا نقول شيئا عن عبارة القديس بولس الذى يقول لأهل رومية أن مجد الله قد إزداد بكذبه !: "فإنه إن كان مجد الله قد إزداد بكذبى لمجده فلماذا أُدان أنا بعدُ" (3 : 7) !..

وفي واقع الأمر إن من يُطلق عليهم الآن فى المراجع «فضائل المسيحيين» كانوا في الواقع قتلة أفظاظًا. فقد عام البابوات في أنهار من الدماء في حروبهم المتعددة الجبهات، ومن أجل تحقيق أهدافهم الدنيوية. فكثير منهم كان لديه المليشيات الخاصة به التي كان يزج بها وسط المعارك. ويكفي أن نطالع ما كتبه سيمون دي سيموندي عن «اقتلاع الكاتار» من «أن الكنيسة قد أمرت السلطة المدنية لفرض عقائدها على الإنسانية بالقتل الجماعي».

ومن أشهر الوقائع التي يحفظها التاريخ عن الصراع بين البابوات نطالع: «عند وفاة الباب فورموزس (896) تولى البابا بونيفاس السادس البابوية لمدة أسبوعين، ثم استولى البابا اسطفانوس السابع على البابوية. وفي ثورة غضبه الانتقامية لم يقم بتلطيخ سمعة البابا فورموزس فحسب، وإنما أمر بإخراج جثته من القبر، وأجلسها على الكرسي الرسولي وقام بمحاكمته وإدانته ثم أمر بأن تقطع ثلاثة أصابع من يده اليمنى بسبب «اعتدائه على القوانين الكنيسة وعقائدها»! وتعد هذه المسرحية الإنتقامية من الفضائح التي تكشف عن مدى أخلاقيات تلك الفئة "الورعة"، وقد

عُرفت هذه المحاكمة في التاريخ الكنسي باسم «سينودس الجثة»! إلا أن هذه الواقعة قد أثارت الرأي العام ضده، وبعد فترة تم القبض على البابا اسطفانوس السابع وأودع في السجن ثم مات مخنوقًا..

ولن نتناول هنا إباحيات وغراميات البابوات وفجورهم السافر وأبناء السفاح الذين كانوا يولدون، ومنهم من كانوا يرقون إلى درجة البابوية، ولا قيادة بعض النسوة من قبيل تيودورا أو ماروزيا وفضائحهن في البلاط البابوي، خاصة ماروزيا التي حكمت بالفعل من كرسي البابوية – وهو ما يعرفه كل المؤرخون، ويلقبونها بعاهرة البابوات. وهو ما يكشف عن مدى انحطاط فئة من المفترض فيها أنها لا تمثل رأس الكنيسة فحسب، وإنما كل واحد منهم يُعد «مندوب الله على الأرض» كما يقولون.. ولا تكفي هنا عبارة: اللهم لا تعليق، خاصة حول البابا يوحنا الثاني عشر (955–964) الذي قُتل وهو يغتصب إحدى السيدات في ضواحي روما، وكان القاتل زوجها!

ولا يسع المجال هنا لنقل كل ما تتضمنه «الموسوعة الكاثوليكية» (15 جزءًا) من جرائم تفوق الوصف، وفضائح لا يعقلها إنسان، خاصة ما قام به بنديكت التاسع من انتقام ومذابح وفتح «القصر الباباوي لحفلات المجون والشذوذ المثلي» مما زاد قوائم الفساد وانتشاره في مختلف التدرجات الكنسية. وبدأت البابوية تفقد احترام العديد من الناس (ج7 صفحة 12)..

ويقول المؤرخ البريطاني لورد أكتون حول صراعات البابوية: «إن البابوات لم يكونوا قتلة على أعلى مستوى فحسب، وإنما جعلوا القتل أساسًا شرعيًّا للكنيسة المسيحية وشرطًا من شروط الخلاص» (**تاريخ كمبريدج الحديث**، ج1 صفحة 677).

ويعلق توني باشبي على موضوع القتل في المفهوم البابوي قائلاً بسخرية: «لعلهم يتخذون من آية إنجيل لوقا مثالاً لهم؛ إذ تقول الآية على لسان يسوع: «أما أعدائي أولئك الذين لم يريدوا أن أملك عليهم فأتوا بهم إلى هنا واذبحوهم قدامي» (19: 27). ثم يضيف موضحًا أن هذا النص مخالف لما هو موجود في مخطوطة الكتاب المقدس والمعروفة باسم المخطوطة السينوية (Codex Sinaiticus) الموجودة في المتحف البريطاني منذ عام 1934، إذ تقول الآية: «أحضروا أعدائي هنا، أولئك الذين لم يرغبوا أن أكون ملكًا، واذبحوهم في وجودي» والفرق بين النصين يتطلب

إعادة نظر شاملة في تاريخ المسيحية برمتها وفي الترجمات والتعديلات المغرضة للأناجيل، وخاصة لحياة يسوع، فهذه الآية التى تم تعديلها تكشف عن توجه مختلف تماما ليسوع الذي يأمر بقتل أعدائه الذين لم يرغبوا أن يكون ملكا..

وقد وصل جبروت طبقة البابوات إلى درجة تبرير عملية القتل الجماعي والحروب الصليبية التي بلغ عددها 19 حربًا من 1096 إلى 1571، سواء لمحاصرة الإسلام واقتلاعه أو إبادة الكاتار، أو سلالة فريدريك الثاني، وخاصة إبادة فرسان المعبد الذين تأثروا بالكاتار في رفضهم تأليه المسيح وتأثروا بالإسلام، وكل ما ترتب عليه من عقائد مختلفة عما تفرضه المؤسسة الكنسية وخاصة رفضهم ألوهية يسوع، ودخول العديد من فرسان المعبد في الإسلام . وهي نقطة جديرة ببحث مستقل..

وكان البابا جريجوار السابع قد أعلن رسميًّا «أن قتل الهراطقة لا يعد قتلاً» وأباح لجنود الكنيسة أن يقتلوا كل من لا يؤمن بالمسيحية. وكانت تلك الفرق تسمى أيضًا «ميليشيات يسوع المسيح» أما الشعب نفسه فقد أطلق عليهم «قاطعي الرقاب»! وهو جيش مكون من مائتي ألف من المشاة، وعشرون ألفًا من الفرسان. وقد تم استخدام هذه الفرق لتخريب وحرق حقول ومزارع الكاتار ومنازلهم، ومن الصعب حصر ذلك الخراب الناجم عن اقتلاع الكاتار ويقدره المؤرخون بأكثر من خمسمائة مدينة وقرية قد اختفت من على الخريطة الأوروبية..

وقد وصل صراع البابوات على السلطة ورغبتهم في السيطرة على العالم أو التحكم في المجالين السياسي والديني، أن قام البابا بونيفاس الثامن في 18 نوفمبر 1302 بإصدار الخطاب الرسولي الخاص بالسَّيْفَيْنِ: سيف السياسة والقانون، وسيف الكنيسة. وهو الخطاب الذي يقول فيه البابا: «إن السيفين أصبحا في يد الكنيسة، الديني والمدني، الديني تقوده الكنيسة بأيدي رجال الاكليروس، والمدني تمارسه الكنيسة بأيدي جيشها (...) والسلطة الدينية من حقها إقامة وإرشاد السلطة المدنية وأن تحكم عليها وتدينها حينما تحيد عن الصواب (..) وبالتالي، فأي إنسان يعترض على سيفيّ الكنيسة فهو يعترض على قانون الله»!

وبذلك استطاع البابا بونيفاس الثامن، الذي يعد آخر بابوات القرون الوسطى الاستيلاء على العديد من الأراضي حتى أطلق عليها «ولايات الكنيسة». وظلت في

حيازتها حتى عام 1830 حينما تمكن الجيش الإيطالي الوطني من استعادة الأراضي المسروقة، سواء بالوثقة المزورة والمعروفة باسم " هبة قسطنطين " أو ما استولى عليه البابوات بعد ذلك، وتم توحيد إيطاليا وتحديد مساحة الفاتيكان في الحيز الذي يشغله حاليًا.

ويتواصل تاريخ البابوية على نفس الوتيرة من الصراعات والاغتيالات وإن اختلفت المسميات والوسائل، إلا أن ذلك لا يمنع أن الكنيسة الرومية تحمل على عاتقها مقتل أربعين من البابوات، والكثير منهم مات مسمومًا في خضم هذه الصراعات التي هي أبعد ما تكون عن الإنسانية أو الرحمة لكيلا نقول "التسامح".

ونترك القرون الوسطى وعصر النهضة بكل ما امتلأت به من قصص ومواقف يندى لها الجبين، وتتعدى نطاق هذا البحث، لنصل إلى آخر البابوات الراحلين وهو البابا يوحنا بولس الثاني، لنرى كيف يتواصل خط الفساد والإجرام.. فخلال الستة وعشرين عامًا التي ترأس فيها المؤسسة الكنسية، اعترت حياته العديد من الأزمات، لكيلا نقول الفضائح، ومنها إفلاس بنك أمبروزيانو، وقضية كورت فالدهايم، وانشقاق المونسنيور لوففر على الكنيسة الفاتيكانية وأسس كنيسة خاصة، وقضية المونسنيور جير، وقضية الأب بيير، وفضائح الشذوذ الجنسي التي نالت أعلى الرتب في الفاتيكان، والاشتراك في حرب رواندا حيث أدين بعض الكنسيين في عمليات قتل جماعية، ألخ ألخ..

لكنا نتوقف عند أولى هذه المجموعة من الأزمات، لأنها فضحية كاملة شاملة تجمع بين العديد من العناصر والجرائم التي دأبت عليها تلك المؤسسة، ألا وهي: عملية إفلاس بنك أمبروزيانو..

ويمثل إفلاس بنك أمبروزيانو بداية فضيحة كبرى، في مطلع الثمانينيات من القرن العشرين؛ إذ تورط فيها الفاتيكان والمحفل الماسوني السري P2 والمافيا الإيطالية. وكان المبلغ المختفي حوالي مليارًا ومائتي مليون دولار..

ففي 18 يونيو 1982 تم العثور على روبرتو كالفي رئيس البنك مقتولاً تحت أحد كباري لندن، وكان ببيتو كاللو قد أعطى للمدعو كالفى مبالغ طائلة ليدخلها في عمليات غسيل أموال؛ إلا أن البنك – وهو بنك الفاتيكان، واسمه بالتحديد بنك

«المؤسسة الخاصة بأعمال الدين» التابع للفاتيكان.. إلا أن رئيس البنك قد استخدم هذه الأموال في الصرف على عمليات سياسية يقوم بها الفاتيكان، وهي اختلاق حزب تضامن في بولندا، واقتلاع كنيسة لاهوت التحرر في أمريكا اللاتينية، وغيرها من الأحداث التى باتت معروفة.. وبذلك يعد – في نظر ببيتو كاللوا من المافيا، أن رئيس البنك روبرتو كالفي لم يقم بغسل الأموال في مشاريع ما وفقا لما طلبه منه، وإنما تم صرفها في مجال آخر، لذلك وجب قتله..

والغريب أن القضية لم تفتح رسميًّا إلا في 6 أكتوبر 2005، أي بعد الأحداث بثلاثة وعشرين عامًا، قام الفاتيكان خلالها، وتحديدا البابا يوحنا بولس الثاني، الذي دافع باستماتة عن كالفي، وخاصة عن الأسقف مارسينكوس الذي كان يترأس «المؤسسة الخاصة بأعمال الدين» وكلاهما أعضاء في المحفل الماسوني.. أما ليتشيو جللي الرئيس المبجل للمحفل الماسوني P2 فكان متورطًا مع المافيا ومع البنك في تمويل عمليات غير مشروعة.. وبتفتيش الفيلا الخاصة به تم العثور على 170 كيلو جرامًا من الذهب، وفي حسابه المصرفي في جنيف 36 مليونًا، إضافة إلى العديد من الوثائق الخاصة بالبنك والمشاريع الأخرى..

أما حقيقة مقتل روبرتو كالفي فيرجع إلى أنه كان يتباهى بمساعدته للبابا في العمليات المالية الخاصة بتمويل حزب تضامن في بولندا لاقتلاع اليسار، وخشية أن يقوم بالمساومة خاصة بعد إعلانه أن شخصيات كبيرة أخرى متورطة في القضية!

ومما تضمه جعبة ذلك البابا الراحل أيضا اعتذاره لليهود رسميًّا عما بدر من الكنيسة في حقهم. ففي عام 1986 قام بزيارة الكيان الصهيونى المحتل لأرض فلسطين، وفي عام 1998 أصدر وثيقة اعتذار رسمية بعنوان: «**نتذكر: تأمل في المحرقة**».. والمضحك أنه في قداس يوم 12 مارس 2000 طلب رسميًّا العفو عن كل ما بدر من أعضاء الكنيسة في حق الفرق المسيحية الأخرى، وقام بتحميل مسئولية محاكم التفتيش طوال الستة قرون على الأتباع الكاثوليك، فهم الذين قاموا بتنفيذ العمليات، وليس البابوات أو «الكنيسة» بمعناها المطلق «الإلهي»!

أي أن المؤسسة الكنسية خرجت عن كل ما كانت تكيله من تهم طوال ألفي عام تتهم فيها اليهود، ثم برأتهم رغم كل ما هو وارد من نصوص صريحة، واعتذرت لهم، كما

اعتذرت لباقي الفرق المسيحية، لكنها أبت الاعتذار للمسلمين عن كل ما بدر منها من قتل الملايين قديمًا أو حديثًا ولا عن مأساة شعب فلسطين الذي تتحمل الكنيسة الجزء الأساسي من محنته فلولا تبرئة اليهود من دم المسيح ثم الإعتراف بدولة "دينية" لهم لما تم ذلك على الإطلاق.

وإن كان لم يعد للفاتيكان أية جيوش رسمية يحارب بها، فقد قام بتكوين منظمات لا تقل ضراوة عن فرق الجيوش السابقة في قطع الرقاب، وتقوم بتنفيذ كل المخططات المطلوبة.

ومن الملفات المفتوحة حاليًا، وإن كانت تدور في الكواليس وفي محاولات عدة من التعتيم قضية تواطؤ الفاتيكان فيما يطلق عليه «محرقة اليهود»، من جهة، ومن جهة أخرى عملية تنصير العالم وفقًا لكاثوليكية روما، وهو القرار الناجم عن مجمع الفاتيكان الثاني (1965)، والذي تم فرض تنفيذه على كافة الكنائس وعلى كافة الأتباع، الكنسيين منهم والمدنيين.

لذلك لا تكف الكنيسة الفاتيكانية عن ترديد أنه لا خلاص إلا بالمسيح، ولذلك تفرض عملية الارتداد على أتباع الديانات الأخرى للدخول في كاثوليكيتها، ولو باستخدام العنف أو مختلف عمليات الدعاية والإقناع التي تصل إلى درجة غسيل المخ.. وفي سبيل إتمام هذا المخطط تستخدم جحافل جيوش المبشرين الذين يوجدون في كافة المجالات بلا استثناء، من المناصب السياسية والدبلوماسية إلى النشاطات الاقتصادية والاجتماعية والإعلامية والسياحية إلخ.. وهو ما كان البابا يوحنا بولس الثاني قد نص عليه في العديد من خطبه الرسولية أو أحاديثه أو حتى في الكتب الصادرة باسمه.

الأمر الذي يعلق عليه بيير هادوت في بحثه عن «الارتداد» قائلاً: «إن الرغبة في السيطرة على المواطنين بشتى الوسائل تعد السمة الرئيسية للعقلية الغربية الكاثوليكية»..

أما شارل فوديه الذي يعتبر أن المسيحية «أكبر عملية نصب على وعي الشعوب»، فيؤكد في كتابه المعنون: «**قضية المسيحية**»، أن المسيحية أكبر عملية نصب للسيطرة على العالم عن طريق الخبث والكذب. إذ يقول:

«الكنيسة الكاثوليكية، الممثلة المنحلة لما كانت عليه المسيحية البدائية، نمت وتطورت خاصة عن طريق الكذب، والخشية والعنف والثروة:

– بالكذب: بوعد السُّذَّج بسعادة في مكان افتراضي وبتزوير النصوص.

– بالخشية: بتهديد كل من يرفض الانصياع لها بشتى أنواع العذاب.

– بالعنف: بكل ما مارسته من عنف في الحروب الصليبية، والحروب الدينية ومحاكم التفتيش، ومذبحة سان بارتليمي، وعمليات القمع التي مارسها لويس الرابع عشر لفرض الكاثوليكية على البروتستانت، والرعب الأبيض، والحروب التي تسببت فيها بين الشعوب، مثال حرب 1871 وحرب 1914...

– وبالثروة: بالاستيلاء بأقذر الوسائل على الثروات الخاصة والعامة».. ومن أوصافه للمسيحية أيضًا: «إن المسيحية تتضمن أخطاء بشعة: من قبيل عقيدة الإنسان – الإله، وفي نفس الوقت هو نهائي ولا نهائي، مخلوق وغير مخلوق، جاهل وعليم، تألم ولم يتألم، إلخ.. ويا لها من كذبة طولها عشرون قرنًا. إنها سُبّة في جبين الإنسانية أن تنحني كل هذا الوقت أمام هذه الخزعبلات المجنونة».

ولا يسع المجال هنا لتناول قضية أخرى خاصة بالبابوية، ونكتفي بالإشارة إليها باقتضاب، ألا وهي: " **التاريخ السري للبابوية**"، بمعنى أنه بات من المعترف به وإن كان يتم محاصرة الحقائق فى نطاق العلماء والباحثين، أن هناك خطا مغايرا فى تسلسل قائمة البابوات المنشورة رسميا إلى درجة وجود بابا آخر باسم "بنديكت السادس عشر" فى القرن الخامس عشر! وليست هذه الواقعة بجديدة فقد كان فى القرن الخامس عشر أيضا بابا باسم يوحنا الثالث والعشرين كالذى وُجد فى القرن العشرين من 1958 إلى 1963!

فحوالي عام 1370 قررت البابوية، التى كانت قد استقرت فى بلدة آفينيون بفرنسا منذ مطلع القرن الرابع عشر، العودة إلى مقرها الأصلى فى روما. إلا ان البابا قد توفى فور عودته. وعندما حاول الكرادلة الإجتماع لإنتخاب خليفة له، هاجت الدنيا وماجت فى المؤسسة الكنسية، لأن معظم الكرادلة كانوا فرنسيين، بينما الشعب الإيطالى كان مصراً على أن يكون البابا من روما. واندلعت التهديدات، بل يقول

لوسيان هلديه أن الأهالى قد أعدوا محارق فى الطرقات لحرق الكرادلة الرافضين لمطلبهم! وتم الإختيار فى عجالة: البابا أوربان السادس. وكان الإختيار غير موفق فذلك البابا معروف عنه أنه غير عاقل وأنه قام بتعذيب ستة كرادلة ترددوا فى إنتخابه! وسارع الكرادلة بانتخاب بابا آخر هو: كليمانت السابع الذي عاد إلى مقر البابوية بمدينة آفينيون.. وبذلك أصبح هناك بابوان فى آن واحد أحدهما فى فرنسا والآخر فى إيطاليا وكل واحد منهما يعترف به جزء من الأتباع!

وعند وفاة أوربان فى روما قام المجمع المقدس بإنتحاب خليفة له، ووعد بأن يعيد للكنيسة الكاثوليكية إتحادها.. وفى هذه الأثناء توفى بابا آفينيون وتم انتخاب بابا جديد، ووعد هو الآخر بالعمل على توحيد الكنيسة، وهو القس بدرو دى لونا الذي اتخذ الإسم الكنسى بنديكت الثالث عشر، وقام البابوان بحرمان كل منهما للآخر، وشعر المجلس الموقر بالحرج وقاموا بانتخاب بابا ثالث هو: اسكندر الخامس، الذي سرعان ما اغتاله أحد الكرادلة لينصب نفسه بابا متخذ اسم يوحنا الثالث والعشرين!

ويوضح لوسيان هيلديه قائلا: " ونتيجة لهذا السيرك أصبح هناك ثلاثة بابوات يتقاسمون كعكة المسيحية"! فتدخل الإمبراطور الجرمانى سيجسموند وتم عقد مجمعا فى بلدة قونسطانس، وقام بإقالة هذا البابا الأخير، وحصل على تنازل بابا روما. أما بنديكت الثالث عشر فقد هرب إلى اسبانيا، واسس كنيسة منشقة تولاها بابوات من بعده يحملون أسماء: بنديكت الرابع عشر، والخامس عشر، والسادس عشر.. وقد استمر هذا الخلاف حتى أواخر القرن السادس عشر.. بل واستمر سرا طوال القرون التالية. وقد تناول الروائى جان راسباى هذه الجزئية من التاريخ البابوى فى رواية بعنوان: "**خاتم الصياد**" (1995).. وهو ما يذكرنا بأحداث رواية " **شفرة دافنشى**" للروائى دان براون، التى تناول فيها العديد من الحقائق التاريخية فى قالب روائى..

أما الباحث لوسيان هيلديه فيشير إلى أنه "إذا ما تتبعنا هذا الخط الإنشقاقى، وخط البابوات الذين نصبوا أنفسهم، سوف نصل إلى حقيقة أن كل الأساقفة الذين قاموا بترقيتهم غير شرعيين، وبالتالى فإن كل القساوسة الذين تمت ترقيتهم تباعا غير شرعيين، وكل المراسم الخاصة بالزواج والوفاة وغيرها كلها مراسم غير شرعية، وباختصار، فإن ذلك يعنى أنه منذ الإنشقاق الكبير فى الغرب فيما بين القرن الرابع

عشر والخامس عشر، فإن الكنيسة الحقيقية الكاثوليكية الرسولية والرومية لم يعد لها وجود!"..

البابوات والإسلام

إذا ما نظرنا إلى سلسلة البابوات من حيث موقفهم من الإسلام، لوجدنا أنه منذ بدأ الإسلام ينتشر والمؤسسة الكنسية تتصدى له بالفريات والأكاذيب والسلاح. فأول من هاجم الإسلام على أنه هرطقة من الهرطقات التي تعتري المسيحية هو يوحنا الدمشقي في كتابه المعَنْون «**نبع المعرفة**»، ووضع الإسلام الهرطقة رقم مائة، ضمن الهرطقات الأخرى الرافضة لتأليه يسوع، وهو ما يوضح كمّ الخلافات التي كانت عليها الكنيسة في القرن السادس والسابع. ونطالع في المقدمة التي تتناول عرض ودراسة هذه الهرطقة رقم 100: «إنه عمل هجومي عنيف، كُتب للتجريح والإدانة، مثله مثل الكثير من تلك الكتابات التي تغص بها النصوص المسيحية»..
وإن كان الهجوم على الإسلام قد بدأ بالكلمات فسرعان ما بدأت محاولات الحصار بالسلاح، وتواصلت حتى يومنا هذا وإن اختلفت المسميات والمحاولات، لكنها تتزايد فى إيقاع محموم.. وفيما يلي بعض النماذج لبابوات اشتهروا، أكثر من غيرهم، بمحاربة الإسلام والمسلمين.

يوحنا العاشر (914 – 928):

أول من نادي بطرد المسلمين من الحوض الغربي للبحر المتوسط، من جنوب إيطاليا وجنوب غربي فرنسا، وما بينهما من جزر كان التجار المسلمون يسيطرون عليها.

إسكندر الثاني (1061 – 1073):

أول من استخدم صكوك الغفران لدفع الأوروبيين لمحاربة المسلمين في أسبانيا. فقام نصارى أوروبا بقيادة رئيس فرسان البابوية بشن حرب على مدينة بربشترو شرق الأندلس (1064) راح ضحيتها أربعون ألفًا من المسلمين.

جريجوار السابع (1073 – 1085):

يعد مؤسس فكرة الحروب الصليبية على المسلمين في الشام ومصر.

أوربان الثاني (1088 – 1099) وأصبح قديسا عام 1881:

وضع الحملة الصليبية الأولى موضع التنفيذ في مجمع كليرمون عام 1095 بزعم أن «الرب يريدها» وأطلق على المشاركين فيها اسم «جنود المسيح»، وطالبهم بحياكة صليب على ثيابهم ورسمه على كل مُعدّاتهم. ولأول مرة في التاريخ تُعلن حرب صليبية باسم المسيح.. كما قدّم الحماية والمغفرة لكل من يساهم فيها، وأطلق على خط سيرها عبارة «الطريق إلى الرب»..

باسكوال الثاني (1099 – 1118):

أنشأ جماعة الاستبارية عام 1113 لرعاية مرضى بيت المقدس وسرعان ما تحولت إلى جماعة حربية شديدة التعصب.

كالكست الثاني (1119 – 1124):

أنشأ جماعة فرسان المعبد ومن أشدهم تعصبًا ضد المسلمين، وتم وضعهم تحت الإشراف المباشر لبابا روما الذي أغدق عليهم الإقطاعات والامتيازات ليتفرغوا لمحاربة المسلمين.

أوجينيوس الثالث (1145 – 1153):

أصدر مرسومًا يدعو فيه أوروبا لحماية المسيحية من عماد الدين زنكي الذي فتح مدينة الرها، واستجاب كل من ملك فرنسا وأسبانيا، إلا أن الحملة تحطمت عند دمشق.

جريجوار الثامن (1187/10/21 –1787/12/17):

على الرغم من عدم بقائه إلا شهرين في منصب البابوية إلا أنه سعى لإشعال الحرب الصليبية الثالثة على المسلمين وناشد حكام أوروبا وفرض عليهم ضريبة 10% على دخولهم عُرفت باسم «ضريبة صلاح الدين».

إينوسنت الثالث (1198 – 1216):

يعد أكثر البابوات محاربة للمسلمين وشنًّا للحملات ضدهم، وقام بتحويل الهجوم من الشام إلى مصر، ونجح في شن الحملة الرابعة لكن نظرًا للخلافات المذهبية بين الكنائس توجهت إلى بيزنطة بدلاً من بلاد المسلمين. وهو الخلاف بين البيزنطيين الأرثوذكس والكاثوليك، وتم نهب بيزنطة. ثم أرسل حملة أخرى عام 1216.

هونريوس الثالث (1216 – 1227):

استكمل شن الحملة الخامسة على المسلمين وأسند قيادتها للكاردينال بلاجيوس، وقاد الحملة على دمياط (1221) لكنها باءت بالفشل.

جريجوار التاسع (1227 – 1241):

من أكثر البابوات عداوة ضد المسلمين، وأصدر مرسومًا لحرمان الإمبراطور فريديك الثاني لتردده في المشاركة في الحملة الصليبية، وأجبره على الاشتراك في الحملة السادسة، واستطاع فريدريك أن يستولي على بيت المقدس بالتفاوض مع محمد الأيوبي ملك مصر، بلا أي معركة حربية فما كان من جريجوار التاسع إلا أن حرمه وأطلق عليه لقب الزنديق الأكبر، وهو يوبخه قائلاً: «إن الملوك الصليبيين يذهبون لسفك دماء المسلمين. وليس للتفاوض معهم»! وبعدها أبادت البابوية أسرة فريدريك الثاني.

إينوسنت الرابع (1243 – 1254):

أول بابا يفكر في تشكيل حلف مسيحي وثني ضد العالم الإسلامي لمحاربة المسلمين وإبادتهم تمامًا. لكن الحملة فشلت بسبب إصرار خان المغول على خضوع البابا

والأوروبيين لسلطانه، ثم دعا إلى حملة أخرى بقيادة لويس التاسع (1249) وأضفى عليه لقب قديس.

كليمنت الخامس (1305 – 1324):

اشتهر بقضيتين: إقامة السلام بين ممالك الغرب بعامة؛ ليتمكن من محاربة المسلمين، والأخرى قضية فرسان المعبد الذين تم القبض عليهم بمعرفته هو وملك فرنسا فيليب الرابع يوم 1307/10/13 وتمت إبادتهم جميعًا بعد محاكمات تلفيقية بمحاكم التفتيش وعمليات تعذيب وحشية. ومن بين الأسباب المطروحة ثراؤهم الفاحش ودخول العديد منهم في الإسلام، خاصة القيادات العليا، وهي قضية بحاجة إلى بحث في العديد من الاتجاهات، كما انشغل البابا بزيادة حملة صليبية موجهة ضد المسلمين في غرناطة، وإدخال تعلم اللغات الشرقية في الكليات اللاهوتية حتى يمكن محاربة الإسلام من نصوصه.

كلمينت السادس (1342 – 1352):

من الداعين لتكوين حلف صليبي مقدس ضد الدولة العثمانية الوليدة في آسيا الصغرى.

أوربان الخامس (1362 – 1370):

أول البابوات الداعين لحرب صليبية ضد العثمانيين بجنود من الأرثوذكس؛ لأن إمبراطور بيزنطة كان قد تحول إلى الكاثوليكية طمعًا في مساعدة البابا وأوروبا له. واستجاب ملك المجر وبولندا وأمراء البوسنة والصرب ورومانيا. لكن هذا الحلف هُزم قرب أدرنة، فقام البابا بتكليف بطرس الأول ملك قبرص بغزو الإسكندرية عام 1365، وارتكبت هذه الحملة مجزرة بشعة راح ضحيتها عشرات الآلاف من سكان المدينة وهرب قبل الرد عليه.

بونيفاس التاسع (1398 – 1404):

قام بتكوين حلف ضم فيه كل الأوروبيين الكاثوليك والأرثوذكس، وكان أكبر حلف في القرن الرابع عشر، في تاريخ صراع الكنيسة ضد المسلمين (1396).. ولأول مرة يحارب الكاثوليك جنبًا إلى جنب مع الأرثوذكس ضد المسلمين. وانتصر بايزيد على هذا الحلف في معركة نيكوبولس.

أوجين الرابع (1431 – 1443):

كانت الدولة العثمانية قد وقَّعت معاهدة سلام لمدة عشر سنوات مع الدول الأوروبية عام 1442، وكان البابا غير راضٍ عن هذه المعاهدة وحرَّض ملوك أوروبا لنقضها، واستجاب له لاديساس ملك المجر وغيره إلا أن العثمانيين أنزلوا به هزيمة ساحقة.

نيقولا الخامس (1447– 1455):

حاول توحيد صف المسحيين ضد المسلمين بعد فتح القسطنطينية.

بيوس الثانى (1458– 1464):

عندما يأس من جمع القادة المسيحيين فى حرب صليبية ضد السلطان محمد الثانى، أثناء مؤتمر مدينة مانتو، جازف البابا بيوس الثانى بعمل خطوة توضح رخص الضمائر فى فرض التنصير بأى وسيلة وبأى ثمن، إذ كتب خطابا للسلطان و راح يعرض عليه مختلف المزايا التى سوف يحصل عليها إذا قبل التنصير وإعتاق المسيحية، ومن هذه المزايا:

"(...) سوف نطلق عليك لقب إمبراطور اليونان والشرق، وما تستحوذ عليه الآن عنوة وتدافع عنه بغير وجه حق كل ذلك سيصبح ملكا لك حقا. وكافة المسيحيين سوف يبجلونك ويجعلونك الحَكَم فى خلافاتهم، وكل المقهورين سيبحثون عن ملجأ بالقرب منك على إنك حاميهم المشترك، وكافة بلدان العالم ستلجأ إليك. وكثير منهم سوف يخضعون لك تلقائيا، ويمْثلون أمام عرشك العدل ويقدمون لك الغنائم. وسيكون فى وسعك أن تقهر الطغاة وتساند الطيبين وتحارب الأشرار، ولن تصبح الكنيسة الرومية معادية لك إذا ما اخترت الطريق السليم. وأكبر الكراسى الأسقفية سوف

تحتضنك بنفس الحب الذي تحيط به الملوك الآخرين، إضافة إلى أنك سوف تكون الأعلى. وفى مثل هذه الظروف سيمكنك أن تغزو بسهولة ممالك أخرى بلا حروب وبلا إراقة دماء "(وارد فى كتاب بادينجيه: " **محمد الثانى المنتصر وزمنه (1481.1432)**"، صفحة 241)..

إسكندر السادس (1492 – 1503):

اشترى الأمير جم شقيق السلطان بايزيد الثاني من الأسر لدى فرسان القديس يوحنا، وساوم أخاه من أجل وقف المساعدات عن مسلمي الأندلس، ووقف تهديدات العثمانيين لسواحل اليونان. وعندما رفض بايزيد فكرة المساومة قام البابا بقتل الأمير جم.

يوليوس الثاني (1503 – 1513):

شكَّل حلفًا صليبيًّا ضد العثمانيين وكلّف البولنديين بالهجوم على مولدوفيا التابعة للعثمانيين وشجّع الرومانيين على الثورة ضد العثمانيين، وضم لهذا الحلف كل من فرنسا والمجر وإيطاليا.

بيوس الخامس (1566 -1572):

كانت أوروبا تعيش صراعات طاحنة وانقسامات سياسية بين الملوك والأباطرة، وصراعات بين الكاثوليك والبروتستانت. وحاول البابا توحيد قوى البلدان المتنافسة تحت قيادته، وإقناع ملك فرنسا بنقض عهوده مع العثمانيين. ونجح في هزيمة المسلمين في معركة ليبانتو عام 1571، وهي أول هزيمة بحرية ينالها العثمانيون منذ قرن تقريبًا.

جريجوار الخامس عشر (1621 – 1623):

أسس لجنة عقيدة الإيمان محاكم التفتيش الدينية، وأنشأ منظمة اليسوعيين وفرض الكاثوليكية على أوروبا وزايد على محاصرة الإسلام.

إينوسنت الثاني عشر (1691 –1700):

يمثل فشل الجيوش العثمانية في فتح فيينا عاصمة النمسا عام 1681، نقطة تحول في الصراع لصالح الصليبيين..

يوحنا بولس الثانى (1920-2005):

يكفي أن نذكر هنا بأنه أول بابا يتجرأ على إعلان "ضرورة تنصير العالم"، وذلك فى مدينة شانت يقب بإسبانيا، فى نوفمبر عام 1982، وهو ما لم يكف عن المطالبة به فى كل خطبه الرسولية والكنسية والسعى حثيثا لتنفيذه حتى بالتدخل لدى الحكام والمسؤلين السياسيين (راجع كتابنا: "الفاتيكان والإسلام" طبعات 1995، 2001، و2005). وهو الذي أوحى بفرض تقسيم القدس فى مؤتمر مدريد عام 1991، ذلك المؤتمر الذي أصبح الفاتيكان من بعده لا يتحدث عن "فلسطين" وأنما عن "الفلسطينيين"! كما أنه أول من إبتدع فكرة الصلاة الجماعية فى بلدة أسيز بإيطاليا، التى دعى إليها ممثلين من مختلف الديانات والعقائد بزعم الصلاة إلى نفس الإله من أجل السلام، رغم يقينه بأن المسلمين يعبدون الله الذي ليس كمثله شيء، بينما المسيحيون يعبدون إنسانا قاموا بتأليهه فى مجمع نيقية عام 325!

وفى عام 1992، بمناسبة مرور 500 عام على اكتشاف كريستوفر كولومبس للعالم الجديد وعملية التبشير التى أعقبته، وجه البابا يوحنا بولس الثانى رسالة إلى كافة أساقفة أمريكا اللاتينية مطالبا إياهم بعملية تبشير جديدة وأكثر فعالية قائلا: "إن التبشير الجديد لا يتطلب إنجيلا جديدا، وذلك لا يتطلب أيضا إعادة تغيير الإنجيل، حتى وإن بدا من الصعب للعقلية المعاصرة تقبله. فالثقافة ليست مقياسا للإنجيل، وإنما يسوع المسيح هو المقياس لكل ثقافة ولكل فعل إنسانى. إن عملية التبشير الجديدة تنطلق من مفهوم أن المسيح يمثل "ثروة لا تستقصي" (أفسوس 3:8) ولا أى ثقافة ولا أى حقبة زمانية يمكنها استنفادها، وأنه يتعين علينا دوما أن نوصله للناس حتى نثريهم. وهذه الثروات هى أولا المسيح نفسه، لأنه هو شخصيا خلاصنا ". ولا تعقيب لنا على رأيه فى الإنجيل واعتيادهم تعديله وفقا للظروف!

وفى عام 1990 كان قد اختار العيد الخامس والعشرين لمجمع الفاتيكان الثانى وأصدر وثيقة متعلقة بالتبشير هى: "المسيح الفادى". وفى هذه الرسالة أعلن البابا أن هذا التبشير الجديد ليس من ابتداعه لكن جذوره ترجع إلى وثائق مجمع الفاتيكان الثانى. وفى هذه الرسالة أعلن قائلا: " أرى أنه قد حان الوقت لكي تشترك كافة القوى الكنسية فى عملية التبشير الجديدة فى مهمتها إلى الأمم. فما من واحد من الذين يؤمنون بيسوع ولا أى مؤسسة كنسية يمكنها التخلى أو الإنسحاب من الواجب الأقصى وهو: التبشير بيسوع إلى كل الشعوب: (المسيح الفادى، بند 3)

بنديكت السادس عشر (2005.):

موقفه من الإسلام والمسلمين ليس بحاجة إلى تعريف، وتصريحاته المعادية والمغالطة حتى قبل أن تيرأس كرسى البابوية معروفة ومعلنة و لم تعد بخافية على أحد، فهو يسير على خطى سابقه بلا مواربة لتنصير العالم وفقا لكاثوليكية روما ، تنفيذا لقرارات مجمع الفاتيكان الثانى.

ويتواصل الصراع الكنسي ضد المسلمين ويتأجج في الحروب الاستعمارية ليصبح المبشرون جزءً لا يتجزأ من العتاد الحربي، وهو ما نراه في الواقع المعاش المحيط بنا في مختلف الصراعات الاستعمارية. كما تتواصل نفس عملية الإغراءات المادية والمعنوية التى يقدمونها لمن يقبل الإرتداد عن الإسلام ويخضع للتنصير بأى وسيلة وبأى ثمن..

وتتزايد عمليات تشويه الإسلام وإلصاق تهمة الشيطنة والنازية بعد أن ألصقوا به تهمة الإرهاب والإرهابيين. وفى شهر أكتوبر، الذي خصصه الفاتيكان للتنصير تحديدا، دونا عن بقية العام، تم إعتبار يوم 21 أكتوبر يوم التنصير العالمى. و فى أكتوبر 2007، قامت منظمة سانت إيجيديو المتخصصة فى التبشير والتنصير بتولى أعمال "مؤتمر من أجل السلام"، بمناسبة مرور 21 عاما على لقاء بلدة أسيز، وذلك من 21 إلى23 أكتوبر. وقد إفتتحه البابا يوم 21 أكتوبر، فى نفس يوم التبشير العالمى، وحضره مائتين شخصية دينية من جميع أنحاء العالم للإحتفال معهم،

وهـروَل مـن هـروَل مـن العـالم الإسـلامى، جهـلا أو مجاملـة، دون إدراك مـدى مـا يقدمونه من نتنازلات..

وفى نفس التوقيت من شهر أكتوبر 2007، تبنى تيار المحافظين الجدد ومنظماتهم إقامة أسبوع للتوعية بمخاطر "الفاشية الإسلامية" بين طلاب أكثر من 200 جامعة، فى آن واحد، بالولايات المتحدة..

ويتزايد التصعيد لتنفيذ ما طالب به مجلس الكنائس العالمى الولايات المتحدة، فى يناير 2001، على أنها السلطة العسكرية الوحيدة المتفردة فى العالم، لإقتلاع الإسلام فيما أطلقوا عليه "عقد إقتلاع الشر".. وبدأت طاحونة الأكاذيب والفريات بعد أن تلفعت بشرعية دولية بناء على مسرحية الحادى عشر من سبتمير، التى إختلقتها لإقتلاع الإسلام والمسلمين قبل 2010. وهو ما يفسر سرعة الإيقاع فى الهجوم والمحاصرة بكافة الوسائل فى كل الميادين!

ولا نقول شيئا عن إصراره على إثبات ان جذور أوروبا مسيحية وإغفاله ثمانمائة عام من الوجود الحضارى للمسلمين فى الأندلس وأوروبا، وأنه لولا هذا الوجد الإيجابى الممتد لما عرفت أوروبا العلم ولما خرجت من غياهب ظلماتها! كما لا نقول شيئا عن تعبيره وإصراره علنا وفى كافة خطبه عن ضرورة تنصير العالم وفقا لكاثوليكية روما، مستعينا بكافة الوسائل والإمكانيات حتى السياسية منها، وخاصة إصراره على غرس الكنائس فى أرض الحرمين الشريفين..

الفصل الثانى

التدمير المتعمّد

- مكتبة الإسكندرية
- الإقتلاع بالهدم والتدمير
- إبادة المخطوطات والنصوص

مكتبة الإسكندرية القديمة

دأبت المؤسسة الكنسية، فى حربها ضد الإسلام، على القيام بعمليات إسقاط لكل ما تعرضت له هى من مسالب أو لكل ما قامت به من هدم وتدمير لإقتلاع الآخر. ومن أشهر هذه الإسقاطات إلصاق تهمة حرق مكتبة الإسكندرية القديمة، الذي تم فى القرن الرابع الميلادى، إلى القائد عمرو بن العاص بناء على أمر من الخليفة عمر، أيام فتح مدينة الإسكندرية، فى القرن السابع!

وتقول الوثيقة الوحيدة التى استندوا إليها، وهي بقلم ابن القفطى، فى القرن الثالث عشر الميلادى، فى كتابه المعنون: "**تأريخ الحكماء**":

"ان الخليفة عمر قد أصدر أوامره للقائد عمرو بن العاص قائلا: "فيما يتعلق بالكتب التى ذكرتها، فإن كان فيها ما يوافق كتاب الله ففى كتاب الله عنه غنىً، وإن كان فيها ما يخالف كتاب الله فلا حاجة اليها، فتقدم باعدامها. فشرع عمرو بن العاص فى تفريقتها على حمامات الإسكندرية وإحراقها فى مواقدها كوقود لتسخين المياه. وقد استغرق حرقها ستة أشهر كاملة".

ولن نتناول الآن التعليق على هذه الفرية الواضحة، ونتركها لآخر هذا المبحث، لنعرض موضوع المكتبة منذ بدايته وكما تتناوله الوثائق الغربية المنصفة.

لم تكن الإسكندرية آنذاك مجرد مدينة مزدهرة، وإنما كانت بمثابة حضارة مكتملة، بمعنى أنها كانت تضم تلك الإنجازات التى يتركها عظام الرجال فى مجتمع تتعدى أبعاده نطاق الجغرافيا. فالنطاق التاريخى الواقع بين الفترة التى تم فيها تأسيس هذه المدينة على أيدي الإسكندر الأكبر، سنة 332 ق.م.، إلى الفترة التى تم فيها تدميرها على أيدي الأسقف تيوفيلوس والقساوسة التابعين له ومن بعدهم، فى القرن الرابع الميلادى، يعد بمثابة حقبة زمانية متفردة فى ازدهار علومها.

فقد كانت مدينة الإسكندرية تمثل عالما بأسره وأسلوب حياة فنية وفكرية وعلمية مترابطة الأركان. ونطالع فى موسوعة أونيفرساليس: "أن يكون المرء سكندريا لم يكن

يعنى انه من مواطنى هذه المدينة فحسب، وإنما يعنى الإنتساب إلى قيم حضارية فى عاصمة البطالمة، خلفاء الإسكندر فى مصر".. فقد كان لها أهمية كبرى أيام الرومان، وكان لها موقعا خاصا وآثارا تميزها. بل أضفت عليها شهرتها العديد من المسميات، ومنها: الجميلة، شديدة الجمال، خالدة الذكرى، المَلَكية، الشديدة البريق.. وكانت أكثر الصفات إستخداما " الكبرى".. وقد ازدهرت بها علوم الرياضيات والفلك والهندسة إلى جانب تألق المدارس الفكرية والفلسفية – وكلها مجالات تواصلت إعتمادا على ما كانت الحضارة المصرية القديمة قد وصلت إليه.

فمنذ بداية النصف الأول من القرن الثالث قبل الميلاد، أيام بطليموس الأول، امتلأت الأسكندرية بالمبانى الرائعة واكتمل شكلها المعمارى الذي حافظت عليه حتى نهاية العصور القديمة، بحدائقها الغناء ومبانيها اليونانية الطابع. وفى حى القصور، الذي كان يفترش ربع المدينة تقريبا، تم تشييد القصر الملكى على البحر، والمتحف والمكتبة الشهيرة، والسوما – قبر الإسكندر الأكبر، والسيرابيوم، المعبد المقام للإله اليونانى المصرى سيرابيس، ومعبد إيزيس، والسوق، والمسرح. بينما الفنار المشيد على جزيرة فاروس يكمّل تلك الروائع المعمارية.

وكان بطليموس الأول قد أمر بتشييد "الميوزيوم"، أى قصر ربات الفنون، الإلاهات التسع الشقيقات المُلهمات للغناء والشعر والفنون والعلوم والميثولوجيا الإغريقية، عام 288 ق.م. وكان يضم جامعة، وأكاديمية علمية، والمكتبة الشهيرة التى كانت تحتوي على سبعمائة ألف مخطوطة. وكان قد طلب من كل البلدان الشهيرة أن ترسل له أعمالا لكافة المؤلفين وأمر بترجمتها إلى اليونانية. كما كان يطلب من البواخر التى تتوقف بميناء الإسكندرية أن تسمح بأن يتم نقل وترجمة ما تحمله من كتب.. فكانت النسخ تعاد إلى البواخر ويتم الإحتفاظ بالأصل فى مكتبة الإسكندرية.

وأصبح "الميوزيوم" مركزا علميا عالى المستوى، يؤمه كافة العلماء، حيث يجدون كل ما يحتاجون إليه. وكانت عملية ترجمة كل هذه الأعمال إلى اليونانية تمثل عملا ضخما، استحوذ على كافة مثقفى البلد تقريبا. فقد كان يتعيّن على هؤلاء الأشخاص إتقان لغتهم الأم إضافة إلى إتقان اليونانية. وعند امتلاء المكتبة تم تشييد ملحق لها

قرب الميناء، وهذا الملحق امتدت إليه النيران عام 47 ق. م.، عندما قام يوليوس قيصر بحرق اسطول الإسكندرية.

ومن أشهر من قام بإدارة هذه المكتبة، الفلاسفة زينودوت الأفسوسى، وأرستوفان البيزنطى، وأريستارك الثاموتراسى، وأبوللونيوس من رودس. وكان آخر من تولى إدارتها هو العالم ثيون (Théon)، والد عالمة الرياضيات والفليسوفة الشهيرة هيباثيا التى كانت تدير مدرسة الأفلاطونية الجديدة بعد أفلوطين، وقام القساوسة بقتلها..

فقد رجمها القساوسة عام 415 بناء على أمر الأسقف سيريل، الذي جعلته الكنيسة قديسا سنة 1882، وماتت بأبشع طريقة إنتقاما منها ومن علمها. ويقول سقراط القسطنطينى (380 – 450) المؤرخ المسيحى، الرومانى الجنسية، والمتخصص فى التاريخ الكنسى: "إن القساوسة انتهزوا فرصة مرورها بعربتها وجرّوها عنوة وسحلوها ثم أدخلوها الكنيسة ونزعوا عنها ثيابها وضربوها بالهروات والأوانى ثم مزقوا جسدها ووضعوا تلك الأجزا فى كيس وصعدوا بها إلى "السينارون" وأحرقوها. مما أثار الإنتقادات ضد الأسقف سيريل وكنيسة الإسكندرية، إذ كان الموقف فى غاية الإحراج لمن يقولون إنهم أتباع يسوع ويقومون بتلك المجازر والإغتيالات. وقد حدث ذلك فى العام الرابع من ولاية سيريل، والعام العاشر من حكم هونوريوس، والعام السادس من حكم تيودوز، فى شهر مارس أيام الصيام"، (وارد فى كتاب "**التاريخ الكنسى**"، ج7، ص 14، ترجمة رومان تلميذ هيبوخانى).. وياله من إحترام لشعائر الدين الذي يفرضونه بالقتل والحرق!

وكانت المعارك بين المسيحيين والوثنيين قد بدأت حتى من قبل أن يسمح لهم الإمبراطور قسطنطين، عام 313، بممارسة مسيحيتهم مثل باقى العبادات فى الدولة. وفى مطلع القرن الثالث كف تعليم اللغة الهيروغليفية فى مصر واختفى علم التحنيط. ويبدو بكل أسف، كما نطالع فى موسوعة فيكيبديا، "أن دخول المسيحية مدينة الإسكندرية قد محى ذاكرة مصر تماما"!

ومع فرض المسيحية ديانة رسمية ووحيدة للإمبراطورية الرومانية فى عام 391 ميلادية، زادت المعارك بين الأسقف أريوس والأسقف أطنازيوس، القريب من السلطة، حول طبيعة السيد المسيح. ووصل إضتهاد الوثنيين إلى درجة غير

مسبوقة. فقد تم هدم كافة المعابد والتماثيل فى كل الإمبراطورية، ومُنعت الطقوس الدينية الوثنية كلها بينما تزايد النفوذ المسيحى بصورة كاسحة.

ويقول هنرى مونييه فى كتابه عن مصر البطلمية: أيام قسطنطين، الذي حكم من 323 إلى 337، كان معبد السيرابيوم فى الإسكندرية فى أوج تألقه كما كان يُعد قلعة العالم الهلينى. وقد قرر قسطنطين وقف الإحتفالات الوثنية التى كانت تقام فيه بسبب عداء الكهنة الشديد للمسيحيين. بل لقد اغلق المعبد فى يوليو 325 م، وهو نفس العام الذي تم فيه تأليه السيد المسيح. وبذلك بدأ أول هجوم على السيرابيوم، ذلك الهجوم الذي واصله تيوفيلوس أسقف الإسكندرية بشراسة حتى أتى عليه.

فقد جعل ذلك اللأسقف مهمته الأساسية هى اقتلاع الوثنية من مصر، خاصة وان الوثنيين كانوا لايزالوا أقوياء فى تلك الفترة ويهزأون من خصومهم. وكان السيرابيوم هو مكان تجمعهم مثلما كان محراب عبادة سيرابيس منذ ايام البطالمة الأوائل. وتحول المعبد بعد ذلك ليصبح مدرسة شهيرة تتواصل فيها تعاليم الأفلاطونية الحديثة بفضل هيباثيا التى طالعنا مصيرها..

وما أن وصل قرار الإمبراطور بإلغاء العبادة الوثنية حتى تزعم الأسقف تيوفيلوس القيام بإجراءات إستفزازية ضد الوثنيين، اندلعت على إثرها مظاهرة عارمة. " فما كان منه إلا أن تزعم بنفسه عصابة من الرهبان المسيحيين، على حد وصف هنرى مونييه، واستولى على حصن الإسكندرية العلمى وقام بنفسه بتحطيم تمثال الإله سيرابيس، تحفة الفنان المبدع برياكسيس، وجعل أتباعه يسيرون فى المدينة بأجزائه المحطمة. وعانت باقى المعابد من نفس المصير"..

"ولم يكن هدم السيرابيوم إلا حلقة فى سلسلة طويلة من الدمار الذي تمخضت عنه المسيحية فى صراعها الشرس ضد الوثنية"، ويواصل مونييه قائلا: "ان هذا الحدث كان له أصداء واسعة بسبب تزعم الأسقف تيوفيلوس له، ويقول العديد من المؤرخين أنه إفتعل هذه المظاهرة بالتواطؤ مع إيفاجريوس، حاكم الإسكندرية الرومانى، إستنادا إلى قرار الإمبراطور تيودوز" (صفحة 37). أما باقى المعابد التى لم يتم هدمها فقد تم تحويلها إلى كنائس.

ومن الغريب أن هذا الأسقف، تيوفيلوس السكندرى، المتوفى عام 412، وكان من المدافعين بشدة عن تأليه يسوع، والذي يحاول البعض تبرئته بإلصاق وحشية أفعاله التدميرية بالمسلمين، هناك مخطوطة من القرن الخامس تصوره وهو يقف أعلى معبد السيرابيوم ومكتبة الإسكندرية التى أحرقها! والصورة تمثله وهو ممسك بنسخة من الكتاب المقدس، ويقف منتصرا على ما دمره، ويُرى الإله سيرابيس داخل المعبد. ويوجد هذا الرسم على هامش حولية مسيحية كتبت فى الإسكندرية فى القرن الخامس الميلادى. أى أنه حتى ذلك الوقت كان معروفا وسائدا ان الأسقف تيوفيلوس هو الذي دمر السيرابيوم ومكتبة الإسكندرية.. ورغمها، يواصل المحرفون فرياتهم!

والنبذة القصيرة التى نطالعها فى المجلد الرابع لفهرس موسوعة أونيفرساليس الفرنسية (1996) عن تيوفيلوس السكندرى تقول: " تيوفيلوس، أسقف الإسكندرية من 384 إلى 412. وقد قام بدور من الدرجة الأولى فى السياسة المدنية والكنسية فى عصره. فقد توصل، بالإتفاق مع الإمبراطور، وبالقيام بالعديد من المعارك الدامية، إلى إقتلاع الوثنية من مصر وذلك بهدم المعابد الوثنية (ومنها السيرابيوم، عام 391) وبإقامة المبانى المسيحية بدلا عنها. إن الدور الذي لعبه فى المعركة المتعلقة بأوريجين وموقفه من يوحنا كريزوستوم (أى الفم الذهبى، لفصاحة لسانه)، جعل المؤرخون ينتقدونه بشدة. فبعد أن ظل لفترة من الوقت مؤيدا لأتباع أوريجين، تغير موقفه فجأة وقام بمهاجمة الرهبان التابعين لأوريجين فى صحراء وادي النطرون وأجبارهم على المنفى. وإضطرته هذه القسوة إلى الذهاب للدفاع عن نفسه فى القسطنطينية، حيث كان قد لجأ إليها قرابة خمسين راهبا كانوا فارين منه. وقد وصل تيوفيلوس محاطا بتسع وعشرين أسقفا مصريا ونجح فى كسب معركته بفضل العديد من معارفه فى البلاط الإمبراطورى، مطالبا عام 403 باستدعاء يوحنا كريزوستوم للمثول أمام المجمع. وأدت هذه الأحداث إلى النفى النهائى ليوحنا عام 404. إلا أن البابا إينوست الأول قد إعترض بعد ذلك على هذه الإدانة دون أن يتمكن من تبرئة يوحنا، وقام بحرمان تيوفيلوس الذي كان قد نسج هذه المؤامرة عن طريق وسائل عديمة الشرف" (صفحة 3593)..

وتكشف هذه النبذة، التى أوردناها بكاملها، عن مدى عدم أمانة القائمين على تلك المسيحية التى كانوا ينسجونها عبر المكائد والمؤامرات، وكيفية الإطاحة لا بالخصوم الوثنيين فحسب وإنما بنفس القائمين معهم على ذلك الدين!!

ومن الوثائق الغربية القديمة، يورد الباحث جى دفيتش فى كتابه عن "**حرب المخطوطات**" أن المؤرخ اللاتينى ليبانيوس (Libanios) أورد فى كتابه المعنون" **من أجل المعابد**" ما يلي: "من أكثر المندفعين حماسا فى حرب الجبابرة هذه هم الرهبان الذين كانوا يجوبون المقاطعات حاملين الهروات والروافع والشواكيش ليقوموا بكسر التماثيل وهدم المذابح والمعابد (...) وفى عام 391 قام تيوفيلوس أسقف الإسكندرية على رأس عدد من أتباعه المسيحيين بغزو معبد السيرابيوم وهدمه بعد أن سرقوا ما به ولم يتركوا إلا قاعدة المعبد لضخامة أحجارها".. (ترجمة رنيه فان لوى، بيزنطة، المجلد السابع، طبعة 1933).

وإضافة إلى قرار الإمبراطور تيودوز الصادر عام 393 م، والذي ينص على استكمال عملية إقتلاع الآخر، قائلا: "إننا نريد أن يتم هدم كافة المعابد والآثار الوثنية التى لا تزال قائمة ونأمر بأن يتم محو ذلك الدنس بإقامة العلامة المبجلة للديانة المسيحية، وسنحكم بالموت على كل من يخالف أمرنا هذا عن طريق القضاة المتخصصون" (Cod. Théo. XVI, p.125). وإضافة إلى قرار تيودوز هذا، هناك قرارات العديد من المجامع المسيحية التى تنص على مواصلة عملية الإقتلاع ومنها مجامع المدن الفرنسية التالية: آرل عام 573، ونانت عام 668، وروان عام 687، وخاصة ما قام به الإمبراطور شارلمان الذي اقتلع ما بقي من وثنية بصورة وحشية حتى وصفه المؤرخ آرثر كمب فى كتابه المعنون: "**مسيرة الجبابرة**"، بأنه "قد مارس التبشير بالقتل العرقى". وهو ما يوضح بأية وسائل تم فرض المسيحية فى كل الأماكن التى دخلتها..

وفى كتاب بعنوان "**شمس الله تشرق على الغرب**" (1963)، يقول الباحث الألمانى سيجريد هونكه (S. Hunke): " إن القرن الثالث يفتتح سلسلة من أعمال الهدم المنهجية، إذ قام الأسقف المسيحى بإغلاق الموزيوم وطرد كل المثقفين منه. وفى عام 366، تحت حكم الإمبراطور البيزنطى فالنس، تم تحويل السيزاريوم إلى كنيسة،

وحرق مكتبته بعد نهبها، ومطاردة فلاسفتها بتهمة ممارسة السحر. وفى عام 391 طلب الأسقف تيوفيلوس من الإمبراطور تيودوز الموافقة على هدم مركز حج القدماء وآخر قلعة علم باقية، السيرابيوم، والقيام بحرق مكتبته. وبذلك ضاع من الإنسانية إلى الأبد كنز لا يمكن تعويضة " (صفحة 217).

ويواصل الباحث بعد ذلك قائلا: "إلا أن اعمال الهدم التى يقوم بها المسيحيون المتعصبون لم تتوقف عند ذلك. إذ أن صديق الأسقف سيفيريوس من إنطاقيا يعترف بلا خجل أنه والأسقف قد كانا فى شبابهما أعضاء فى جمعية مسيحية شديدة النشاط فى الإسكندرية فى القرن الخامس، وقاما هما الإثنان بمعارك شرسة ضد المثقفين الوثنيين وهاجموا معابدهم وقاموا بتكسير تماثيلها وكل منشئاتها. وبذلك إختفت معالم الثقافة الهللينية الواحدة تلو الأخرى. وفى عام 529م تم إغلاق آخر مدرسة للفلسفة فى أتينا، وفى عام 600 تم حرق المكتبة المسماه "الإمبراطورية" التى أسسها أغسطس فى روما. وتم منع قراءة الأعمال الكلاسيكية ودراسة الرياضيات وهدم المتبقى من أبنية العبادات القديمة" (صفحة 218).

أى إن عمليات الهدم والحرق فى محاولة دؤوب لإقتلاع الآخر من جذوره لم تتم فى مدينة الإسكندرية وحدها وإنما تواصلت فى كل البلدان التى امتدت إليها المسيحية..

ويوضح سيجريد هونكه فى نفس الصفحة قائلا: "وعندما دخل العرب مدينة الإسكندرية عام 640، لم يكن بها أية مكتبة عامة. أما حريق المكتبة الكبرى السكندرية والذي تم إلصاقه بعد خمسة قرون بالقائد عمرو، فالعديد من الأبحاث الدقيقة سمحت بتأكيد ان هذه مجرد فرية، ويالها من فرية حقيرة.. وكم كانت سعادة من افتروها لإتهام "البرابرة"! والعكس هو الصحيح، ففى مسيرته الفاتحة المنتصرة، قدم فاتح الإسكندرية العديد من النماذج على عظمة التسامح لديه، فقد منع القيام بنهب وهدم المدن، ثم، ويالعظمة وغرابة ما أقدم عليه: فقد سمح لرعاياه الجدد بممارسة عبادتهم التقليدية".. أى إن المسلمين لم يقوموا بأية عملية لإقتلاع الآخر وسمحوا للمسيحيين واليهود بممارسة عباداتهم!

ويقول الفونس دان (A. Dain) فى كتابه المعنون " **المخطوطات**" (1980): "يقال عادة أن جنود الخليفة عمر أحرقوا معبد السيرابيوم وما كان يضمه من مكتبة شهيرة

فى هذه المدينة. وقد صدّقت تلك المقولة انا شخصيا، إلا انه يجب علىّ أن أعترف بخطائى، إذ ما أن رحت أتبين الأمر حتى وجدت أن من قام فعلا بحرق مكتبة الإسكندرية هم مسيحيو الأسقف تيوفيلوس. وهنا لا بد من توضيح أنه كان بالإسكندرية مكتبتين: مكتبة البروخيون، وكانت فى وسط المدينة، وقد هدمها أورليان سنة 273 حينما استولى على المدينة، ومكتبة السيرابيوم، التى هدمها الأسقف تيوفيلوس عام 391. ويقول القس أوروز، مؤلف " **كتب ضد الوثنيين**" عام 417، أنه عند مروره بالإسكندرية رأى " دواليب الكتب التى أفرغها رجالنا من محتوياتها" (الكتاب السادس، الفصل الخامس عشر)، وهذه الملاحظة سابقة على الفتح الإسلامى الذي حدث فى منتصف القرن السابع " (صفحة 189).

وما يؤكد أن الحرق والتدمير كان من عادة المسيحيين ووسيلتهم فى فرض عقيدتهم، القرار الذي أصدره تيودوز الثانى والذي ينص على: " حرق كل ما كتبه بورفير أو غيره ضد عبادة المسيحيين المقدسة لكيلا تقوم هذه الأعمال بإغضاب الرب"، وارد فى وثيقة: (Codex Theodosianus XVI,6,66). كما قام البابا جريجوار الأكبر (590 – 604) بحرق المكتبة المعروفة باسم "الإمبراطورية" فى روما. لذلك يقول جى دفيتش: " لقد تم تنصير التاريخ بالتدريج بخطوات متتالية منذ القرن الثانى، وتواصلت عمليات الهدم والحرق والإبادة ليبدأ ما أُطلق عليه "العصر الأسود" الذي إمتد ألف عام " – ويقصد عصر الظلمات الذي شاهد محاكم التفتيش والحروب الصليبية والحروب الدينية وتحريم العلم ومحاربة العلماء – وهو ما يتمشى قطعا مع نفس منهج حرق المكتبات وتدمير المعابد!

وكذلك تم حرق كل الأعمال التى كانت تتضمن الصراعات اللاهوتية مثل أعمال سيلسيوس وبورفير وحاكم بيت عانية والإمبراطور جوليان، وما بقي منها فهو معروف من الأجزاء المذكورة كإستشهاد فى الرد عليها!

وقد أورد المؤرخ إدوارد جيبون: "ان من حرق مكتبة الإسكندرية هو الأسقف تيوفيلوس، العدو اللدود للسلام والفضيلة، ذلك الجرىء الشرير ذو الأيادى الملطخة بالدماء والذهب على التوالى، وهادم السيرابيوم " (**قفول وسقوط الإمبراطورية الرومانية**، الفصل 28).

وعلى أواخر القرن الرابع وصل إضتهاد الوثنيين إلى ذروته، فقد تم هدم معظم المعابد، كما قد تم حرق وهدم باقى المكتبات الخاصة، وتمت محاربة العلوم والرياضيات والفلسفة وتم إغلاق المدارس الفكرية ليبدأ عصر إضمحلال رهيب فى مدينة اشتهر صيتها عبر العالم القديم كمنارة للعلم والتقدم.. فممن عملوا فى مكتبتها الشهيرة ونهل من دررها لمدة عشرين عاما، المؤخ استرابون وغيره..

أما عن ذلك النص العربى المزعوم، فأول ما نبدأ به هو رأى المؤرخ إدوارد جيبون، فى نفس مرجعه السابق الذكر، حيث يقول: "إن قرار الخليفة عمر يتناقض مع المبادىء الأصلية والسلمية لعلماء المسلمين، الذين يرفضون قطعا حرق أية نصوص دينية يهودية أو مسيحية تم الإستيلاء عليها فى المعارك الحربية".. وهذا مجرد تعليق منطقى واحد، يتمشى مع كل ما يقوله الأمناء من علماء الغرب المسيحى عن أخلاقيات المسلمين وتصرفاتهم فى البلدان التى حكموها.

وإذا ما نظرنا فيمن قال هذه المعلومة، وهو جمال الدين أبى الحسن على بن يوسف القفطى (568هـ /1172م . 646هـ /1248م)، لوجدنا فى موقع "المكتبة الوطنية لعلم الطب" فى مدينة أوكسفورد البريطانية: "ان له 26 مؤلفا، لم يبق منها سوى إثنين، أحدهما "**تأريخ الحكماء**" الوارد فيه هذا النص، غير ان هذا الكتاب ليس النص الأصلى وإنما تلخيص له بقلم الزَوْزَنى. والكتاب يضم 414 سيرة ذاتية مختصرة لأطباء وفلاسفة وعلماء فلك إضافة إلى العديد من الإستشهادات المأخوذة عن كتّاب يونانيين لم يّحتفظ بها فى الكتاب الأصلى"! وتحتفظ المكتبة الوطنية لعلم الطب بنسخة منه تحت رقم (Ms A 72). وقد قام بترجمته إلى الألمانية وطبعه العالم يوليوس ليبّرت فى مدينة لايبزيج سنة 1903.

وبعد خمس سنوات، أى فى عام 1908، طبع لأول مرة بالعربية على نفقة أحمد ناجى الجمالى ومحمد أمين الخانجى وأخيه، بعنوان "**تأريخ الحكماء**" ، وهو مختصر الزَوْزَنى المسمى بالمنتخبات الملتقطات من كتاب "**إخبار العلماء بأخبار الحكماء**"، وقد تمت مراجعته على كتاب ليبرت.

أما السياق الذي أتى فيه هذا الأستشهاد فلا يقل افتراء فى مغزاه من الفرية نفسها، إذ يقول النص أن الأسقف يحيى النحوى قد طلب من عمرو بن العاص أن يعطيه الكتب التى فى المكتبة قائلا: "قد أوقعت الحوطة عليها ونحن محتاجون إليها ولا نفع لكم بها"!

أى إن الأسقف وأعوانه، والغارق معهم فى الصراعات الدينية حول التثليث، وفقا لما هو وارد فى نفس صفحة القفطى، هم يقدرون العلم وبحاجة إلى الكتب لصونها من الضياع، وأما المسلمون الجهلاء فقاموا بتدميرها!!

ومن الواضح ان النص المزعوم الوارد فى كتاب القفطى كان عبارة عن إستشهاد من الإستشهادات المنقولة عن أحد اليونانيين المسيحيين، الذين يعنيهم تبرئة بنى جلدتهم من كل ما اقترفوه من حرائق وتدمير واقتلاع لتراث حضارة بأسرها. خاصة وأن الفترة التى كان فيها بن القفطى على قيد الحياة أو حتى السنة التى تم فيها عمل نسخة من ذلك الكتاب بعد وفاته بعام، بقلم الزَوْزَنى، فهى تقع فى قلب فترة الحروب الصليبية بكل ما واكبها من محاولات للنيل من الإسلام والمسلمين..

وإذا ما نظرنا من الناحية الدينية الإسلامية، لأدركنا لا معقولية هذه الفرية، فقد بدأ تنزيل كتاب الله العزيز بفعل أمر، وهو: "إقرأ"، كما أن ثانى سورة أُنزلت هى سورة "القلم".. أى إن أولى خطوات الرسالة الإسلامية بدأت بالحث على القراءة والكتابة، على دراسة الكتاب المسطور والكتاب المنظور فى رحابة الكون على إتساعه.. فكيف يمكن لعاقل أن يعقل فرية أن يقوم سيدنا عمر، وهو من صاحَبَ رسولنا الكريم، صلوات الله عليه، بأن يتفوه بمثل هذا الجُرم – لا فى حق العلم والعلماء فحسب، ولكن فى حق الدين الذي عاصر نشأته، وواكب أولى خطواته، وعمل على إنتشاره؟!

الإقتلاع بالهدم والتدمير

نتناول فى هذا الجزء من البحث ما قامت به المؤسسة الكنسية من تدمير واقتلاع للهوية فى المنطقة التى انصهرت فيها ونُسجت منها المسيحية، أى فى روما واليونان وضواحيهما، وإن كان ما مارسته من غل لتدمير وإقتلاع الآخر كان هو النمط الذي اتبعته فى كل المناطق التى امتدت إليها هذه الديانة الكاسحة لما عداها عبر شواطىء حوض البحر الأبيض المتوسط ومدنها!

إن العدد الضئيل المتبقى من أنقاض المعابد والمسارح وأقواس النصر وأكشاك الموسيقى أو حتى المدافن بكل ما تضمه من تماثيل وأعمال فنية، بل وكل ما يمكن لحضارة ضاربة فى التاريخ وتنوع الثقافات والعبادات أن تنتجه، لا يتمشى مع كم المبانى المتنوعة التى يتضمنها كتاب المؤرخ القديم بوزانياس والمعنون "وصف اليونان"، الذي كتبه فى القرن الثانى الميلادى.

وقد يتخيل المرء أن تلك المعابد المعدودة المتبقية فى اليونان أو فى غيرها من المناطق هى كل ما شيدته حضاراتها القديمة، كما قد يتصور أن عوامل الزمن هى التى أتت عليها أو على غيرها! إلا أن متابعة تطور التاريخ وأحداثه تثبت أن تقلبات الطقس بل حتى الزلازل بريئة من ذلك الدمار الذي اجتاح مختلف أنواع الأبنية العاكسة للحضارات القديمة وعباداتها السابقة على ظهور المسيحية وانتشارها.

وأهم ما يلفت النظر أن المعابد الوحيدة الباقية تقريبا هى تلك التى تم تحويلها آنذاك إلى كنائس.. ومنها معبد آثينا الذي تم تحويله إلى كاتدرائية سيراكوز. وهو ما يمكن ملاحظته فى مختلف البلدان الأخرى.

ويمثل حكم قسطنطين (306 –338) مرحلة مفصلية بين الحضارات الهللينية والرومانية المتعددة الديانات والعبادات. إلا ان المساندة السياسية التى قدمها قادة المؤسسة الكنسية لهذا الإمبراطور هى التى فتحت للمسيحية طريق الإنتشار. فقد كان المسيحيون فى بداية مشوارهم يرفضون الإشتراك فى الحروب والقتال لحرمة ذلك فى تعاليم السيد المسيح. إلا أن المساومة التى تمت بين المؤسسة الكنسية والسلطة السياسية، والتى تم بموجبها الإعتراف بالمسيحية كديانة من الديانات السائدة آنذاك،

فى عام 313، مقابل أن يتم تجنيد المسيحيين فى الجيش الإمبراطورى، هى التى تفسر استمرار بقاء تلك العقيدة الوليدة – حتى وإن كانت تمثل فى نفس الوقت خروج هذه المؤسسة عن تعاليم الدين تماما، وهو ما سوف يتكرر العديد من المرات طوال مشوارها عبر التاريخ.

ويقول جى ديفيتش: "أن إتّباع قادة الكنيسة لسياسة حاذقة المهارة قد سمح لهم بالوصول إلى أن تكون المسيحية ديانة وحيدة للدولة، وأن تتحول إلى سلطة عسكرية ذات نفوذ، وسلطة قمعية أساسا، راحت تقرض وتمحو بالتدريج الدؤوب التراث الفنى والفكرى الموروث عبر القرون السابقة حتى أتت عليه"..

وقد إتبع أبناء قسطنطين نفس خطواته فى حربهم ضد العبادات الوثنية، إلا أن تيودوز الأول (379 – 395) هو الذي استكمل مسيرة الهدم بضراوة. فكم من معابد تم استخدام حجارتها الضخمة فى بناء كنائس للديانة الجديدة. فتم إقتلاع معبد أرتميزيون بمدينة أفسوس، وكان قديما يعد أحد عجائب الدنيا السبعة، وذلك لجمال أعمدته المصنوعة من الرخام الأبيض الذي تشوبه تعاريج زرقاء، بارتفاع عشرين مترا. وكانت قاعدته المرتفعة مزدانة بتماثيل بالحجم الطبيعى. وقد تم هدم هذا المعبد التحفة المعمارية وتقطيعه، كما تقطع الذبائح، لبناء كنائس مسيحية!

وفى فلسطين تم هدم معبد هدريان فى مدينة القدس، ومعبد فينوس بجوار بحيرة طبرية، ومعبد إسكولاب فى سليسيا، ومعبد فينوس فى بعلبك، وذلك على سبيل المثال لا الحصر.. كما كانوا ينبشون المقابر والأبنية المحيطة بها وكسر تماثيلها وتحطيم توابيتها ونثر رفات جثثها لإقامة كنائس على أنقاضها.

ومن المتفق عليه بين العلماء واعتمادا على الوثائق التاريخية الموجودة، أن معظم المعابد الهللينية الضخمة وغيرها وكافة دور العبادة الوثنية الأخرى المتبقية قد تم هدمها بناء على مرسوم الإمبراطور المسيحى، تيودوز الثانى، إمبراطور الشرق، فيما بين 408 و450 ميلادية، والذي أمر بموجبه "أن يتم هدم كل ما بقي من الوثنية السابقة".

وقد انتشرت المسيحية فى بلاد الغال بنفس أسلوب الهدم والإقتلاع لإقامة الكنائس المسيحية تثبيتا لها. ويقول إيميل مال فى كتابه عن "نهاية الوثنية فى بلاد الغال":

"عندما نتأمل ما بقي من التماثيل والنقوش الوثنية ندهش من ذلك الإصرار على تجريحها وتشويهها إن لم يكن مجرد كسرها أو تحطيمها تماما. وكل ذلك بواعز من الأساقفة والقيادات الكنسية ".. وفى عام 388 تم حرق معبد كاللينيكم، وهو من أكبر المعابد، بواعز من أحد الأساقفة وأقره الأسقف إمبرواز فى ميلانو. وفى عام 389 تم هدم معبد أباميه، وقد مات الأسقف وهو يقوم ببداية الهدم بتفسه. وفى عام 390 كتب المؤرخ ليبانيوس كتابه الشهير "**من أجل المعابد**"، وهي وثيقة إدانة حادة ضد المسيحيين وأساقفتهم لكل ما يمارسونه من عمليات هدم للتراث..

وتراكمت الأنقاض فى مجمل بلدان الشرق الإمبراطورى إذ تضافرت جهود القساوسة والرهبان تحت قيادة الأساقفة والبابوات لهدم الآثار الوثنية فى مختلف البلدان التى امتدت إليها المسيحية لفرض بصمتها..

وقد أتى الإمبراطور جوستنيان فى القرن السادس على ما بقى من معابد وثنية لإقامة كنائس ضخمة للقديسين. وفى القرن السابع كانت المسيحية قد استقرت فى المعابد التى تم تحويلها إلى كنائس، ومنها: البانتنون فى روما، والبارتنون فى آثينا، والتيزيون.

ومن بين المعابد التى تم كسوة جدرانها بالملاط وتغطيتها برسومات تمثل السيد المسيح والقديسين، معابد النوبة فى مصر ومنها معبد أبو عودة، حيث كان المسيحيون الأوائل يلجأون إلى الصعيد، فى القرون الأولى، هربا من إضطهاد الرومان.

وتمت ممارسة نفس العمليات فى مختلف البلدان، وما لم يتمكنوا من هدمه كانوا يقومون بفرض معالم تنصيره بحفر علامة الصليب ورسم القديسين، لتتواصل عمليات الهدم والإقتلاع للتراث القديم لأكثر من ألف عام. وهو ما أطلق عليه جى ديفيتش "العصر الأسواد" لما اعتراه من قتل وهدم وحرق للناس وللوثائق بوحشية منقطعة النظير..

ويقول بيير جريمال فى كتابه عن "روما": "إن ما بقي من الآثار القديمة فى كل مكان قد تم تنصيره سواء بوضع الصلبان فوق المسلات، أو بوضع تمثال لأحد القديسين فوق أعمدة تذكارية مثل عمود تراجان، وتمثال لبولس الرسول فوق تمثال

مارك أورليوس.. ومن ناحية أخرى كان الهدم يتم بلا رحمة لكل ما هو آثار قديمة توجد فى طريقهم، أو يقومون باستخدامها فى المبانى التى يشيدونها، أو تحويل غيرها إلى جير بعد سحقها!

ففى القرن الخامس عشر فى روما وضواحيها كان إقامة أى مبنى جديد يعنى هدم أثر قديم.. فلكي يقوم البابا نيقولا الخامس (1447 – 1464) بتنفيذ مشاريعه الكنسية الضخمة قام بتحويل مناطق آثار روما القديمة إلى محاجر فى مناطق ترافان والفورم والسيرك الكبير فى الكوليسيوم. ففى عام واحد تم نقل الفين وخمسمائة عربة من تلك الأحجار الأثرية.

ويقول أوجين مونتز فى كتابه عن "الفنون فى بلاط البابوات فى القرنين الخامس عشر والسادس عشر": إن كل تلك الآثار من حمامات ومسارح وأقواس نصر ومعابد قد سقطت تحت معاول الهدامين التابعين للبابا نيقولا الخامس، فى نفس ذلك الوقت الذي كان يفتتح فيه عصر النهضة..

وهو نفس الموقف الذي إتبعه البابا سيكست الرابع (1471 –1484) حيال الأنقاض الأثرية الباقية من روما الإمبراطورية. فقد كان عهده الأسوأ بالنسبة لها. ففى شهر ديسمبر 1471 أصدر مرسوما للمهندس القائم على بناء مكتبة الفاتيكان، بأن يقوم بحفائر للحصول على الأحجار اللازمة لإستكمال البناء. ولم ينص المرسوم بالطبع على المكان الذي يمكنه الحفر فيه، لكن الأماكن الأثرية كانت معلومة وما كان عليه إلا إنتزاع الأساسات الباقية من تلك المبانى الأثرية. ويقول أوجين مونتز أنه قد تم أخذ من مبنى الكوليزيوم الذي كان لا يزال قائما الأحجار اللازمة لبناء "كوبري سيكست"، وهو الكوبري المسمى باسم البابا، وكذلك من معبد هيرقل وقوس النصر بجوار قصر سكايارّا كولونَّا. والطريف أن المرسوم الذي أصدره هذا البابا كان ينص على الحفاظ على الآثار المسيحية وعدم المساس بها!

وكم من أصوات إرتفعت للحد من ذلك الإقتلاع المتواصل والتدمير لمدينة الإمبراطورية القديمة، من قبيل إعتراضات المعلم جريجوار، الذي راح يعدد كم الآثار الباقية فى روما وضواحيها معترضا على تخريبها، أو فاوستو دى فرّو الذي كتب رسالة إحتجاج حادة للبابا سيكست الرابع لما كان يقترفه ضد آثار المدينة الخالدة.

وكلها أصوات ظلت تدين وتحتج، بينما البابوات يواصلون بنفس الدأب ولعدة قرون، يشيدون قصور عصر النهضة بتشويه أو بتدمير مبانى روما الإمبراطورية والوثنية.
ويقول الأثرى رودولف لانشانى فى كتابه المعنون: "أنقاض وحفائر روما القديمة" (1897): " لنفترض أنه كانت هناك عوامل تعرية أو عوامل طبيعية من قبيل الحرائق والزلازل والفيضنات أو حتى الأمطار والسيول والبرد والحر وكل ما يمكنه أن يؤثر كرد فعل طبيعى، إلا أن ذلك الإقتلاع الرهيب وذلك الهدد المتعمد يفوق رد فعل تلك العوامل ولا يمكن إلا أن يكون بفعل بشر.. بل ولا يمكن إرجاع ذلك إلى قبائل البربر، فكل ما كان يعنيهم فى غزواتهم هو نهب المحال والديار ثم الفرار – وكانوا يفرون كالعاصفة العاتية مثلما يغيرون. أما مسيحيو العصور البيزنطية وما بعدها، وسلسلة البابوات من بداية المسيحية حتى عصر النهضة، فقد كانت تصرفاتهم وإنعكاساتها أكثر دماراً على التراث من نيران وحمم بركان الفيزوف"!.
ومما يحكى تاريخيا أن البابا أوربان الثامن باربرينى قد أرسل إلى إدارة المسابك الرسولية أكثر من خمسين ألف رطل من البرونز المنزوع من هيكل بناء معبد البانتون فى روما، ليستخدمها فى بلدكانة القديس بطرس فى الكنيسة التى تحمل إسمه، وفى العديد من المعدات المعدنية لقصر الملاك المقدس، حتى أطلق سكان روما تلك العبارة الساخرة: "ما لم يفعله البرابرة، فعله آل باربرينى":
(Quod Barbari non fecerunt, Barberini fecerunt)..
ومن بين الأصوات التى إرتفعت إحتجاجا على ذلك الهدم المتعمد، فلافيو بيوندو (1388–1463)، وكان يعمل سكرتيرا رسوليا، وراح يندد " بتلك الأيادى غير الأمينة التى بدلت الأعمال الرخامية أو المنحوتة من الحجر وقامت بتدميرها لإستخدامها فى مبانى منفرة الشكل".. ثم يواصل حصرته على ما ضاع قائلا: "لقد أصبحت شجيرات الكروم تنبت على أرض كانت تكسوها روائع الآثار التذكارية، بعد أن تم تحويل أحجارها المنحوتة إلى جير.. وبجوار الكابيتول، أمام الفورم، لا يزال صرح الكونكورد قائما، وقد كان سليما عند زيارتى السابقة لروما، ولم يكن نزع منها سوى الكسوة الرخامية. أما اليوم، فقد هدموه وحولوه إلى جير"!

أما الفنان التشكيلى رفاياللو، وهو من أشهر فنانى عصر النهضة، فقد كتب عام 1519 إلى البابا ليون العاشر عريضة يقول فيها:

"لماذا نشكو من غزوات الغوط والفندال، فى الوقت الذي كان يتعيّن فيه على من يحمون ثروات روما التراثية من الضياع هم الذين عاونوا منذ فترات طويلة على هدمها ونهبها! فكم من البابوات فى نفس سلطتك قد تركوا المعابد الأثرية والتماثيل والعقود وكل تلك المبانى الرائعة التى كانت تمثل مجد من صنعوها، فأمروا بهدمها ونهبها! كم من البابوات سمحوا بعمل حفائر لإستخراج أرض خصبة؟ كانوا يحفرون تحت الأساسات لخلخلتها لكي تنهار بنفسها.. كم من تمثال أثرى قاموا بطحنها لتحويلها إلى جير؟ لذلك أجروء على قول إن كل روما الحديثة هذه والتى نراها حاليا تتألق فى عظمتها وجمالها وقصورها وكنائسها قد تم تشييدها بجير مستخرج من التماثيل الرخامية القديمة. ولا يمكننى أن أذكر – دون الشعور بالحزن العميق، أنه منذ وصولى إلى روما، منذ حوالي إثنى عشر سنوات، قد تم هدم العديد من الأبنية الأثرية الجميلة القديمة، من قبيل مبنى ميتا ورواق مدخل حمامات ديوكليسيان ومعبد كسيريس، فى الطريق المقدس، وجزء من أنقاض الفورم، الذي تم حرقه منذ بضعة أيام لتحويل رخامه إلى جير، وكذلك العديد من أجزاء البازليك التابعة للفورم وأعمدته! أنه عار على هذا العصر الذي نحن فيه أن يقبل حدوث مثل هذه التصرفات، ويمكن القول بأن هانيبال وغيره من الهمج أعداء روما لما استطاعوا أن يتصرفوا بوحشية أكبر من هذا "! _ وارد فى كتاب أندريه بيجانيول: "هدم روما القديمة بأيدى البابوات" (1964)..

ومع إنتصار المسيحية وفرض تفردها كديانة وحيدة دون سواها فى الإمبراطورية الرومانية، وفى كل ما تم غزوه من بلدان بحد السيف، ترسخت عقلية جديدة قائمة على تجفيف منابع العصر الهللينى ومختلف العبادات، سواء فى مصر وبلدان مابين النهرين وآشور وما جاورها من عبادات وثنية أخرى أو كل ما يمكنه أن يذكّر بها.. مما نجم عنه ذلك الهدم المنهجى المتواصل لكل ما أبدعته هذه الحضارات من ترث معمارية وثقافية وفكرية ودينية.. ولم ينج من هذا الهدم الغاشم الدؤوب إلا ما تم

تحويله آنذاك إلى كنائس مباشرة بعد طمس معالمها وتنصيرها، وذلك كنزع تمثال مينرفا ووضع تمثال للعذراء، أو نزع تمثال أحد الآلهة لوضع تمثال ليسوع أو لأحد القديسين، أو كل ما أعيد استخدامه بعد إنتزاعه من مكانه وتعديله تطويلا أو تقصيرا لوضعه فى المبنى الكنسى الجديد.. والمهم فى جميع الأحوال هو إقتلاع الآخر!

إبادة المخطوطات والنصوص

إن ما قام به المسيحيون من هدم متعمد لمختلف المجالات، والذي تزايد بإصرار أكمه منذ القرن الرابع، قد ترك آثارا سلبية ومضلّلة، لاتزال أصداؤها تتردد وتنعكس على إمكانية الوصول إلى الحقائق التى تم نسجها والتعتيم عليها. ومن أهم هذه الوثائق التى تمت إبادتها كل ما يمكنه إثبات عمليات التحريف والتبديل التى تمت لإختلاق هذه المسيحية، التى لا يعرف عنها السيد المسيح شيئا، إضافة إلى غيرها من مجالات الفكر والفلسفة والعلوم والآداب..

ففى عام 448، قام كل من الإمبراطور تيودوز الثانى فى شرق الإمبراطورية الرومانية، وفالنتينيان الثالث، فى غربها، بإصدار مرسوم يطالب بحرق كل ما كتبه الفيلسوف بورفير (234 – 305) أو أى شخص آخر ضد عبادة المسيحيين المقدسة، لعدم رغبتهما فى أن تؤدى مثل هذه الأعمال إلى غضب الرب أو أن تضير مسامع البشر إذا ما وصلت إليهم! وارد فى:

(Codex Théodosianus, XVI,6,66 ; Codex Justinianus I,1,3)

وكان قد سبقهما أباطرة آخرون باستبعاد بعض الكتب التى لم تروقهم أو تلك التى كان يمكنها كشف ما يقومون به من تحريف وتبديل للنصوص. إلا أن هدم أعمال بورفير كان يمثل " جريمة ضد الإنسانية " على حد تعبير أندريه بيجانيول. وبذلك بدأ ترسيخ القواعد الإجرامية التى حرمت الإنسانية من أعمال معظم المؤلفين القدامى، وذلك بحرق الكتب والمخطوطات التى كانت تمثل خطرا على المؤسسة الكنسية وعلى ما كانت تنسجه عبر المجامع وتفرضه قهرا عبر المعارك والإغتيالات، لتتواصل عملية تنصير التاريخ والوثائق!

وبينما كانت المؤسسة الكنسية تقوم بنسج هذه المسيحية، التى لا علاقة لها بما أتى به السيد المسيح من رسالة تسامح ومحبة وعودة باليهود الذين حادوا إلى رسالة التوحيد، جاهدت للإستحواذ على بعض المؤرخين لتقوم من خلالهم بتنصير المجتمع ووثائق التاريخ – بمعنى كتابته وفقا لأهوائها.. فتم التلاعب فى ترجمة أعمال المؤرخ

فلافيوس جوزيف إلى اللاتينية بصورة غير أمينة، وتم إدخالفيها فقرة عن يسوع، من بضعة أ سطر، ثبت زيفها لسبب بسيط وهو استمرارية النص الأصلى عند حذفها! وتم إختصار كتاب "التاريخ الرومانى" للكاتب ديون كاسيوس واستبعاد الكثير من النص الأصلى. ولم يبدأ ذلك التلاعب فى النصوص بهذه الجرأة الكاسحة إلا عندما أصبحت المسيحية ديانة للدولة عام 391، أى فى أواخر القرن الرابع.

وهي نفس الفترة التى قام فيها القديس جيروم بدمج وتعديل أكثر من خمسين نسخة مختلفة من الأناجيل، ليخرج العهد الجديد فى شكله الحالى تقريبا، وذلك بأمر من البابا داماز.. والطريف أن هذا القديس جيروم يعترف فى المقدمة التى كتبها لهذا العهد الجديد بأنه بدل وعدّل وغيّر فى النصوص، بل ويعلم أنه سوف يُتهم بالغش والتحريف والتزوير إلا أنه لا يعنيه، فقد قام بذلك بناء على أمر من البابا.. والأكثر طرافة من هذا أنه تم فرض هذا النص على الأتباع على أنه منزّل من عند الله وإن الله هو مؤلفه! بل ولا زالوا يفرضونه كذلك على الأتباع مع تعديل تبعية التأليف، فى مجمع الفاتيكان الثانى عام 1965، بأن الله قد أوحى للحواريين عن طريق الروح القدس!! ويالها من فريات..

وفى نفس هذه الفترة أيضا، أى فى أواخر القرن الرابع، تم اللجوء ببعض المؤلفين والإستعانة بهم لصالح العقيدة المليدة التى كانت تتكون عبر المجامع وفقا للأهواء والأغراض، بل كثيرا ما جرت المعارك بين هؤلاء "المتطوعين" لإعادة صياغة التاريخ، من قبيل تلك المعركة التى دارت بين كل من القديس جيروم (المتوفى عام 420) وروفين الأكويلى (المتوفى عام 410)، على الرغم من أنهما كانا يشتهران بالصداقة التى كانت تجمع بينهما!

وقد قاما الإثنان بعملية " تنقية " لأعمال أوريجين الذي أدانته الكنيسة، وكانت عبارة عن الفين عملا – وفقا لخطاب القديس جيروم رقم 33 إلى تلميذته باولا، وتقلص عدد هذه الأعمال الألفين إلى ثمانمائة عند ترجنتها إلى اللاتينية! وهي ترجمة عبثا فى الكثير من أجزائها. ويقول روفين فى مقدمته لترجمة كتاب "مبحث المبادىء" لأوريجين، أنه إتبع نفس خطوات جيرومفى ترجمته لكتاب "العظات": "عندما كان

يجد فى النص اليونانى أى مقطع فاضح، كان يمرر عليه المبرد ثم يترجمه بعد تنقيته، بحيث أن القارىء اللاتينى لا يجد ما ينافي العقيدة أو ما يحيد عنها"!

ويقول باردنهيوير فى كتابه عن "أباء الكنيسة، حياتهم وأعمالهم "(1905) "أن روفين يتعامل مع النص بحرية فائقة سواء من حيث الشكل أو المضمون". أما جوستاف باردى فيقول: "يمكننا أن نضع روفين، دون أن نظلمه، بين أشهر المزيفين الذين كان هو يدينهم، اما جيروم، فقد كان يقوم بالتصويب الأدبى، بالحذف اللبق والتحريف باسهاب" (**التحريف فى المسيحية**، مجلة التاريخ الكنسى، مجلد32، عام 1936).

ويواصل جوستاف باردى قائلا: " إن نماذج التزوير والتحريف تنتشر فى القرن الرابع، ةيبدو أن المزيفين والمحرفين قد اكتسبوا مهارة وجرأة مع تزايد أعمالهم الأدبية.. بل لقد وصل التحريف والتزييف إلى درجة أن يصبح النسق العام: يستخدمه الكاثوليك وخصومهم على السواء لتبادل الإتهامات". أما فى صفحة 290 فيقول: " ولا يوجد ما هو أغرب من قصة المجمع المسكونى السادس عام 680، فقد كان بالفعل مجمع تجار الأنتيكة والنصوص القديمة، إذ لم يتحدثوا طوال إنعقاده إلا عن النصوص التى تم تحريفها، وعن الخطابات الوهمية، والأعمال الإفتراضية. فقد كانوا يقومون بمقابلة النصوص ومضاهاتها، ويبحثون فى الأرشيف، ويضاهون التوقيعات عليها. ومنذ الدورة الثالثة فى نوفمبر 13 نوفمبر 680، أقروا أن كل محاضر المجمع الخامس قد تم تزييفها"!!

ومن القرن الرابع حتى القرن السادس توالت الأعمال التى تدين الوثنيين والكلاسكيين القدامى. وفى عام 447 أصدر البابا ليون الأول أوامره بحرق كافة الأعمال التى لا تتمشى مع الحقيقة الصادقة! أى تلك التى لا تتمشى مع ما تعلنه هى من أقوال وأفعال.. وبذلك استقر مناخ من معاداة الوثنية ويبغض ثقافتها ونصوصها، خاصة أولئك الأدباء والفلاسفة الذين يمكنهم الكشف عن منابع المسيحية التى ينسجونها..

وانحصرت الحياة الفكرية والفلسفية فى أرفف وأقبية الأديرة التى تولت إحتكار المخطوطات ليقوم القساوسة والرهبان بتنقيتها.. ويقول جى ديفيتش "أن الرهبان فى القرن السادس كانوا فى غاية الجهل وأبعد ما يكونوا عما نطلق عليه اليوم العلم

والدراسة. فكانت دراسة أعمال الوثنيين فى نظرهم أشبه ما تكون بعملية إرتداد عن دينهم! معتبرين أن الفم الذي يتغنى بالمسيح لا يمكنه أن ينطق العبارات التى أوحى بها الشيطان فى تلك المؤلفات"..

أما الفيلسوف والمؤرخ نيكولو ماكيافيللى (1469–1527) فيقول فى كتابه عن "خطبة حول تيت ليف"، نقلا عن جان دى سلزبورى كمعلومة مؤكدة: " أن البابا جريجوار الأكبر (590–604) قد أمر بحرق المكتبة الإمبراطورية فى روما". ويعجب ماكيافيللى من "ذلك الدأب العنيد الذي قام به القديس جريجوار الأكبر وغيره من القادة المسيحيين، ومن تلك المثابرة والإصرار على هدم كل الآثار الوثنية! إنهم يحرقون أعمال الشعراء والمؤرخين ويحطمون التماثيل واللوحات، ويبدلون ويحرقون أو يبيدون كل ما يمكنه أن يحتفظ بأى ذكرى من العصور القديمة. وإن كان فى مقدورهم استخدام لغة أخرى لقاموا بإبادة كل شىء حتى أطياف الآداب القديمة وظلالها"!

وقد عاون على استبعاد الآداب القديمة العديد من المعارك الكنسية والعقائدية الدائرة، ومنها معركة الأيقونات التى سيطرت على الساحة البيزنطية لأكثر من قرن، من 726 إلى 843. وهي المعركة التى سمحت لهم نهدم أو حرق العديد من المكتبات لأن كثير من النصوص كانت هوامشها مزدانة بالرسومات الفنية. وقد تولى هذه الحملة ليون الأيصورى أسقف بيزنطة.

ويقول لويس برهييه (L. Bréhier) فى كتابه عن "بيزنطة": "أن ليون الثالث قد أمر بجمع الحطب حول أكاديمية العلوم فى القسطنطينية وأشعل النار فى ثلاثين الفا من المخطوطات والكتب الفريدة ". وكان الهدف من هذه الحملة، على الصعيد السياسى، المساس بالسلطة الإمبراطورية الرومية وكنيستها التى كان رجالها يتكسبون من صنع وبيع الأيقونات والرسومات الدينية!

كما أدى نقص ورق البردي فى تلك الفترة إلى قيام الرهبان والقساوسة بكَحْت الكتب القديمة وإعادة الكتابة على بردياتها أو جلودها. إضافة إلى نفس جهل هؤلاء القساوسة والرهبان الذين كانوا يهملون فى المحافظة على الكتب أو صيانتها. بل

كثيرون منهم كانوا يستخدمونها لتغطية الأوانى أو لسد فتحات النوافذ، لأن أعمال الوثنيين فى نظرهم تلهى الإنسان عن التعبد!

وما من مؤرخ تمكن من ضحد ما أورده الكاتب الإيطالى جيوفانى بوكاتشيو (1313–1375) ووصفه لمكتبة دير مونتى كاسّينو التى كانت شبابيكها وأبوابها تقرع فى مهب الريح، بينما يقوم الرهبان بقص أجزاء من المخطوطات وبيعها للنسوة للتبرك بها، أو يكحتون أجزاء من النص ليكتبوا بعض التعاويذ.. ففى ذلك" العصر الأسود" كان الرهبان وحدهم هم الذين يقومون بتنقية النصوص وفقا لأهوائهم، أو بمعنى أدق، وفقا لمستوى تفكيرهم وجهلهم! ذلك لأن القيام بتصويب النصوص وتنقيتها من أية شوائب مخالفة للدين كان فى نظرهم بمثابة القيام بعمل ورع..

ويقول هنرى فوسيون (H. Faucillon) الناقد الفرنسى فى كتابه المعنون "**عام ألف**" (1952): "يجب علينا أن نتخلى عن تلك الفكرة الخرافية القائلة بأن الرهبان كانوا يسهرون طوال الليل لنقل أعمال المؤلفين القدامى وإنقاذها للأجيال القادمة: فالكتابات الوحيدة التى اهتموا بنقلها هى أعمال أباء الكنيسة. وفى القرن العاشر والحادى عشر لم يكن هناك من أعداء للأدباء القدامى وفلاسفتهم إلا أولئك الرهبان، خاصة من خضع منهم لعملية إصلاح دير كلونى"..

ومما تقدم يمكننا إدراك أن السبب الرئيسى فى إختفاء أعمال التراث اليونانى واللاتينى فى بداية العصور الوسطى لم كن غارات البرابرة وإنما تلك العقلية الشديدة التعقيد الناجمة عن المسيحية والتى كان كل ما يعنيها هو التعتيم على الأصول التى كان قادتها ينسجونها وفقا لأغراضهم. ولم يدرك عقلاء الغرب فداحة ما خسره فى تلك العصور إلا عندما بدأ البحث عن المخطوطات المتعلقة بهؤلاء الأدباء القدامى.

وفى خطاب لأحد أصدقائه، كتب بودجيو عن دير سان جال قائلا: "إعلم أن الكتب هنا ليست مصانة بالعناية الواجبة لأهميتها، إنها تقبع فى زنزانة رثة مظلمة فى أسفل قاع البرج.. أنه مكان لا يجروء المرء أن يسجن فيه أحد المجرمين.. وتكفى زيارة أحد هذه "المراحيض" التى يُلقى فيها هؤلاء البرابرة مساجينهم لتلتقى بأعمال أحد مثقفينا الذين إعتقدنا نت زمن بعيد أنهم إندثروا"..

بينما راح ليوبولد دى ليل يصف الحالة المذرية التى وجد عليها مكتبة دير كوربى فى القرن السادس عشر: "لقد وصل هؤلاء الرهبان إلى درجة من الجهل، باعترافهم، وإن إغلبهم ينسخ دون أن يفقه الكلمات التى يقرأها. الأمر الذي أدى إلى إهمال وأخطاء، بل وصل بهم الحال إلى بيع أو إهداء هذه المخطوطات بلا تمييز لأهميتها"..

وساد نفس الحال فى كافة الأديرة وعانت الكتب من نفس المصير. وعلى مر القرون لا يمكننا إلا الجزم بأن هؤلاء الرهبان والقساوسة قد أبادوا إلى الأبد ما لا يمكن تصوره من تراث فكرى للإنسانية. فعلى مدى ألف عام من الظلمات الناجمة عن عقلية لا تعرف شيئا عن التسامح تمكنت المؤسسة الكنسية من هدم وتدمير آثار ونتاج فكر الحضارة القديمة..

ومنذ القرن الرابع عشر بدأت بودر روح فكرية تشق طريقها رغم الظلمات والتعتيم. ويعد الشاعر بترارك (1304–1374)، العدو اللدود للجمود الفكرى، من أول من راح ينقب فى المكتبات، وهو المتطلع إلى المثل العليا من الجمال والصدق، أذ لم يجدها فيما يحيط به من مناخ قمعى. وبدأ البحث عن المخطوطات فى المراكز الثقافية لأوروبا الغربية، متوقفا عند كل الأديرة ليجمع المعلومات، حتى أطلق عليه البعض لقب " أول صيادى المخطوطات"! وكان أول ما عثر عليه هى مخطوطة للكاتب تشيتشرونى فى بلدة ليبج الفرنسية.. وبدأت تظهر مخطوطات لأسماء تم دفنها منذ زمن بعيد، ومنها "تاريخ القياصرة" وهي مجموعة من الأعمال التى تحكى قصة حياة الأباطرة الرومان منذ الإمبراطور هدريان (117–138) حتى ديوكليسيان فى أواخر القرن الثالث الميلادى.

وقد أدى ما أمكن العثور عليه من مخطوطات فى تلك الفترة، إضافة إلى تطور آلة الطباعة منذ عام 1445، إلى إبتعاث ما يطلق عليه عصر النهضة، لتدب الحياة الفكرية والفنية والثقافية وتبدأ مسيرتها لإزاحة الظلمات التى فرضها الطغيان الكنسى، إعتمادا على ما خلفته الحضارة الإسلامية من تقدم وإنجازات فكرية وعلمية وحضارية.

إلا أن المؤسسة الكنسية لم تتحمل فكرة أن ينتشر العلم والبحث العلمى وإمكانية إنكشاف أمرها وكل ما مارسته من تعتيم على مر العصور، ففى عام 1542 قام

البابا بولس الثالث بإنشاء المكتب المقدس، أى محاكم التفتيش الكنسية التى يقع على عاتقها محارة الهرطقة وكافة الآراء المشكوك فيها من وجهة نظر الكنيسة. والهرطقة – كما رأينا، هى كل ما يتعارض مع ما تنسجه وظلت تفرضه لمدة قرون.. وامتد نفوذ محاكم التفتيش إلى كل ما امتدت إليه المسيحية من بلدان.

وفى عام 1543 بدأت طباعة كتالوج "**الإندكس**" أى قائمة الكتب التى يمنع الكرسى الرسولى أتباعه من قراءتها. وبعد عامين، أى فى 1545، إنعقد مجمع مدينة ترانت، الذي إنتهى عام 1563، ويعد بمثابة الرد الكاثوليكى على ثورة الإصلاح البروتستانتية. ومن ضمن قراراته القمعية: عدم السماح للأتباع بقراءة الكتاب الامقدس إلا بمساعدة قس ليؤكد على ترسيخ عقيدة مساواة المسيح بالله عز وجل، وحلول المسيح فى الخبز والنبيذ الذي يتحول فى معدة الأتباع إلى لحم ودم المسيح حقا وفعلا! وهو ما يوضح مدى الإعتراضات التى كانت تقابلها هذه العقيدة منذ إختلاقها وصياغتها فى المجامع الأولى حتى القرن السادس عشر!

وإذا ما قمنا بحصر ما قامت المؤسسة الكنسية بحرقه وتدميره منذ قرارات الإمبراطور تيودوز الأكبر والأساقفة التابعين له، لوجدنا أن أول وأهم الأعمال التى تمت إبادتها هى تلك التى كانت تتضمن الصراعات الهامة ضد المسيحية وما يتم بها من تحريف وتغيير للنصوص، ومنها: أعمال سيليوس وبورفير وحاكم بيت عانية والإمبراطور جوليان.

ويوضح الباحث والأستاذ الجامعى الفرنسى لويس روجييه (L. Rougier) فى كتابه عن "سيلسيوس، أو صراع الحضارة القديمة والمسيحية الأولى" (1925): "يمكننا قياس كيف كانت الرقابة الكنسية جذرية، لا بحرقها كتاب بورفير المعنون "ضد المسيحيين"، الذي إختفى، وإتما إبادة الردود التى قام بها كل من ميتوديوس الأولمبى ويوسبيوس القيصرى وأبوللينير من لاوديسيا وفيلوستورج. ولم يبق سوى أربع مخطوطات من النقد الذي كتبه مكاريوس ماجْنس والذي يضم بضعة إستشهادات من بورفير والمخطوطة التى إطلع عليها فرانسوا دى لا تور، فى القرن السادس عشر إختفت فيما بين 1552 و1637.. ومخطوطتان أخريان كان قد أشار إليهما يانوس لاسكاريس فيما بين 1491 و1492، إحداها فى كوريليانو والأخرى فى دير مونت

ساردو، لم يتمكن أحد من العثور عليها. وفى عام 1887 سُمح للعالم الفرنسى بلونديل بنسخ مخطوطة مكاريوس، وكانت ملكا لأبوستوليدس، أحد أمناء المكتبة العامة فى أثينا. ووجد أنها مبتورة الأجزاءُ م إختفت من مكتبة أثينا "لأسباب لاهوتية"، وفقا للباحث هارناك"..

وقد وصف الباحث لابريول (Labriole) كتاب سلسيوس بأنه أول تحقيق متعمق قام به أحد الوثنيين ضد المسيحية. أما الكاتب إميل بويخ (E. Puech) فيقول: "أنه أروع وأعنف هجوم من بين كل ما تمت ممارسته من نقد من جانب الوثنيين ضد المسيحية".. وإن خرجنا من هذا الإستشهاد بشىء، فهو إستمرار ملاحقة المخطوطات والوثائق التى يمكنها أن تكشف عن حقيقة وخبايا تلك المؤسسة الكنسية.

أما كتاب الإمبراطور جوليان المعنون: "ضد الجليليين" فقد عرف نفس المصير الذىتعرضت له أعمال بورفير. ويوضح جى ديفيتش قائلا: "إن هذا الكتاب كان يتداول سرا لمدة ستة قرون تقريبا إذا ما استندنا إلى أسماء الذين قاموا بالرد عليه من الكتّاب التابعين للكنيسة. وحتى هذه الإنتقادات قد إختفت باستثناء رد سيريل السكندرى. إلا أن كتابات هذا المدافع السكندرى والتى تحدث فيها عن حياة يسوع قد إختفت، بل إن المراسلات الخاصة بالإمبراطور جوليان قد تم استبعاد العديد من الأجزاء منها"..

ونطالع فى كتاب ديفيتش معلومة لها مغزاها، فإذا ما كانت الرقابة الكنسية قد أبادت كل أعمال النقد للوثائق القديمة، فإنها لم تتمكن من محو النصوص العبرية الحاخامية وحرقها بالكامل، وإنما قامت باستبعاد أجزاء بعينها من التلمود، وهى "الأجزاء المتعلقة بالمسيح، وذلك سواء بأيدى الرقباء الكاثوليك وأعضاء محاكم التفتيش، أو بأيدى اليهود بالضغط عليهم عن طريق رجال محاكم التفتيش".

وبذلك اختفت أعمال كثيرة لكل من جوست الطبرى، وكان عدوا للمؤرخ فلافيوس جوزيف، وأعمال أكثر مؤرخى العصر الرومانى من أمثال سينيكا وسرفيليوس وروفوس وروستيكوس وأوديفيوس باسوس والعديد غيرهم.

وفى هذا الجو المشحون بعدم التسامح وعدم قبول أية إنتقادات جادة إلى درجة حرقها أو إبادتها، كيف أمكن لتلك النصوص التى كتبها المؤرخون القدامى أن تجتاز حاجز القرارات الإمبراطورية والرقابة الكنسية؟

ويوضح جى ديفيتس أنهم قد حاولوا فى البداية إجراء عملية "توفيق" و"تلفيق" لما يمكن توفيقه، وذلك بتعديل أو بإدخال إضافات لصالحهم، كما كانوا يقومون بعمليات تحريف للنص فى كل نسخ أعمال القدامى وفقا لخطة معدّة مسبقا ومفروضة من القيادات العليا. وابتداء من القرن الرابع، عند إنتصار المسيحية بدأوا بتعديل بعض الفقرات ثم يصبح هذا الجزء المعدّل هو الأصل الذي يتم نسخه، وهكذا..

ويمكن ملاحظو حقيقة أخرى وهي: وجود فجوات هامة فى الحوليات الرسمية رقم 5 و6، التى تتناول نهاية عام 29 ميلادية وعام 30 و31، وغياب أى نص متعلق بهذه الفترة تماما. وهي الأعوام المعاصرة لأحداث أواخر أيام يسوع، كما هى واردة فى الأناجيل، وخاصة تلك التى من المفترض ان تكون دارت فيها عمليات صلبه وبعثه كما يقولون.. إذ لا توجد لها وثيقة خارج ما كتبوه فى الأناجيل..

ويمكن ملاحظة ذلك أيضا من غياب النصوص المتعلقة بهذه الفترة فى أعمال تاسيتوس، أو من الحالة المذرية التى توجد عليها أعمال فلليوس باتركولوس، من كثرة ما به من تلاعب بالنص. فبخلاف ضياع الأجزاء المتعلقة بمحاكمة يسوع وصلبه المزعوم، فإن ما لم يمكن بتره قد تم تحريفه.

ويؤكد جى ديفيتش إن كل هذا التشويه الملاحظ فى النصوص يؤكد فرضية البتر العمدى للنصوص المتعلقة ببداية تكوين المسيحية: "إننا حيال عملية رقابة إنتقائية تمت عن طريقين: قيام القساوسة باستبعاد أجزاء للإيحاء بأن الفقرات الضائعة كانت تشهد بوجود يسوع، فى حين أنها كانت لا تتحدث عن هذا الموضوع – سواء لأن يسوع لم يكن موجودا، أو لأن المعاصرين له لم يضفو على وجوده أية أهمية ، سواء بقيام القساوسة بإعادة صياغة هذه الأعمال لأن هؤلاء المؤرخون قد أشادوا بصورة أو بأخرى إلى يسوع ، لكنهم كانوا يتناولونه بصورة مخالفة لتلك التى تفرضها الأناجيل. إن إختفاء مجمل أعمال هؤلاء المؤرخين و"تشذيب" أعمال تاسيتوس وفلليوس باتركولوس كان الغرض منه التعتيم على صياغة وقائع بعينها، تختلف عن تلك التى

يقدمها أنصار يسوع. وبعبارة أخرى، إن الأناجيل تقدم لنا وجهة النظر المسيجية، فى حين أن المؤرخين قد تناولوا أحداث تلك الفترة من خارجها. فالملاحظ أنه لا سيلسيوس ولا بورفير ولا الإمبراطور جليان ينكرون مصلوب بيلاطس البنطى: إن ما ينكرونه هو تأليهه وبعثه. وما ينتقدونه هو ذلك الصخب المفتعل من حوله، ويعتبرون يسوع شخصية تم تجميعها"..

وإذا ما أخذنا سلبيات الموقف الكنسى من خلال هذا الحصاد الشديد الإيجاز، لكل ما عانت منه النصوص والأصول من عمليات حرق وبتر وتحريف وتبديل، فمن الواضح أن الرقابة الكنسية قد تمت بهدف واضح محدد – كما يحدده الكثير من العلماء الذين تناولوا هذه الجزئية، هو: إبادة كل ما يمكنه أن يمس كيفية تكوين ونسج نشأة المسيحية. وإن الإعتراف بالمسيحية كديانة رسمية للدولة الإمبراطورية عام 391 قد أسقط على العصور القديمة وابل من العداء وعدم التسامح الدينى الذى لا سابقة له فى تاريخ الحضارات!

فلمدة ألف عام تحكم رقباء المؤسسة الكنسية فى تغيير معالم التاريخ وتزييفه، وذلك باستبعاد كافة الأعمال التى تكشف عن الصراعات الداخلية وعن الإعتراضات التى واكبت مسيرتها، وأنه قد تم التلاعب حتى فى النصوص المتعلقة بالعهد القديم واستبعاد إية إشارة ليسوع بها. كما قاموا بإبادة أعمال المؤرخين الأساسيين فى القرون الأولى، زما وصلنا منها قد تم التلاعب فيه، خاصةباستبعاد فترة أعوام من 29 إلى 31، التى وُجد بها يسوع..

مما يكشف عن أن عملية الإقصاء هذه كانت تتم وفقا لبرنامج رقابى شديد يرمى إلى فرض وجهة نظر بعينها دون سواها هى: ما قامت الأيادى العابثة بنسجه عبر المجامع على مر العصور بكل جبروت وتحكّم بكافة الوسائل، بل فى أغلب الأحيان بصورة وحشية لا تعرف شيئا عن الرحمة أو التسامح.

الفصل الثالث

الآلة الحربية

- محاكم التفتيش
- قتل الساحرات
- الحروب الصليبية
- الحروب الدينية
- فرسان المعبد

محاكم التفتيش

ما أقل عدد الذين يعرفون حقًّا التاريخ الدموي للمؤسسة الكنسية حتى بين المسيحيين أنفسهم.. فقد ارتبط اسم الكنيسة على مر العصور بما أطلقوا عليه اسم «محاكم التفتيش المقدسة»؛ لتقود الحروب الصليبية وتتبع الساحرات وتواصل التعتيم، وهي تردد «أن الله محبة» في الوقت الذي تقوم فيه بحرق كل ما ومن يخالفها بتهمة الهرطقة فكان يُسجن ويُعذب ويُقتل أو يُحرق حيًّا، وهي تلوك عبارة «أحبوا أعداءكم، باركوا لاعنيكم»! وظلت تخوض الحروب الدينية السياسية وتحرق المؤلفات وتمحو أية آثار تثبت كل ما قامت به من تلاعب وتحريف في النصوص، وتتواصل اللعبة..

لقد تمت إبادة ملايين البشر بمباركة من يزعمون أنهم خلفاء «ربنا يسوع» الذي ابتدعوه، وبمعرفة من يطلقون على أنفسهم «خلفاء الرب» لكي يُخْضِعون الأتباع للجهل ويُغْرقونهم في غياهب الظلمات بينما يقومون بجمع الثروات واقتلاع كل ما ومن يعترض أغراضهم.. لقد أبادت الكنيسة ملايين البشر لفرض ما نسجته من عقائد ولاهوت، وتقيم لأكثر من ألف عام من الجرائم والأكاذيب والفريات بغية الاستحواذ على السلطتين الدينية والمدنية.

وأول ما قامت به المؤسسة الكنسية هو منع الأتباع من قراءة الإنجيل، ومنع الشعب من تعلم القراءة، حتى لا يتمكن أي شخص من معرفة ما تقوم بنسجه أو تغييره في النصوص؛ بحيث تحولت إلى هيئة من الجلادين عبر التاريخ. وقد وصف الملك فيليب الرابع ملك فرنسا، رجال محاكم التفتيش قائلاً: «تحت ثياب الرأفة والرحمة قاموا بارتكاب أكثر الأعمال الإجرامية بزعم الدفاع عن الدين!»

واستمر التعتيم؛ إذ نطالع في أحد النصوص الكنسية في القرن السادس عشر أن أحد الكرادلة قد نصح البابا يوليوس الثالث (من 1550 إلى 1555) بكيفية الحفاظ على السلطان الكنسي قائلاً:

"يجب أن تظل اللغة اللاتينية وحدها هي لغة الأناجيل وألا يسمح بترجمتها إلى اللغات الحديثة إلا في البلدان الخاضعة لسيطرتنا، والقدر القليل الذي يُقرأ في القداس

كافٍ، ويجب أن نمنع أي أحد من قراءة المزيد. وطالما اكتفى الشعب بذلك القدر القليل، فإن مصالحكم سوف تزدهر، لكن طالما حاول قراءة المزيد فإن مصالحكم سوف تعاني. فهذا الكتاب، ودونًا عن أي كتاب آخر، هو الذي سيجلب علينا العصيان والعواصف التي قد تأتي على كياننا؛ إذ لو تفحص أي شخص بعناية تعاليم الكتاب المقدس وقارن التواريخ مع تواريخ كنيستنا سيكتشف بسرعة التناقضات، ويرى بوضوح أن تعاليمنا عادة ما تبعد عن تعاليم الكتاب المقدس بل كثيرًا ما تتعارض معها. وإذا أدرك الشعب ذلك فسوف يعمل بلا هوادة على كشف كل شيء، وعندئذ سنصبح موضع سخرية وكراهية العالم (...) لذلك من المهم إبعاد الكتاب المقدس عن أيدي الشعب بأكبر حرص ممكن حتى لا نثير الصخب».

وفي عام 1231 تم إنشاء محاكم التفتيش رسميًّا؛ إذ حتى ذلك التاريخ كان الأساقفة هم الذين يتولون مصير الهراطقة. لذلك قرر البابا إنشاء مؤسسة مستقلة مزودة بكافة الوسائل لاقتلاع السحر والهرطقة. وقد قامت بحرق أكثر من مليون يهودي ومسلم كان قد تم تنصيرهم وذلك لارتيابها في مصداقية إيمانهم.

ولم تنكر الكنيسة أبدًا تبعية نظام محاكم التفتيش لها أو أنها هي التي ابتدعتها. بل ستحافظ عليها حتى يومنا هذا مكتفية بتغيير اسمها فقط. إذ قام البابا بيوس العاشر عام 1906 بتغيير اسمها من محاكم التفتيش المقدسة إلى «المكتب المقدس للتحقيقات»، وفي مجمع الفاتيكان الثاني عام 1965 تم تغيير هذا الاسم إلى «لجنة عقيدة الإيمان» التي كان يترأسها الكاردينال راتزنجر لمدة أربع وعشرين سنة قبل أن يتم انتخابه البابا الحالي تحت اسم بنديكتوس السادس عشر..

ويتصور البعض أن محاكم التفتيش قد انتهت وأنها كانت بمثابة غلطة عابرة في التاريخ، لكن – في واقع الأمر، القتل والتعذيب واقتلاع الآخر كلها وقائع دخلت المؤسسة الكنسية منذ بداية مشوارها في روما القديمة لتواكب كل تاريخها حتى بومنا هذا، وبدعة المحرقة أو حرق الناس أحياء متأصلة فيها، وفي العهد القديم الذي استمدت وجودها منه؛ إذ نطالع في سفر الملوك الثاني: «وذبح جميع كهنة المرتفعات التي هناك على المذابح وأحرق عظام الناس عليها ثم رجع إلى أورشليم» (20:23).

وقد تولت طائفتا الفرنسيسكان والدومنيكان مناصب محاكم التفتيش، وهي فرق لا تزال قائمة بمؤسساتها. ومنذ عام 1244 أصبحت تبعيتهم لروما فقط. وبذلك أصبح للكنيسة الرومية جيشًا حقيقيًّا من الرجال التابعين لها. وما إن تم إقرار استخدام التعذيب رسميًّا بقرار من البابا إينوسنت الرابع، عام 1251، وذلك لاستخراج أو انتزاع المعلومات أثناء التحقيقات، حتى تمادوا في ابتداع أدواته ووسائله الوحشية. وبذلك كانت محاكم التفتيش تحصل على كل ما تريده من معلومات ملفقة. أما تنفيذ حكم الموت نفسه فكانت تحيله إلى البوليس المدني حتى يمكنها قول: إن الكنيسة لم تقتل أحدًا.

وكانت المحاكم قد حددت سن الرابعة عشر للرجال والثانية عشر للنساء ليصح استجوابهم ومحاكمتهم. إلا أن محاكم أسبانيا قد وحّدت بين الجنسين وجعلت سن العاشرة هو الأنسب، ولكي تتمكن محاكم التفتيش من محاكمة من هم دون العاشرة، كان يجب أن يكون هناك وصي على الطفل أو الطفلة. وتورد المراجع أنه تمت إدانة أطفال على أنهم هراطقة في سن السابعة. وإن كان السن لا يسمح بالتعذيب فقد كان المفتشون يأمرون بوضع الطفل في حوض به ماء دافئ ويوثقونه ثم يقطعون شرايين يده. وبذلك يموت الطفل موتة «رحيمة»!

ولكي تثبت هذه المحاكم جبروتها أيام اقتلاعها «هرطقة الكاتار»، كانوا يأمرون بإخراج جثث الموتى الذين أفلتوا من براثنها، خاصة النبلاء، وبعد إعلان أنهم قد ماتوا وهم هراطقة يتم سحلهم إلى ميدان السوق ثم يتم حرقهم. وهو ما تم اتباعه في أوروبا وفي أسبانيا.

وتعد فرنسا البوتقة التي انصقلت في أراضيها مجازر محاكم التفتيش هي وأسبانيا. وقد كانت مجرد الإشارة بخطاب مجهول كافية ليتم القبض على الشخص وتعذيبه وقتله أو حرقه حيًّا. وما أن تصل عربات محكمة التفتيش في بلدة ما حتى يتم إخطار الأهالي بالوشاية بالمنشقين أو الهراطقة وإلا يتم حرمانهم. وتترك لهم المحكمة مهلة خمسة عشر يومًا لكي يتقدم الجاني طواعية.

وكانت هذه المحاكم تهدف أساسًا إلى محاصرة الكاتار والأليجوا والفودوا في جنوب فرنسا، الذين كانوا يرفضون تأليه المسيح وفكرة الثالوث. ويرفضون بدعة تحول الأفخارستيا في معدة الأتباع إلى لحم ودم المسيح فعلاً وحقًّا وإلا يبطل إيمانهم!

وقد ضربت الكنيسة الكاثوليكية الرقم القياسي في استخدام أفظع وسائل التعذيب والتفنن فيها، وفي القتل بعامة، والقتل العرقي، والتعذيب والاغتصاب والهدم والتدمير بصورة لا يتخيلها عقل، لكي تفرض قوانينها وعقائدها وتستولي على الممتلكات والأموال.. فكم من شعوب سحقتها ودهستها في الغرب وفي الشرق وفي إفريقيا وفي الأمريكتين وفي جميع أنحاء العالم! وقد حطمت كل العقول المتفتحة والعباقرة، ومنعت تقدم العلوم كالكيمياء والصيدلة والفلك وغيرها ابتداء من مطلع القرن الثاني عشر مع تزايد انتشار العلم بين رجالها.

ومن أشهر وسائل أو أدوات التعذيب التي كانوا يستخدمونها العروس المعدنية المدججة بالخناجر، والقناع الحديدي بعد تسخينه حتى الاحمرار، والخاذوق، والسدادة التي كانت تفشخ فك الضحية فلا يمكنه حتى الصراخ، والطوق الحديدي حول الرقبة، والكرسي المدجج بالمسامير، والتعذيب بالمياه أو بالنار، وفسخ الأعضاء، والرصاص السائح الذي يسقونه للمتهم، والماء المغلي؛ وذلك على سبيل المثال لا الحصر..

أما ممتلكات المتهم وأمواله فكانت الكنيسة تستولي عليها بينما يذهب جزء ضئيل منها للوشاة.. ثم قام البابا سيكست التاسع بتعديل نسبة التوزيع هذه بأن خص ثلث الأموال المصادَرة للملك، والثلثان يتم تقاسمها فيما بين الكرسي الرسولي وأعضاء محاكم التفتيش؛ لذلك كان من مصلحة أعضائها ارتفاع عدد الضحايا..

وكانت الإجراءات المتبعة سرية ولا يسمح للمتهم بمواجهة من وشى به.. وكم من أشخاص تم تعذيبهم وقتلهم أو حرقهم أحياء، ودون حتى أن يعرفوا سبب اعتقالهم.

ومن أبشع ما استعانت به هذا المحاكم استخدام الأطفال للوشاية بأهاليهم.

ومن قبيل ترويع الشعوب، كانت المحارق تقام في الميادين العامة؛ حيث يتم تعذيب وحرق المعتقلين بحضور السلطات الرسمية والأساقفة والقسس والرهبان.

ويكفي الاطلاع على كتاب أندريه لورولو المُعَنْوَن: «همجية ألمانية وهمجية عالمية» الذي يتضمن الجرائم التي ارتكبتها تلك المحاكم التي تمثل إحدى الأيادي الطولى للمؤسسة الكنسية..

ومن أشهر مفتشي هذه المحاكم القس الدومنيكاني توما دي توركمادا، الذي تم تعيينه عام 1482 في مدينة قشطالة بأسبانيا، وقام هذا القس باستخدام أسوأ وسائل التعذيب ضد المسلمين، كما قام بالاستيلاء على أموالهم وممتلكاتهم. ونطالع في كتاب مارتينللي «التعذيب أيام توركمادا» أنه قام بحرق 8800 من المسلمين أحياء وتعذيب 9654 أو سجنهم مدى الحياة.

وقد قام بصياغة دستور للاستجواب وكيفية التعذيب، انتهى منه عام 1498، قبل وفاته بعام. ومن أغرب ما به: تحميل المتهم مسئولية أية كسور تصيبه أثناء التعذيب أو حتى وفاته إن مات لامتناعه من قول الحق..

قتل الساحرات

لقد تصدت الكنيسة الكاثوليكية على دفعتين لاقتلاع ما أطلقت عليه «قتل الساحرات»، وهي عبارة فضفاضة ضمت في واقع الأمر التخلص من اليهود الذين كانوا يرفضون التنصير، والتخلص من الإسلام الذي كان انتشاره يتزايد، وكذلك التخلص من الكاتار والفودوا والبجوميل والبروتستانت، وكل من كان يتجرأ على مخالفة الكنيسة االرومية الرسولية وعقائدها أويخالف كل ما كانت تنسجه طوال مشوارها. فكان لا بد لها من فرض سلطانها والحفاظ عليه بشتى الطرق والوسائل.

وقد بدأت محاربة الساحرات رسميًّا في فرنسا في مطلع القرن الخامس عشر، وانتهت عام 1682 بقرار من الوزير الفرنسي كولبير. إلا أن المحارق ظلت متقدة حتى القرن الثامن عشر في بولندا والنمسا، ولم تتوقف إلا في عصر التنوير.

وكم من أبرياء راحوا ضحية ذلك العنف الإجرامي الذي كان الكنسيون يتسترون تحته في خلافاتهم الدينية أو السياسية، من قبيل ما حدث لكل من جان دارك وجيل دي ريه اللذين حرقتهما بتهمة السحر والكفر في حين أن كلاً منهما كان متمسكًا بدينه وطلب الحصول على المناولة المسيحية قبل حرقه. وأدت هذه القضايا وما واكبها من محاكمات ظالمة إلى خلق جو من الهلع بين الجماهير.

وقد أدى تزايد الاعتراضات على العقائد الكاثوليكية وبذخ الحياة الصارخ لرجال الكنيسة ومجونهم، إضافة إلى الاضطرابات الاجتماعية والسياسية إلى تحالف السلطتين المدنية والكنسية للتصدي لمختلف أنواع الصراعات بدلاً من محاولة البحث عن حلول لها. كما تم اتهام بعض رجال الكنيسة المسيحيين بالهرطقة لمجرد محاولتهم مقارنة معطيات الأناجيل بالعلم..

وبينما كانت محاكم التفتيش في بداياتها تعتبر كل من يؤمن بوجود الشيطان والسحر عبارة عن هرطقي، وصل بها الحال في أواخر القرن الخامس عشر إلى اتهام كل من لا يؤمن بالشيطان أنه هرطقي!

وقد طلب البابا إينوسنت الثامن من رجاله التخلص من السحر في ألمانيا بموجب خطابه الرسولى المعنون «**Summis desiderantes affectibus**» ، وأسند إلى اثنين من

القساوسة الألمان مشهورين بعدائهما للنساء، هما القس جاكوب سبرنجر عميد جامعة كولونيا، وهنريخ إينستيتورس أستاذ اللاهوت بجامعة سالزبوج، وأصدر كتابًا في أكثر من أربعمائة صفحة بعنوان «مطرقة الساحرات» «**Malleus Maleficarum**» ، ويعد المرجع الرئيسي الذي صدر بموافقة أو بأمر من الكنيسة الرومية، لكيفية التعرف على الساحرات وكيفية تعذيبهن قبل قتلهن، وظلت ألمانيا لأكثر من قرنين ونصف بعد طباعة هذا الكتاب تعتبر من ينكر وجود السحر والسحرة يعاقب بالموت.

وفيما بين عامي 1486 و1600 تمت طباعته أكثر من 26 مرة، وقد استعان به رجال الكنيسة الكاثوليكية والبروتستانتية في قضاياهم، وفي التُّهم التي كانوا يلقونها جذافًا في كثير من الأحيان. وقد ساهم هذا الكتاب في تعريف السحر الشعبي كنوع من الهرطقة جامعًا بين الحريمة المدنية والدينية؛ لتقوم المحاكم بعمليات قهر غير مسبوقة، فلم يسبق قبل ذلك أن تم تحديد أن طائفة السحرة أغلبها من النساء.

وفي واقع الأمر كانت الكنيسة تدين المرأة وتعتبرها مسئولة عن الخطيئة الأولى، وبالتالي فهي مسئولة عن مصائب العالم. بل ظلت الكنيسة لأكثر من ألف عام تعتبر المرأة بلا روح. وكان يتم مراقبة المرأة عن طريق زوجها أو القس الذي تتبعه في عمليات الاعتراف؛ وذلك للشك الدائم في أخلاقها. وقد اضطرت النساء إلى تطوير الطب البدائي والتداوي بالأعشاب؛ لأن الأطباء كانوا آنذاك لا يهتمون بعلاج المرأة. وبذلك سَهُل اتهامهن بالسحر.. بل مَن كانت تحاول التخفيف من آلام الوضع لأي سبب في حالة معاناة كانت تُعاقب على أنها تعترض على قصاص الله وعذابه للمرأة!

وفي واقع الأمر تم حرق أو تعذيب وسجن العديد من الرجال أيضًا.

فوفقًا للإحصائية التي يقدمها جورج تيمرمان في كتابه عن «اصطياد الساحرات» يقول: إنه فيما بين 1606 و1650 كانت نسبة من تم حرقهم أحياء في مقاطعة لوكسمبورج 31% من الرجال و69% من النساء، وفي مقاطعة قالوني 13% من الرجال و87% من النساء. وفي دراسة حول 155 حالة كان من بينها 105 من النساء، منهن 32 امرأة تجاوزن الخمسين من العمر، و7 أقل من عشرين سنة، ومنهن طفلة في الثامنة من العمر، ومراهقتان في الثالثة عشر والرابعة عشر!

والمضحك أن رجال محاكم التفتيش كانوا يعتبرون أنفسهم أصحاب رسالة إلهية يقومون بتنفيذها.

وفي جرأة نادرة آنذاك، قام القس الألماني فريدريخ سْبِي عام 1631 بالكشف عن الخدع الكبرى والاحتيالات الرهيبة في هذه المحاكمات، وذلك في كتاب بعنوان: «قضايا ضد الساحرات» يؤكد فيه براءة أكثر من مائتين ضحية كان هو المرافق لهم وهم في الطريق إلى المحرقة..

ودأبت الكنيسة على مواصلة مطاردة الساحرات، وفيما يلي بعض الأمثلة والتواريخ لما قام به البابوات:

في عام 1326: أصدر البابا يوحنا الثاني والعشرين خطابه الرسولي الذي ربط فيه بين السحر والهرطقة، وأذن لمحاكم التفتيش بمطاردتهم. ثم تم تأكيد هذا الخطاب الرسولي بخطابين آخرين عام 1585 و1623 من بابوات آخرين.

وفي عام 1484: اعترف البابا إينوسنت الثامن بواقع ممارسة السحر وطالب بالتصدي له.

وفي عام 1521: قام البابا ليون العاشر بمعارضة مجلس شيوخ فينسيا الذي كان يعارض أعمال محاكم التفتيش في مقاطعتي برشْيا وبرجام.

وفي عام 1523: أمر البابا أدريان السادس محاكم التفتيش في مدينتي كريمونا وكومّ بمطاردة السحرة بقسوة.

وفيما بين 1536 و1643: تم عقد سبعة عشر مجمعًا في العديد من مدن ألمانيا وفرنسا لتدارس كيفية التخلص من السحرة، وقد قام الأسقف جوتفريد فون دورنهم الذي حكم من 1623 إلى 1630 بحرق أكثر من ستمائة ساحرة، مما جعل المؤرخون يطلقون عليه «أسقف الساحرات»!

وفى واقع الأمر فأن معاداة الكنيسة للمرأة ترجع إلى بدايات المسيحية.

الحروب الصليبية

الحروب الصليبة عبارة عن حملات عسكرية قامت الكنيسة بتنظيمها بزعم إنقاذ الأراضي المقدسة، وإن كانت في واقع الأمر تعني بها التصدي للوجود الإسلامي والحدّ من انتشاره من جهة، ومن احية أخرى كانت فى واقع الأمر قد تمت لتنفيذ فكرة كنسية سياسية، وهي وضع كافة الشعوب والحكام تحت سيطرة البابوات وإدارتهم. وقد امتدت هذة الحملات الصليبية من القرن الحادى عشر إلى آخر القرن السابع عشر. فحملة ليبانتو اندلعت عام 1571، وحملة هنغاريا سنة 1664، وحملة دوق بورجوند ضد كندا سنة 1669.

وترجع الأصداء الأولى لها إلى القرن التاسع حيث كانت الكنيسة تحث الأتباع على محاربة المسلمين الكفرة. وعلى مدى قرنين، من 1096 إلى 1291 ظلت المؤسسة الكنسية تحاول اقتلاع الإسلام وفرض مسيحيتها من خلال ثمان حملات، باءت بالفشل رغم نجاح الحملة الأولى في الاستيلاء على القدس.

وقد انتهت هذه الحملات بأن تم طرد اللاتين من بلاد المشرق. إلا أن روح الحملات الصليبية لم تخفت، وظلت المؤسسة الكنسية تواصل محاولاتها الدؤب لاقتلاع الآخر: المسلمين ومن انشقوا عليها. فكانت الكنيسة تمنح صكوك الغفران لكل من يساهم في هذه الحملات، وتحيطهم بالحماية القانونية والمالية والإعفاء من الضرائب ويتمتعون بحصانة هم واراضيهم او ممتلكاتهم.. بل ظلت البابوية تُذكي الصراع ضد المسلمين وضد مغول تيمور لانك، وضد الوثنيين في بلاد البلطيق وضد اليهود.

كما أشعلت الحروب الصليبية داخل نطاق المسيحية نفسها، أي ضد كل من يحاول الخروج على نفوذها وعلى ما نسجته من عقائد عبر المجامع على مر العصور – وكلها عقائد لا يعرف السيد المسيح عنها شيئًا.

بل وقادت الحملات الصليبية ضد بعض الأباطرة من عائلة هوهنشتاوفن الذين كانوا يحاربون النفوذ الكنسي وسيطرة روما على أوروبا. فكانت هذه الحملات بمثابة

محاولات لإخضاع أوروبا لحكومة دينية تمسك روما بمقاليدها. وإقامة نظام ضريبي عُرف بالتعسف الشديد، مما أثار العديد من ردود الأفعال.

والحروب الصليبية كلها قامت بدعوة من البابوات:

1 . قام البابا أوربان الثاني بالدعوة للحملة الصليبية الأولى، وسافر إلى أواسط فرنسا لمواصلة ندائه، ثم أرسل إلى سادة بولونيا وفلامنك لدعوتهم للاشتراك في الحملة التي حدد لها أن تبدأ في 15 أغسطس 1096، وخرجت ثلاثة جيوش من فرنسا والرابع من إيطاليا.

2 . دعا البابا أوجين الثالث عام 1146 إلى الحملة الصليبية الثانية، وشارك في إشعال الحماس إليها القس برناردي كليرفو الذي جعلوه قديسًا.

3 . دعا البابا أوربان الثالث عام 1187 إلى الحملة الصليبية الثالثة بعد أن استعاد صلاح الدين مدينة القدس، وشاركت فيها جيوش من فرنسا وإنجلترا وألمانيا.

4 . قرر البابا إينوسنت الثالث الحملة الصليبية الرابعة. وفي الطريق، وبسبب صراعات سياسية بين قادة الجيوش الغازية، تم الاستيلاء على القسطنطينية ليلة 12–13 أبريل عام 1204، وتمت إقامة إمبراطورية لاتينية بدلاً من الإمبراطورية البيزنطية. وأسفرت هذا الحملة عن تصعيد الخلاف بين الكنيسة الكاثوليكية والأرثوذكسية.

5 . أعلن البابا إينوسنت الثالث عن قيام الحملة الخامسة، وسبقتها حملة شعبية أغلبها من الأطفال، ألمان وفرنسيين. وباءت بالفشل، ثم أعلن البابا في مجمع لاتران 1215 عن حرب صليبية انضم إليها جيوش من قبرص وهنغاريا.

6 . أدى فشل الحملة الخامسة إلى قيام البابا جريجوار التاسع بإعلان الحملة السادسة عام 1237.

7 . أعلن البابا إينوسنت الرابع قيام الحملة السابعة.

8 . ظل البابا أوربان الرابع ينادي للحملة الثامنة من عام 1265 إلى 1272، إلا أن التحالفات المتناقضة بين جيوشها أدت بها إلى الفشل أيضًا.

ثم حاول البابا جريجوار العاشر تكوين حملة جديدة يشترك فيها المغول والفرس والإمبراطور البيزنطي ميشيل باليولوج، وأقرها مجمع مدينة ليون عام 1274، إلا أن المؤامرات بين قادتها قد أفشلت قيامها. وفي عام 1291 حاول البابا نيكولا الرابع تكوين حملة أخرى لكنه لم يتمكن من إتمامها..

ومما نطالعه عن تصرفات رجال الحملة الصليبية الأولى بقلم المؤرخ الفرنسي المشهور باسم لانونيم، المعاصر للحملة، ما يلي: «تم طرد المدافعين عن المدينة بقتلهم، وبترهم بالسيوف أحياءً حتى معبد سليمان، وقد وقعت مجزرة لا مثيل لها؛ بحيث إن جنودنا كانوا يغوصون بأقدامهم في الدماء حتى عراقيبهم»، ثم يضيف بعد ذلك قائلاً: «إن ما أدى إلى نجاح ذلك الهجوم وغيره الانقسام الذي كان سائدًا آنذاك بين المسلمين» (وارد في كتاب أرنو ديلاكروا: «**فرسان المعبد في قلب الحروب الصليبية**» صفحة 41).

وعندما سادت المجاعة أيام حصار عكا كان الصليبيون يسلقون أطفال المسلمين ويأكلونهم أو يشوونهم على السياخ! وهو ما يقوله المؤرخ ألبير أكوينزيس: "إن الصلبيين أيام موقعة معرّة النعمان قتلوا آلاف المسلمين، ومع إنتشار المجاعة كانوا يقومون بتقطيع جثث المسلمين ويأكلونها"! (وارد فى كتاب آشاريا إس: "**مؤامرة المسيح**")..

ويقول كبير أساقفة مدينة صور، وهو شاهد عيان للموقعة: "كان من المحال النظر إلى ذلك الكم الرهيب من الجثث المنزوعة الرأس دون أن يصاب المرء بالهلع. ففى كل مكان من الساحة كانت الجثث والأشلاء متناثرة متراكمة والأرض كلها تعلوها دماء الضحايا المذبوحين. ولم يكن هذا المنظر وحده هو المرعب: فالأكثر منه رعبا واشمئزازاً كان منظر الصليبيين المنتصرون وهو يقطرون الدماء من قمة رأسهم إلى إخمص أقدامهم! وتم البلاغ عن أن ساحة المعبد وحدها ضمت حوالي عشرة لآلاف قتيلا من المسلمين" (المرجع السابق)..

والمعنى الديني للحروب الصليبية، رغم كل ما كُتب عن مختلف الأسباب التي أدت إليها، هو عبارة عن محاولات متواصلة لتنصير الشعوب والتصدي للمد الإسلامي وزعزعة استقراره من أوروبا، بزعم حماية حجاج بيت المقدس. فكانت الكنيسة تقدم

المغريات المادية والأخروية للمشاركين فيها. كما كانت تقوم بتحميل نفقاتها على الإقطاعيات بفرض مختلف أنواع الضرائب التي كانت تُجبى بتهديد الحرمان من الكنيسة وبركاتها. وعند قيام كل حملة كان يرافقها مندوب من الكنيسة لمراقبة سيرها وإضفاء البركات والغفران على الموتى.

أما استراتيجياتها فكانت قائمة على التحالفات المختلفة والمتناقضة أحيانًا، بل كثيرًا ما حاولت الكنيسة الاتفاق مع بلدان إسلامية أخرى مثل دمشق (1239 – 1241)، وتركيا وتونس (1270) أو المغول للتوصل إلى الحلول المؤدية إلى احتلالهم بيت المقدس. كما حاولت دفع إمبراطور إثيوبيا المسيحي لغزو مصر لإضعافها وإجبارها على التخلي عن القدس.

فكان المشاركون في الحملات الصليبية يقومون بتمويلها من ممتلكاتهم أو برَهْن أراضيهم إن لم يكن بيعها. ثم أصدر البابا أوجين الثالث قرارًا ينص على أن أهالي المحارب أو الحاكم التابع له لا يمكنه الاعتراض عندما تقوم الكنيسة بالاستيلاء على أراضيه.. ثم بدأت في فرض التبرعات على المواطنين خاصة بعد كل قداس يوم الأحد.. ومنذ أواخر القرن الثاني عشر أصبحت الخطب الرسولية تنص على إمكانية الحصول على صكوك الغفران للذين لا يمكنهم المشاركة شخصيًّا في الحملات، وهو ما أدى إلى انتقادات عنيفة للكنيسة، وكانت من الأسباب التي أدت إلى نشوء البروتستانتية. فقام البابا إينوسنت الثالث بفرض الضريبة العشرية على كل شيء وقام بتعيين الجباه لجمعها.

أي أن الحروب الصليبية كانت عبارة عن بلاء يعم على كافة الاتجاهات وينعكس عليها سلبيًّا إلا على الكيان البابوي الذي كان يزداد ثراءً بالاستيلاء على الأراضي والممتلكات والثروات..

ولم تقتصر الحروب الصليبية التي شنتها الكنيسة الرومية ضد المسلمين بالاستعانة بتعاون الكنائس المحلية فحسب، وإنما امتدت إلى كل من حاول الخروج عن تعاليمها وعن سيطرتها. وقد قام البابا أوربان الثاني، الذي أشعل الحملة الأولى، بإقناع الأسبان بعدم الاشتراك فيها؛ ليتمكنوا من التصدي للوجود الإسلامي في بلدهم. ومنذ عام 1120 قام البابا كاليكست الثاني بمنح نفس الامتيازات التي أضفاها على الذين

يحاربون الإسلام في الشرق على من يحاربونه في أسبانيا. وفي عام 1147 امتدت الامتيازات إلى الذين يحاربون الإسلام في أسبانيا أو ضد الوثنيين السلاف على حدود ألمانيا.

وقد أدى غزو المغول لبولندا وهنغاريا إلى قيام البابا إينوسنت الرابع بشن حملة صليبية ضدهم عام 1241، وأعاد خليفته البابا ألكسندر الرابع شنها بنفس العنف. كما قام إينوسنت بشن حملات صليبية على الألبيجوا في جنوب شرق فرنسا؛ لرفضهم تأليه المسيح، واعتراضهم على الإفخارستيا التي تزعم تحول الخبز والنبيذ فعلاً وحقًّا إلى لحم ودم المسيح في معدة الأتباع، إضافة إلى انتقادهم البذخ الفاحش الذي تعيش فيه القيادات الكنسية فتم اقتلاعهم تمامًا بحملة صليبية؛ إذ كان مذهبهم يدفع بهم إلى الاقتراب من الإسلام.. وهي أول مرة فى الاتاريخ تقوم فيها الكنيسة باقتلاع شعب من بنى جلدتها!

وفي عام 1237، وحيال الخطر الذي كانت تمثله الكنيسة الأرثوذكسية على الإمبراطورية اللاتينية، قام البابا جريجوار التاسع بتحويل وتمويل مصادر الحملة الموجهة إلى الشرق للتصدي لهم في بيزنطة. وقد أدى استعادة اليونانيين للقسطنطينية عام 1261 إلى قيام البابا أوربان الرابع بشن حملة ضدها، ثم حاول الاتفاق مع ميشيل باليولوج، الذي كان يعرض توحيد الكنائس للحدّ من إطلاق هذه الحملة، وحاول مواصلة نفس السياسة لإنهاء محاولات الفرنسيين لاحتلال صقلية التابعة للكنيسة.

وبينما كانت الحروب الصليبية تتواصل ضد الإسلام؛ حتى بعد استعادة عكا وسقوط آخر معقل للاتين في الأراضي المقدسة، ظل البابوات يستخدمون صكوك الغفران في العمليات العسكرية الموجهة ضد كل الذين يهددون كيانهم، فتصدوا للوثنيين في بلاد البلطيق، ولتيمور لانك في القوقاز، وأتباع يان هاس الذين كانوا يسيطرون على بوهيميا، فأصدر البابوات والمجامع خمس حملات ضدهم فيما بين 1421و1435، وضد المنشقين على الكنيسة أيام الإنقسام الكبير وانفصال البروتستانت. فأرسلت الحملات ضد مملكة نابولي، كما وجهتها عام 1383 ضد ضيعة الفلندر..

وعلى الرغم من الخسائر المتواصلة التي لحقت بالحملات الصليبية وتكاليفها الباهظة، إلا أن مسيحيي الغرب لم يكفوا عن محاولة استعادة أرض الشرق. وما أكثر المشاريع الصليبية التي تمت خلال القرنين الثالث والرابع عشر، ومنها ما حاوله شارل الثامن ملك صقلية وهايثون أمير أرمينيا، وريمون لول الفرنسيكاني، وغيرهم في القرون التالية..

وكل هذه المشاريع كانت تضم العديد من الاتفاقيات مع المغول أو فِرَق أخرى لعمل حصار ما، أو لإنشاء تنظيم حربي مثلما حدث بإنشاء تنظيم فرسان المعبد والتيوتيون والاسبتارية.. إلا أن كل ذلك كان يتطلب أوروبا موحدة تمامًا. وهو ما أعلنه الفرنسي بيير ديبوا في خطابه حول «كيفية استعادة الأراضي المقدسة» إذ تصور إصلاحًا شاملاً للمجتمع الأوروبي والكنيسة الرومية وخريطة أوروبا السياسية برمتها. وهو ما يمثل إحدى الخلفيات الخفية للاتحاد الأوروبي الحالي، ومحاولة تنفيذ مشروع الامتداد الأوروبي إلى شمال إفريقيا أو مشروع بلدان البحر الأبيض المتوسط الذي بدأه ساركوزي فور توليه رئاسة فرنسا سنة2007.. كما يفسر الإصرار الدؤوب للبابا بنديكت السادس عشر لتوحيد أوروبا دينيًّا وسياسيًّا لمحاصرة الوجود الإسلامي بها والإصرار على ذكر أن جذورها مسيحية صرف واستبعاد ثمانية قرون من الإسهام الحضارى الإسلامى..

ونذكر نموذجًا على سبيل المثال من أخلاقيات قادة تلك الحروب الصليبية فقد ظل بازيل الثاني إمبراطورا للشرق من 976 إلى وفاته عام 1025، وأهم ما يميز حكمه تضمانه مع الإقطاعيين والعسكريين والكنسيين، ومد السيطرة البيزنطية حتى السيطرة على سوريا، وضم جورجيا وأرمينا إلى أراضيه، وقاد حملة شرسة ضد البلغار (996 – 1018)، وكانت آنذاك تحت حكم القيصر صمويل فاحتل عاصمتها أوخريد وضم بلغاريا للإمبراطورية البيزنطية. وقد أدى تصرفه اللاإنساني أثناء المعارك إلى تلقيبه باسم «جزار البلغار» لقسوة معاملته للأسرى، وخاصة المسلمين منهم. فقد أمر بأن تفقأ أعين ألف وخمسمائة من الأسرى وأرسلهم حفاة سيرًا على الأقدام. إلى معسكر الأعداء..

ومن أشهر الملوك الذين قادوا الحملات العسكرية لتنصير شعوب أوروبا، شارلمان أو شارل الأول الأكبر (747 – 814) ملك الفرنجة واللومبار وإمبراطور الغرب وأسرة الكارولنجيان. ثم ضم أكويتيم وبفاريا وفريزون، وأفار بانّونى والساكسون بحروب امتدت ثلاثين عامًا. وعند فشله في غزو أسبانيا المسلمة أقام منطقة عازلة جنوب جبال البرانس وكانت إمبراطوريته تمثل أكبر توسع عرفه الغرب وتم توحيده وتنصيره بقوة السلاح.

وكان شارلمان من أكثر المتعاونين مع الكنيسة، حتى إنها حينما كان ملك لومبارديا على وشك اجتياح روما طلب البابا هادريان من شارلمان أن يهب لإنقاذه، لأن صلته بالكنيسة ترجع إلى عام 754، حينما كان في الثانية عشر من عمره، وحصل على مباركة البابا إسطفانوس الثاني. وظلت صلته بالكنيسة في تقارب متواصل منذ ذلك الوقت حتى صار فارسها المغوار «فارس الرب» الذي لا مثيل له في قطع رقاب كل من يرفض التنصير وفقًا لكاثوليكية روما.

ومن الغريب أن تكون حياة شارلمان الخاصة منفلتة بحيث تزوج أربع مرات، وأنجب منهن وكانت له محظياته، وأنجب منهن قبل زواجه من الأربعة وبعده.. ويقول روبير فولز في كتابه عن شارلمان: «من الغريب ملاحظة أن تصرفات شارلمان الأخلاقية وانفلاته لم يلق أي تأنيب من جانب الكنيسة، علمًا بأنه كان مسيحيًّا شديد الالتزام بممارساته الدينية بكل أشكالها. إلا أنه لم يشعر أبدًا بتلك الفجوة التي تفصل ما بين حياته الخاصة وصرامة التعاليم المسحية».. وقد تغاضت الكنيسة عن انفلاته الذي يخالف تعاليمها؛ إذ لم يحدث أن قام أحد الملوك بإدخال شعوب بأسرها في المسيحية بقوة السلاح مثلما فعل شارلمان؛ المشهور في التاريخ باستبداده المطلق وميله إلى العنف والوحشية التي مارسها في معاركه الحربية، خاصة في ساكس عام 782، وما قاده من مذابح في مدينة فيردين لتنصيرها؛ إذ ذبح 4500 ساكسوني في يوم واحد؛ لأنهم عادوا للوثنية بعد تنصيرهم!

كما كان شارلمان يتدخل في الخلافات اللاهوتية وصراعاتها، ومنها معركة الأيقونات، وإباحة التبرك بالصور وقضية «التبني» التي شغلت الكنيسة، وقسمتها لمعرفة إن كان المسيح ابن الله فعلاً أم بالتبني – بمعنى أنه لا يتزوج ولا يُنجب،

وقضية انبثاق المسيح من الله، وكلها قضايا لاهوتية نجمت عن تأليه السيد المسيح في مجمع نيقية الأول سنة 325.

وفي مجمع مشترك بين الروم والفرنجة في ديسمبر عام 800 أضفى عليه البابا ليون الثالث لقب إمبراطور المسيحية، أسوة بقسطنطين، أول من سمح بممارسة المسيحية مع باقي الديانات الوثنية في عام 313..

الحروب الدينية

تطلق عبارة «الحروب الدينية» عادة على تلك الصراعات المسلحة التي اندلعت بين الكنيسة الكاثوليكية والبروتستانتية في القرنين الخامس والسادس عشر. إلا أن هذه التقسيمة أبعد ما تكون عن الواقع التاريخي، إذ إن المسيحية الغربية منذ أولى خطواتها، وكلما كانت تنقسم على نفسها حول المسائل العقائدية واللاهوتية، كانت تلجأ إلى السلاح والمذابح، سواء الأفراد أو الفرق المحدودة قبل أن تتسع لتضم شعوبًا بأسرها.

والعداء الديني بين المذاهب والكنائس لم يقتصر على تلك الصراعات التي دارت في فرنسا، وإنما شملت كل بلدان أوروبا، كما كانت الطموحات السياسية عادة ما تواكب الأغراض الدينية في حروبها. فقد قامت كاترين دي مديتشي بترتيب مذبحة سان بارتليمي مع الحزب الكاثوليكي اليميني. وكثيرًا ما كان يتم إنهاء حرب لإشعالها في مكان آخر لنفس السبب الديني أو السياسي أو كلاهما معًا، مثلما فعل هنري الثاني عام 1559 لإنهاء الحرب ضد أسبانيا ليبدأ مذابح البروتستانت.

ومن الصعب حصر الحروب الدينية عبر التاريخ الكنسي في مثل هذا الحيز الضيق، لذلك نشير إلى أشهرها على سبيل المثال..

اقتلاع الكاتار:

أدى البذخ الصارخ والمجون الذي كانت غارقة فيه المؤسسة الكنسية الرومية، ونسجها العديد من العقائد وغرقها في صراعات طاحنة للاستحواذ على السلطة إلى ظهور العديد من المذاهب المناهضة لذلك التيار الجامح. ومن أهم هذه التيارات تلك الجماعة التي عُرفت باسم «الكاتار» – من اليونانية كاتاروس أي الأطهار.. وقد انتشر وجودهم خاصة في القرن الثاني عشر؛ إذ كانوا يعتبرون الكنيسة غارقة في الدنس! وامتد هذا المذهب – وهو أكثرها قربًا من الإسلام، من مشارف نيقية في آسيا الصغرى إلى جنوب فرنسا وشمالها مرورًا ببلغاريا والبوسنة وشمال إيطاليا.

وقاموا بتأسيس كنيسة منفصلة لها إكليروسها الخاص بها، ويقيمون مجامعهم الخاصة بعيدًا عن روما وطغيانها.

الكاتار فئة منبثقة من الغنوصية، يرفضون كل تلك البدع التي أتت بها الكنيسة الرومية، والتي لا يعرف يسوع عنها شيئًا، كالتثليث، والإفخارستيا وتأليه يسوع وبعثه، أو أن مريم أم الله، ورسم علامة الصليب على الصدر، والتعميد، والاعتراف. كما كانوا يؤمنون ببعض الأناجيل المحتجبة، ويصومون، ويمتنعون عن القتل. وهو مذهب شديد التقشف ولاقى إقبالاً واسعًا خاصة في الأوساط الشعبية. وتستخدم كلمة الكاتار أو الألبيجوا أو الفودوا إشارة إلى نفس الجماعة عقائديًّا وإن اختلف وفقًا للموقع الجغرافي.

ومنذ عام 1146 بدأ الحديث عن شدة اتساع نطاق عقيدة الكاتار وربطها بالهرطقة. وفي عام 1163 تناول مجمع مدينة تور موضوع هرطقة الكاتار، وفي 1183 بدأ التصدي لهم حربيًّا. وقام البابا إينوسنت الثالث بإرسال حملتين لمحارتهم، وامتد الصراع فيما بين 1209و 1229، شارك فيه نبلاء شمال فرنسا إضافة إلى جيوش دولية، ثم تولاها ملك فرنسا لويس الثامن عام 1226 وانتهت بمعاهدة مو–باريس الموقعة بين ملك فرنسا والكونت ريمون السابع.

وترجع أهمية حرب الكاتار إلى أنها أول حملة صليبية حربية كاسحة موجهة ضد الهراطقة داخل المسيحية ذاتها. كما كانت لها أهمية سياسية بالنسبة للتاريخ الفرنسي، وهو: توحيد وسط فرنسا بشمالها. وهو ما أدى إلى تفاوتات اقتصادية واجتماعية وسياسية وثقافية، إضافة إلى الخلافات الدينية التي لا تزال أضوائها تتردد.

وما أثار الكنيسة الكاثوليكية في روما، أن الألبيجوا أقاموا مجمعًا وقرروا تنظيم عبادتهم وإقامة كنيسة لهم على نسق كنيسة الكاتار، القائمة على التقشف والبساطة والعودة إلى تعاليم المسيح الأولى والابتعاد عن البذخ الذي يعيش فيه قساوسة دير سيتو على مقربة منهم.

وبانشغال ملك فرنسا في حربه ضد إنجلترا أعلن البابا إينوسنت الثالث أنه سيضطر إلى الاستعانة بالبوليس المدني إضافة إلى بعض الفرق الحربية لاقتلاع شأفة الألبيجوا، وأن ذلك من حق الكنيسة الأم نظرًا لانشغال الملك رئيس إقطاعية

لانجدوق.. بل إنه من حق البابا استدعاء كافة المسيحيين للمساهمة في هذه الحملة، ومن حقه الاستيلاء على هذه الأرض «الموبوءة» وأن يمنحها رغم أنف الملك إلى المحاربين المنتصرين على الهرطقة! وهو ما عُرف في التاريخ باسم «تسليم الأرض لمحتليها» (Terram exponere occupantibus)! أى أن تسليم أرض فلسطين لمحتليها من الصهاينة لها سوابق فى التاريخ الغربى المتعصب.

وقد اعترض ريمون السادس الذي كان يمتلك كل إقطاعية الجنوب على هذا التدبير، فما كان من البابا إينوسنت الثالث إلا حرمانه، فاضطر إلى الخضوع للبابا وشارك في الحملة الصليبية التي عُرفت باسم «الحملة الإقطاعية» (1209 – 1224) فقد شارك فيها ملاك إقطاعيون من ألمانيا وإنجلترا وبرابنصون وفريزون وسلاف من الجنوب إلا أن أغلبهم كان من شمال فرنسا، وتمركزت المعارك حول المدن مراكز المقاومة وخزائن الثروات، وبدأت هذه الحملة بالاستيلاء على مدينة بيزييه وذبح سكانها، وحرقت المدينة بكاملها في 22 يوليو 1209.

والغريب أن تندلع المعارك والمؤامرات بين نفس قادة الحملة الصليبية مثلما حدث بين ريمون السادس وبطرس الثاني من أراجون في أسبانيا الذي كان يعتمد على إخلاصه لبابوية روما، وانتصاره على المسلمين في حرب الاسترداد في معركة لاس نفاس دي تولزا في 16 يوليو 1212. ثم امتدت المعارك بين رؤساء الإقطاعيات، واندلعت الحملة الصليبية المعروفة باسم «الملكية» (1224–1229) لاشتراك عدد من الملوك في قيادتها وليس رؤساء الإقطاعيات. وابتداء من عام 1229 تحول صراع البابوات ليلجأ إلى محاكم التفتيش التي كان نظّمها البابا جريجوار التاسع عام 1233. مما أثار العديد من الصراعات في أبرشيات مختلفة، لكن البابوية تمكنت بجبروتها من اقتلاع مذهب الكاتار الذي كان بدأ ينتشر أيضًا بين فرسان المعبد. وأثناء تلك المعارك لجأ أكثر من ألف مواطن إلى قصر مونسجور أعلى قمة جبل فواد، وصمدوا لمدة عام تقريبًا رافضين إنكار عقيدتهم، وفي 16 مارس 1244 تم حرقهم أحياء. وبذلك تم اقتلاع مذهب الكاتار.

وقد انهزم سكان الجنوب في مواجهة هذه الحملات؛ لعدم إمكانهم تخطي الخلافات الاجتماعية والسياسية والدينية فيما بينهم؛ ولوقوعهم تحت بؤرة صراعات سياسية

وكنسية ما بين شمال فرنسا وإنجلترا وأسبانيا، أما السبب الأساسي في انهزامهم فهو أن عقيدة الكاتار تمنعهم من القتل – مثلما كان الوضع عليه في المسيحية في القرون الأولى؛ حيث كان المسيحيون يمتنعون عن القتل، وبالتالي كانوا يرفضون الانضمام إلى الجيش. إلى أن تمت الاتفاقية التي عقدها الإمبراطور قسطنطين الأكبر مع أسقف روما، وأعلن بموجبها حرية العقيدة عام 313م، والسماح للمسيحيين بممارسة شعائرهم مثل باقي الفرق أو الديانات الوثنية، وشريطة أن ينضموا إلى الجيش، وشاركوا في المعارك الحربية التي كان يشنها لتوحيد أطراف الإمبراطورية الرومانية.

الأمر الذي يكشف كيف يمكن للكنيسة الخروج عن تعاليم دينها وفقًا للمصلحة أو للأغراض السياسية، وهو موقف كثيرًا ما تكرر خاصة في تبرأتها لليهود من قتل المسيح كما يقولون، الأمر الذي ترتب عليه إنشاء أو ترسيخ الكيان الصهيوني المحتل لأرض فلسطين..

أسبانيا:

من أكثر الأوصاف انتشارًا لتعريف شارلكان (1500– 1558) أنه بطل حلم الوحدة المسيحية وفقًا لكاثوليكية روما. وأهم ما عُرف به هو فرض المسيحية على الأقليات المسلمة واليهودية، وتمسكه بروح الحروب الصليبية التي فرضتها الكنيسة لاقتلاع الإسلام والمسلمين. وقد قاد بنفسه الحملة التي استولت على حلق الوادي في تونس وتونس العاصمة. ثم قام بعمل تحالف مع البابا بولس الثالث وأهالي فينيسيا ضد المسلمين. وحاول الاستيلاء على الجزائر عام 1541 إلا أن العواصف قد شتت أسطوله فاضطر إلى العودة.

وقد تم تتويج شارلكان ملكًا للروم ورئيسًا للإمبراطورية المقدسة.

وكانت غير محددة الأطراف، وتضم أراضي ألمانيا والنمسا وهولندا وجزءًا من بلجيكا وشمال شرق فرنسا. لذلك تصدى لحركة الإصلاح وجعلها من أولى اهتماماته بعد أن تصدى للإسلام في أسبانيا. وفي حوالي 1555 كانت البروتستانتية قد انتشرت في معظم مناطق ألمانيا فيما عدا جزء في الجنوب.

كما تم في عهده استكمال غزو الأمريكتين وقيام حفنة من المغامرين بالاستيلاء على أراضيها، وفرض التنصير على سكناها الأصليين أو بمعنى أدق على من بقي منهم حيًّا، فقد اقتلعت الكنيسة أكثر من ثمانين مليونًا من الهنود الحمر. كما تم فرض نظام المستعمرات، والسخرة بحثًا عن الذهب والعبودية، فالقساوسة كانوا يمثلون جزءًا لا يتجزأ من جيش الغزاة.

وفي فرنسا:

بدأت الصدامات في فرنسا بذبح الكاثوليك لأربعة وسبعين بروتستانتيًّا كانوا يحضرون قداسًا في بلدة فاسيه، وإن كانت الصراعات في واقع الأمر قد بدأت منذ عام 1529؛ نتيجة لتعليق مطالب البروتستانت وإدانتهم للكنيسة الكاثوليكية على أبواب الكنائس عام 1524، ومقتل ثلاثة آلاف بروتستانتيًّا في مقاطعة فودوا عام 1542 بأمر من البرلمان في مدينة إكس. مع تزايد انتشار البروتستانتية في فرنسا. ويقال: إن ربع تعدادها كان قد انشق عن الكاثوليكية، ومنهم عدد ملحوظ من علية القوم.

ومن 1562 إلى 1598 عاشت فرنسا ثمانية حروب دينية، تحولت الأخيرة منا عام 1595 إلى حرب خارجية ضد الملك فيليب الثاني. وقد زادت هذه المعارك حدة بعد حادثتين هما: مذبحة سان بارتليمي ومقتل دوق أنجو، الأخ الأصغر لهنري الثالث إذ كان اعتنق البروتستانتية. وتشتهر مذبحة سان بارتليمي التي وقعت في باريس ليلة 23و24 أغسطس عام 1572، وراح ضحيتها في تلك الليلة ثلاثة آلاف بروتستانتي بأنها من أبشع المعارك. وقد امتدت في الضواحي حتى الثالث من سبتمبر، ووصل عدد إجمالي القتلى إلى ثلاثين ألفًا. وقد احتفل فيليب الثاني ملك أسبانيا والبابا جريجوار الثالث عشر بهذا «النصر» أو بتلك المجزرة التي تظل حتى اليوم رمزًا لعدم التسامح الكنسي.

بوهيميا:

كان يان هاسّ (1370 – 1415) عالم اللاهوت التشيكي شديد التعلق بضرورة إصلاح الكيان الكنسي، وقد تخطى جون فكليف الذي كان يتخذه مثلاً في جرأته ومدى اتساع الحركة التي قادها. ويعد سباقًا بأكثر من قرن إلى حركة الإصلاح الكبرى في القرن السادس عشر، وخاصة لوثر، الذي قدّم لأعماله عند طباعتها.

ويان هاس من مواليد بوهيميا الجنوبية وتدرج في الوظائف إلى أن وصل إلى رتبة عميد كلية اللاهوت في براغ. وكان يمثل التيار المطالب بضرورة الحد من الانحرافات الأخلاقية في الكنيسة، والثراء الفاحش، وابتعادها عن التعاليم الأولى، الصراعات القائمة بين التشيك والألمان في بوهيميا. كما كان يطالب باستخدام اللغة التشيكية في الحياة الكنسية والخطب، وقام بترجمة الإنجيل إلى اللغة التشيكية. ومن أكثر ما انتقده صكوك الغفران التي كانت تمول الحروب البابوية..

فدعاه البابا لحضور مجمع كونستانس (1414)، وما إن وصل إلى المدينة حتى تم القبض عليه وسجنه وأثناء محاكمته تم حرق مؤلفاته ثم اقتادوه إلى المحرقة، وتم حرقه حيًّا بتهمة الهرطقة في 6 يوليو 1415، وإلقاء رماد جثته في نهر الراين.

وتعد واقعة إلقاء أتباعه لعدد من كبار الكاثوليك من النوافذ في براغ يوم 30 يوليو 1419 بداية الثورة التي أعلنوها ضد روما وجبروتها، وظلوا طوال ثمانية عشر عامًا صامدين لخمس حملات صليبية شنتها الكنيسة الروية وأوروبا الكاثوليكية؛ بناء على نداء البابا لسحق الهراطقة. إلا أن صمود الشعب قد أبهر قادة الحروب الصليبية. وأدت هزيمة الحملة الصليبية الخامسة التي قادها الكاردينال تشيزاينى في مدينة دوماشليس عام 1431 إلى اضطرار الكنيسة الرومية لأول مرة في تاريخها للتفاوض مع من تُطلق عليهم هراطقة! وبعد عامين أعادت روما الكَرّة لسحق أتباع هاسّ في حملات متتالية رغم الاتفاقيات التي أبرمتها معهم. وبعد موقعة الجبل الأبيض في 1620/11/8 قامت الفرق الإمبراطورية لفرنيدناند الثاني باقتلاع الحركة تمامًا.

حرب الثلاثون عامًا (1618–1648)

اندلعت حرائق هذه الحرب من ثلاثة مراكز: المقاطعات المتحدة التي كانت أسبانيا ترغب في استعادتها، ومن ألمانيا حيث تم فيها تكوين تحالف إنجيليين في عام 1608، والتحالف الكاثوليكي الذي تم تكوينه في العام التالي، وكانت أسبانيا تسانده، ومن مملكة بوهيميا التي ابتعدت عن كاثوليكية روما. إلا أن الكنيسة الرومية قد استطاعت استعادة فرديناند الثاني ملك بوهيميا إلى كاثوليكيتها. فقام بحملات عسكرية منظمة ضد الهراطقة البروتستانت. وتمكن من إعدام سبعة وعشرين من قادة الثورة ومصادرة خمسمائة ضيعة في بوهيميا ومائة ثمانية وثلاثين في مورافيا. وأعلن الدستور الذي صاغه عام 1627 أنه لن يقبل إلا ديانة واحدة في الدولة هي كاثوليكية روما، وأصدر أمرًا لكافة النبلاء لتخييرهم: اعتناق الكاثوليكية أو مغادرة البلاد خلال ستة أشهر – وعادة ما كانت الويلات تنتظرهم عند المغادرة..

وفي مارس 1629 ألغى الملك فرديناند الثاني كافة محاولات الإصلاح والعلمنة التي تمت في الإمبراطورية منذ عام 1555، وذلك بموجب مرسوم «الاستعادة» الذي استرد بموجبه أبرشيتان وأثنى عشر أسقفية، وأكثر من مائة وعشرين ديرًا لتعيدها إلى القيادة الرومية.

وقد انخفض تعداد ألمانيا إلى النصف تقريبًا عقب هذه المجازر التي قادتها الكنيسة، وهاجر العديد من الأهالي، واندلعت الأوبئة من جراء أعنف وأكبر حرب دينية عرفتها أوروبا حتى ذلك الوقت.

حرب المائة عام (1337 – 1453):

«حرب المائة عام» اسم يطلق على مجموعة من المعارك والحروب التي اندلعت فيما بين 1337 – 1453 بين فرنسا وإنجلترا – وإن كانت في الواقع قد امتدت لأكثر من مائة عام في صراعات سياسية واستعمارية بين البلدين، لتصل بتعيين ملك إنجلترا عام 1420 وصيًّا على فرنسا.

وقد أحيت جان دارك النزعة الوطنية لدى الفرنسيين واستقلت مقاطعة أورليان وتم تتويج الملك في مدينة ريمس، إلا أنها فشلت في قيادة الحملة لفك الحصار حول

باريس، فتم القبض عليها عام 1430 وتسليمها للإنجليز، وإحالتها إلى محاكم التفتيش في مدينة روان وتمت محاكمتها واتهامها بالهرطقة وأحرقوها حية في 30 مايو 1431. ثم تمت تبرئتها عام 1456 بأمر من الملك شارل السابع، وفي عام 1909 أضفت عليها الكنيسة لقب «السعداء» توطئة لإضافة صفة القداسة عليها، وهو ما تم في عام 1920!

وقد تسببت هذه الحروب الدينية الاستعمارية المتبادلة في كثير من الكوارث والمجاعات والأوبئة، كما نالت البنيات الاقتصادية والاجتماعية، وأدت إلى نزيف ديمغرافي من الجانبين. وإن كانت الأطماع البريطانية في الأراضي الفرنسية تتنوع وتتفاوت وفقًا للملوك والفترات، فإن فرنسا قد بدأت تنظر إلى آفاق أخرى في إيطاليا والإمبراطورية الجرمانية وخاصة أوروبا الشرقية وانتصار الأتراك لتبدأ بمحاولة محاصرتهم بما أطلقت عليه «مسألة الشرق» وكان المقصود بها حربًا موازية في المعنى لحرب الاسترداد.. وحصدت هذه الحروب المعروفة بحرب المائة عام أكثر من عشرين مليون نسمة.

ثورة الكاميزار (1702 – 1710)

اسم «الكاميزار» ويقصد به القمصان البيض، أطلق على أتباع كالفن الذين ثاروا ضد حكم الملك لويس الرابع عشر في أواخر القرن السابع عشر. وامتدت من 1702 إلى 1710 بعد خرق معاهدة نانت (1598) التي كانت تنص على حقوق البروتستانت في فرنسا ووضعت حدًّا لما عُرف باسم الحروب الدينية إلا أن لويس الرابع عشر قد قام بخرق المعاهدة، وسمح بعمليات قمعية واسعة لإدخالهم الكاثوليكية. وهدم كنائسهم وأباد خلال الحملات العسكرية التي شنها لمطاردتهم أكثر من عشرين ألفًا من البروتستانت، بينما غادر البلاد قرابة ثلاثمائة ألف إلى سويسرا وألمانيا وجنوب إفريقيا.

الحرب الباردة (1945 – 1990):

نموذج عصري يكشف عن تضافر المصالح السياسية والكنيسة في العصر الحديث. وقد بدأت هذه الحرب الباردة بعد مؤتمر يالتا عام 1945، وتقسيم العالم إلى معسكرين: رأسمالي واشتراكي، وامتدت حتى عام 1990، وانتهت بانهيار الاتحاد السوفييتي. وهي تمثل واحدة من أكبر المعارك الجامعة في العصر الحديث من أجل اقتلاع الآخر بشتى الوسائل فتضافرت المصالح وجهود السياسة الأمريكية والمخابرات المركزية الأمريكية والمؤسسة الفاتيكانية للقضاء على نظام متكامل بأيديولوجيات وأنظمة مختلفة تمامًا.

فالنظام الرأسمالي أهدافه ممثلة في نظام العولمة القائم على فكرة حرية السوق والسيطرة على حرية تحركات رؤس الأموال، وفرض نظام سياسي – اقتصادي– فكري – ديني واحد حتى تسهل السيطرة على الشعوب وقيادتها. أما المؤسسة الفاتيكانية فكانت تسعى لاستعادة ملايين الأتباع الذين انضموا إلى لاهوت التحرر في أمريكا اللاتينية ومحاولة اقتلاع الكنيسة الروسية الأرثوذكسية، وتضافرت جهود الاثنين في محاربة لاهوت التحرر بقسوة ضارية حتى تم اقتلاعه، وفي إنشاء حزب تضامن في بولندا لإعادة غرس الكاثوليكية بها، وتم اختلاق العام المريمي وتعدد ظهور السيدة مريم في أجواء مسرحية مبهرجة لإحياء الشعور الديني، كما تضافرت جهودهما في الحرب الفكرية التي عرفت العديد من المناورات والشائعات لهدم كيان الآخر.

وبالتواطؤ بين الجبهتين، السياسية والفاتيكانية، واستخباراتهما ومؤسساتهما، وتواطؤ الرئيس السوفييتي جورباتشوف تم القضاء على الاتحاد السوفييتي وحلفائه. وبعد ذلك بدأت الحقائق تنكشف حتى أرقام الملايين من الدولارات التي تم إنفاقها، والدول التي عاونت على تحقيق ذلك؛ عملاً بذلك المثل الشائع بأن أمريكا دائبة التخلص من عملائها بأي صورة من الصور.. وجزء من هذه المبالغ التي تم إنفاقها لاقتلاع اليسار هو ما تورط فيه بنك أمبروزيانو الذي أفلس بمديونية مليار ومائتي ألف مليون ذهبت لإنشاء حزب «تضامن» (سوليدارنوشتش) بولندا واقتلاع لاهوت التحرر بأمريكا اللاتينية..

فرسان المعبد

شهدت الفترة فيما بين القرن الحادي عشر والخامس عشر تكوين العديد من الأنظمة العسكرية الدينية، التي تُعد بمثابة ثورة حقيقية في تطور البنيات السياسية والاجتماعية للدول في الغرب.

وكانت التقسيمة الأولى للوظائف السائدة فيما بين القرنين التاسع والعاشر تقسم المجتمع إلى: رجال دين، ومحاربين، وأيدى عاملة. وظل هذا التقسيم سائدًا كوسيلة لأداء المجتمع – ولا يشمل ذلك القيادات العليا في البلاط والكنيسة، حتى عام 1129، وهو تاريخ انعقاد مجمع طروادة الذي سيعترف رسميًّا بتكوين «تنظيم فرسان معبد القدس» المعروف اختصارا باسم «فرسان المعبد»، والذي يضم بين جنباته تقسيمتان من التقسيمات الثلاث للمجتمع، وهي: رجال الدين والمحاربون. وكان تنظيم فرسان المعبد هو أول تنظيم من ذلك النوع يتم الاعتراف به رسميًّا من جهة السلطات الكنيسة والمدنية، وإن كانت هناك تنظيمات أخرى مماثلة قد وجدت عقب الحملة الصليبية الأولى، من قبيل تنظيم فرسان الاسبتارية أو تنظيم القديس لازار، وكانت تنظيمات دينية إلى أن تم إضفاء الصفة العسكرية عليها حوالي عام 1149. ومن الغريب أن يقوم المؤرخون بالتركيز على الحملات الصليبية التي جرت في الشرق الأوسط، وعادة ما يتناسون ذكر تلك الحملات العديدة التي قادتها الكنيسة إلى شمال أوروبا وعلى ضفاف بحر البلطيق.. وهذه الحملات الصليبية كان الهدف منها تنصير الشعوب الوثنية.

وقد بدأت أولى هذه الحملات التي أرسلها البابا يوجنيوس الثالث عام 1147 لتنصير القبائل السلافية حول بحر البلطيق. كما تم تكوين فرق عسكرية دينية أخرى في تلك المنطقة من قبيل فرسان «حملة السيف» في منطقة ليفونيا ونظام «فرسان المسيح» في بلدة دوبرن على الحدود بين مازوفيا وبولندا العظمى. ومع الوقت تم ضم هذين التنظيمين إلى نظام الفرق التيوتونية التي تم تكوينها في

الشرق الأوسط في أواخر القرن الثاني عشر، وإن كانت أهم معاركهم قد تمت في أراضي أوروبا الشرقية.

كما شهدت أسبانيا، مسرح أحداث حرب الاسترداد وذبح المسلمين، ومولد أنظمة عسكرية مماثلة خاصة بفرض المسيحية بالسلاح ومنها: نظام كالاترافا، ونظام القنطرة، ونظام آفيس، ونظام سانتاياجو، ونظام ألفانا، ونظام المسيح، ونظام مونتيزا، وغيرها.

وأدت نهاية وجود نظام فرسان المعبد إلى إنهاء وجود هذه الأنظمة المتعددة التي أنشأها فرسان المعبد من أجل الاستعانة بها. وأكثر ما كان يميز هذه الأنظمة هو أنها كانت تابعة مباشرة لسلطة البابا شخصيًّا دونًا حتى عن أي تدرج كنسي. وكان تنظيم فرسان المعبد أول ما تم إلغائه عام 1307 بقرار مشترك من البابا كليمانت الخامس والملك فيليب الرابع ملك فرنسا.

أما في أسبانيا والبرتغال فقد تم ضم مختلف هذه الأنظمة الدينية العسكرية إلى الدولة وحرمانها من أية استقلالية. وبدأ تنظيم فرسان التيوتيون، الذين أنشؤا إمبراطورية قوية على ضفاف البلطيق بتنصير الشعوب قهرًا، بدأ يخبو بعد الهزيمة الساحقة التي لحقت به عام 1410 من التحالف الذي قادة ملك بولندا فلادسلاف يجللون الثاني.

بينما ظل تنظيم فرسان الاستبارية يتراجع في معاركه مع المسلمين ثم مع العثمانيين، وانتهى به الأمر إلى اللجوء إلى مالطة، ولا يزالوا هناك حتى يومنا هذا، وإن كان ما يشاع أن وجودهم عبارة عن القيام بأعمال خيرية فحسب. لكن الواقع يؤكد عكس ذلك فالأعمال الخيرية ومنظماتها ليست بحاجة إلى وجود سفارات رسمية باسمها. وهو ما يؤكد أنها تقوم بدور سياسي عسكري غير معلن عنه – خاصة وأنهم تحت قيادة البابا في الفاتيكان مباشرة.

على الرغم من كل ما كُتب حول تنظيم فرسان المعبد حتى يومنا هذا، وهي مراجع تعد بالمئات، فلا يزال الغموض يحيط بعدة نقاط من تاريخهم، خاصة فترة البداية – وهي فترة تمتد إلى عشر سنوات تقريبًا منذ قرر اثنان من الفرسان تكوين هذا التنظيم، ثم انضم إليهما سبعة آخرون، ظل تسعتهم يعملون ويقيمون

في منطقة معبد سليمان، وبعد عشر سنوات تم إنشاء التنظيم رسميًّا. والأسئلة تدور في بعض الأبحاث حول هذه السنوات العشر، وما تم العثور عليه، مما استوجب تعديل تسعة عشر آية من آيات الأناجيل.. كما يحيط الغموض بالأسباب الحقيقية لتلك النهاية المأساوية لتنظيم فرسان المعبد.

فلقد تم القبض عليهم جميعًا في ويوم واحد، وفي جميع أماكن وجودهم في فرنسا، وتم سجنهم جميعًا، وافتعال محاكمات مغرضة بمعرفة محاكم التفتيش التي أذاقتهم أشد أنواع العذاب والتنكيل حتى مات الكثير منهم أثناء هذه المحاكمات الصورية... وفي 11 مارس عام 1314 اقتيد جاك دي موليه وجوفروا دي شارنيه ومن بقوا معهم إلى محرقة علنية في جزيرة وسط باريس وتم حرقهم أحياء..

وبينما كانت صيحات الآلام تدوي ارتفع صوت جاك دي موليه، آخر رؤساء فرسان المعبد ليلعن البابا كليمانت الخامس قائلاً:

"يا كلميانت، أيها الحاكم الظالم والسفاح الفظ، سوف تلقى الله وتقف أمام محكمته خلال أربعين يومًا، وأنت أيضًا أيها الملك فيليب"! وبالفعل لقد مات كل منهما على التوالي، كليمانت الخامس يوم 20 أبريل، والملك فيليب يوم 29 نوفمبر من نفس ذلك العام..

وما أكثر الأساطير التي تألقت حول هذا التنظيم، وما أكثر الدراسات التي تناولت حياتهم أو أجزاء منها، وأغلبها يتناول كنز الفرسان، أو المجال الغيبي الباطني، أو قوة سلطانهم ونفوذه المطلق.. وقلة من هذه الأبحاث هي التي أشارت إلى صلتهم بالإسلام واختلاطهم بالمسلمين وتزوج العديد منهم بمسلمات بعد إشهار إسلامهم، أو صلتهم الوثيقة بحسن الصباح وقلعة الجبل أو قلعة الموت – وكل ما كيل لهم من اتهامات بسبب هذه النقطة الأخيرة وهي أجدرهم بالدراسة، فالمؤسسة الكاثوليكية لم تقتلع الكاتار إلا لقربهم من موقف الإسلام من المسيحية، وهو أساسًا رفض تأليه السيد المسيح، ورفض التثليث، وهو نفس السبب الذي يبدو في اقتلاع فرسان المعبد بنفس الوحشية التي تم بها اقتلاع شعب الكاتار والفودوا والبجوميل..

الفصل الرابع

إقتلاع الآخر

- القتل العرقى لسكان الأمريكتين
- الحقيقة الدامغة
- كنيسة سدلتس
- نظام العبودية
- هيروشيما وناجازاكى
- أفغانستان، العراق، وما بعدهما

القتل العرقى لسكان الأمريكتين

يمثل القتل العرقى للسكان الأصليين فى الأمريكتين واحدة من أسود الصفحات فى مسيرة ذلك الغرب المسيحى المتعصب، والتى لا يمكن محوها من ذاكرة التاريخ.. ومن الغريب ان نطالع موقف البابا بنديكت السادس عشر الذي حاول بكل جبروت طمس ذلك التاريخ الدامى وتناسيه وكأنه لم يكن!

فبعد أن تألق فى خطابه بجامعة راتسبون، فى سبتمبر 2006، وذلك بتأكيده على التفوق المطلق للمسيحية وعقلانيتها، وسبّه المتعمّد للإسلام ونبيه عليه صلوات الله، راح البابا بنديكت السادس عشر يركل الهنود الحُمْر مبررا إبادتهم، متجاهلا أو متكتما على أكبر عملية قتل عرقى لا مثيل لها فى التاريخ..

ففى الخطاب الإفتتاحى للدورة الخامسة لأساقفة أمريكا اللاتينية، يوم 13 مايو 2007، ببلدة أباريسيدا، فى ختام زيارته للبرازيل، رأى البابا أنه: "بالنسبة لهم، كان غزو أمريكا يعنى إستقبال المسيح، الإله الذي كان أباؤهم يجهلونه، غير مدركين، ويبحثون عنه فى تراثهم الدينى الثرى (...) وفعلا، الإعلان عن يسوع وإنجيله لم يتضمّن فى أى لحظة من اللحظات أية عداوة للثقافات الهندية ولم يكن أبداً بمثابة فرض ثقافة خارجية"..

وقد أثارت هذه التصريحات، والعديد غيرها، موجة عارمة من التعليقات من جانب الجماعات الهندية، يتسع مداها من الإعتراض التام، إلى استخدام عبارات كالقتل العرقى، مرورا بالتعتيم على التاريخ، وصدام الحضارات، والجهل بالتاريخ، وخاصة الجهل بكتابات القس بارتولوميه دى لاس كازاس، بل وإتهام البابا بالكذب والتزوير!

ومساء يوم الجمعة، 18 مايو 2007، أعلن هوجو شافيز، رئيس فينزويلا، فى حديث تم بثه فى الإذاعة والتليفزيون، مطالبا البابا بنديكت السادس عشر بتقديم إعتذاره لهنود أمريكا اللاتينية عن تلك التصريحات التى قالها عن تبشير القارة، موضحا: "لقد جرى شيء أكثر بشاعة من المحرقة التى وقعت أثناء الحرب العالمية الثانية، ولا

يمكن لأي شخص إنكار ذلك، ولا يمكن لقداسته أن ينكر محرقة الأبوريجين على هذه الأرض"!

وإذا ما ترجمنا الحدثين بالأرقام، فإن محرقة العصر الحديث تقدّر بستة آلاف شخصا لذي البعض، وترتفع إلى ستة ملايين لدى البعض الآخر، أما المحرقة التى سببها الغزاة الكاثوليك الإسبان فتتعدى الثمانين مليونا من البشر! وقد إختتم شافيز حديثه قائلا: " إن قول الحق لا يهين أى أحد"!

وأول ملاحظة نبدأ بها هى: التعتيم على تلك الواقعة فى وسائل الإعلام وحصرها بسرعة لافتة، خاصة طلب الرئيس هوجو شافيز من البابا تقديم الإعتذار عن تصريحاته التى تخالف الحقيقة التاريخية المعاشة، كما تم سحبها من أغلب المواقع الإلكترونية التى نشرتها. وهو ما يكشف عن مدى سيطرة المؤسسة الكنسية على وسائل الإعلام..

لذلك يبدو من المفيد أن نرجع إلى كتابات الأب لاس كازاس، إلى ذلك القس الفرانسيسكانى الذي كان قد سافر مع الغزاة عام 1502 للإشتراك فى عمليات التبشير، لكنه سرعان ما أصابه الهلع والإعياء من العننف والوحشية التى مارسها أولئك الغزاة على اسكان الأصليين، وعدم الإكتراث بحياة الهنود، خاصة فى كوبا، حيث بدأت رحلة لاس كازاس، وشاهد من المذابح ما أصابه بالهلع. فراح يدوّن ما عاصره فى عمل ضخم مكون من ثلاثة أجزاء تضم 2310 صفحة. وكانت المخطوطة قد ظلت ممنوعة من النشر لمدة ثلاثة قرون. ثم تم نشرها بالإسبانية عام 1986، ثم تمت ترجمتها إلى الفرنسية ونشرت عام 2002.

وكان الأب بارتولوميه قد قام بالعديد من المحاولات للدفاع عن حياة السكان الأصليين. ففى عام 1531 كتب "رسالة إلى مجلس الأمريكتين"، حيث تساءل فيها: "لماذا إذن بدلا من إرسال خراف آمنة لتتصير الذئاب، أرسلتم ذئابا جائعة، مستبدة طاغية، قامت بتقطيع الأهالى، وقتل وإزلال وإرهاب الحملان الوادعة؟"..

إلا أنه واجه مقاومة شديدة من الغزاة المستعمرين ومن وثورتهم عليه. وقد هوجم حتى إضطر إلى الإستقرار فى أحد الأديرة ليكرس حياته للكتابة. وبخلاف ذلك الكتاب المكون من ثلاث مجلدات، كان لاس كازاس قد كتب "**إختصار شديد لهدم**

الأمريكتين" عام 1552، وأرسله إلى ملك إسبانيا دون فيليب، وتم نشره أثناء حياته. وهو عبارة عن وثيقة اتهام كتبها من واقع الحياة من حوله، وضمّنها كل الأهوال والبشاعات والمآسى التى إرتكبها الغزاة وأطماعهم. الأمر الذي ضاعف من مواقف العنف ضده حتى بعد وفاته.

لذلك رأينا الإستشهاد ببعض الفقرات الواردة بهذا الكتاب الصغير، المكوّن من 154 صفحة، لنعطى فكرة سريعة عن مجرى الأحداث آنذاك وعن مدى "التسامح" الذي مارسه أولئك الكنسيون، آملين أن تعيد الحياة إلى صرخات الأب لاس كازاس، الذي تم إعتباره عن وجه حق، أول المدافعين عن حقوق الهنود الحمر المقهورين. وتجدر الإشارة إلى أنه لم يتناول المذابح التى دارت على تلك القارة بصورة إجمالية، وإنما تناول ما حدث فى كل جزء منها حتى فى أصغر الجزر:

"ما أن وصل الإسبان إلى تلك الحملان الوادعة حتى انهالوا عليهم كالذئاب والنمور والأسود الضارية الجائعة. ومنذ أربعين عاما وحتى اليوم، لم يكفو عن تقطيعهم وقتلهم ومضايقتهم وابتلائهم وتعذيبهم وتهديمهم بطرق وحشية غريبة، مبتدعة ومتعددة، لم نرها ولم نقرأ عنها ولم نسمع عنها من قبل. سأقص بعضا منها فيما بعد. ولقد كانت هذه الجرائم من البشاعة حتى أنه من ثلاثة ملايين نسمة على هذه الجزيرة لا يبقى منهم اليوم حاوالى مائتين" (صفحة 50).

"خلال هذه الأعوام الأربعين مات هنا أكثر من أثني عشر مليونا من الرجال والنساء والأطفال ظلما وعن غير وجه حق، بسبب طغيان المسيحيين وأعمالهم الجهنمية. أنه رقم صحيح صادق. وفى الواقع انه أكثر من خمسة عشر مليونا" (صفحات 51 – 52).

"بدأ المسيحيون المجازر وأعمال العنف البشعة باحصنتهم وسيوفهم وحرابهم ضد الهنود. كانوا يدخلون القرى ولا يتركون فيها حيا لا أطفال ولا مسنين ولا نساء حوامل أو مرضعات إلا وبقروا بطونهم ومزقوهم إربا، وكأنهم يهاجمون قطيع من الخراف المختبئة فى حظائرهم. وكانوا يتراهنون على من منهم يمكنه شق رجل بضربة سكين، أو أن يقطع عنقه بضربة سيف، أو يسكب أمعاؤه بطعنة واحدة! وكانوا ينزعون الأطفال وهي ترضع ويمسكونها من أقدامها ويهشمون رؤسهم على

الصخور. وكانوا يلقون بغيرهم فى النهر وهم يضحكون، وعندما يسقط الطفل فى الماء يصيحون: "إرتعص أيها الغبى!". وكانوا يخرقون الأطفال وإمهاتهم وكل من معهم بالسيوف. ويقيمون المشانق الطويلة ويعلقون عليها جماعات مكونة من ثلاثة عشر شخصا، تحية للمسيح وحواريه، ويشعلون نيرانا خافتة تحتهم حتى يحترقون ببطء وهم أحياء. بينما يقيدون غيرهم على كومة من التبن الجاف ويشعلون فيهم النيران، بينما يفصلون أيدي البعض ويتركونها مدلاه من الجلد ويطلبون منهم إبلاغ الرسالة للفارين من عذاب الغزاة.. أما رؤساء القبائل فكانوا يشعلون لهم راكية بالسياخ كشى الخراف ويشعلون تحتهم النيران الخافتة حتى يموتوا بصيحات وآلام مرعبة " (صفحة 55).

"لقد أدخلوا الأهالى بحيلة ماكرة فى هنجر للقش وأشعلوا فيهم النيران واحترقوا جميعا وهم أحياء أما الباقون فقد قتلوهم بالحراب وبالسيوف. أما الملكة أناكاونا فقد أعدمها الغزاة تكريما لها. وكان بعض المسيحيين يأخذون بعض الأطفال بزعم حمايتهم ثم يردفونهم على الجياد ويأتى أحد الإسبان بحربة ويدفعها لتخترق الطفل حتى رأسه. وإذا ما وجدوا طفلا على الأرض بتروا له ساقيه بالسيف" (صفحة 60).

"إن هذا الحاكم وفرقته قد اخترعوا وسائل جديدة من الوحشية والتعذيب لإجبار الأهالى على الكشف عن الذهب وتسليمه لهم. وخلال حملة من هذه الحملات قام أحد ضباطه بقتل أكثر من أربعين ألف شخصا لسرقة ما لديهم من ذهب قبل إبادتهم بفرقته. وقد كان القس فرانسيسكو سان رومان حاضرا وشاهد المذبحة بعينيه. وكان الضابط قد أمر بالقتل بالسيف وبالحرق أحياء، وقذف بهم إلى الكلاب الوحشية المدربة على نهش الآدميين بعد أن نكّل بهم بأشد أنواع العذاب" (صفحة 70).

"عند الفجر وبينما كان الأبرياء نائمون بجوار زوجاتهم وأبنائهم، قام الغزاة بحرق القرية، وكلها من القش، فاحترق الجميع أحياء أطفالا ونساء ورجالا قبل أن يفيقوا من الصدمة. كانوا يقتلون من يشاؤن، ويعذبون حتى الموت من يأسرونهم أحياء لكي يدلوهم على الطريق إلى القرى الأخرى التى بها الذهب. ومن بقي منهم قاموا بكيّهم بالنار وجعلهم عبيدا. وعند إنطفاء الحرائق بدأ الإسبان فى البحث عن الذهب الموجود تحت أنقاض البيوت. وبهذا الأسلوب الهمجى وبتلك الأفعال المشينة

تصرف القائد وكل المسيحيين الذين كانوا تحت إمرته، وذلك من 1514 إلى 1521 أو 1522 (...). وكان ضباط الملك يقومون بنفس الشيء، وكل واحد منهم يرسل خدمه للحصول على الذهب، ورئيس الأساقفة فى هذه المملكة كان يرسل خدمه أيضا للحصول على نصيبه من الغنيمة"(صفحة 71).

"فى عام 1518 أخذ من يقولون على أنفسهم أنهم مسيحيون، راحوا ينهبون ويقتلون بينما يدّعون أنهم يعمّرون هذه البلاد. ومن 1518 وحتى اليوم، فى 1542، قد مارس المسيحيون فى بلاد الإنديز من الظلم والعنف والطغيان ما فاق الوصف. وذلك لأن المسيحيين قد فقدوا خشية الله وخشية الملك ونسوا من هم أصلا. إن عمليات النهب والوحشية والإغتيالات والهدم وتهجير الأهالى، والسرقات والعنف وأعمال الطغيان التى مارسوها فى عدة ممالك من هذه الأرض من الكثرة والأضرار البالغة بحيث أن كل ما قلته فيما سبق لا يعد شيئا بالمقارنة بما تم فى هذه المنطقة، حتى وإن قلت كل شيء، لأننى أكتم الكثير. فهو لا يقارن لا عددا ولا من حيث الأضرار، من سنة 1518 حتى يومنا هذا فى 1542" (صفحة 78).

"لقد ذهب أحد الإسبان لصيد الغزلان أو الأرانب مع كلابه، ولم يجد شيئا يصطاده. وفى طريق العودة كانت كلابه جائعة، فأخذ طفلا من أمه وراح يقطع ذراعيه وساقيه والقى لكل كلب نصيب أولا، ثم القى بباقى الجسد على الأرض لينهال عليه الكلاب" (صفحة 101).

"تلك هى أفعال الإسبان الذين ذهبوا إلى بلاد الهنود الحمر، وما أكثر عدد المرات التى باعوا فيها المسيح أو أنكروه من أجل تعطشهم للذهب" (صفحة 104).

"على جميع المسيحيين الحقيقيين، أو حتى من هم ليسوا كذلك أن يعلموا ما يلى، ويحكموا إن كانوا قد سمعوا من قبل على مثل هذا الحدث: لكى يطعم الإسبان كلابهم كانوا يأخذون معهم فى الطريق الكثير من الهنود الموثقين بالسلاسل ويسيرون كقطيع الخنازير. وكان الإسبان يقتلون منهم ويقيمون مجزرة علنية من اللحم البشرى، ويقول أحدهم للآخر: إقرضنى ربع من أحد هؤلاء الأغبياء لأطعم كلابى إلى أن أذبح آخرا! وكأنهم يتبادلون أرباع من الخنازير أو من الخراف" (صفحة 148).

"أننى أعلن أمام الله وبكل ما أومن به أننى لم أشر إلا إلى أقل من عُشر ما حدث من حيث العنف والكم والقتل والخسائر والتهجير والسرقات والنهب والقسوة والفظاظة، وخاصة العنف والظلم الذي وقع على الأهالى فى هذه البلاد فيما مضى وحتى يومنا هذا" (صفحة 148).

"لقد إنتهيت من هذا الكتيّب فى بلدة فالنس فى 8 ديسمبر 1532، فى الوقت الذي لا يزال فيه العنف والقهر والطغيان والمذابح والسرقات والهدم والخراب والدمار والإبادة والعذاب والمصائب التى أشرت إليها لا تزال تمارس بكل قوة وفى كل مكان فى الإنديز وحيث يوجد مسيحيون. إن المسيحيين أكثر وحشية وبغضا فى بعض المناطق أكثر من غيرها" (صفحة 154).

أمن ضرورة لتحديد أنه لا تخلو صفحة من صفحات هذا الكتيّب المرير المستفذ، من مثل هذه النصوص البشعة التى إقترفها المسيحيون باسم الصليب لفرض مسيحية الفاتيكان، – وهي مآسى لا تزال ترتكب حتى يومنا هذا بلا هوادة..

لذلك أتوجه إلى "قداسة" البابا بنديكت السادس عشر لأسأله: ألم تكف الفا عام تقريبا من المذابح والقتل المتعمّد لفهم أن عملية التبشير التى تقودها المؤسسة الفاتيكانية لا تتمشى مع العقل ولا مع المنطق ولا مع معنى كلمة الإنسانية؟ الفا عام لجأت فيها المؤسسة التى تترأسونها إلى المحارق وإلى حد السيف وإلى محاكم التفتيش والتعذيب.. لقد قام زميلك البابا جريجوار التاسع عام 1224 بإقرار الحرق بالنار كوسيلة من وسائل التعذيب، وفى عام 1244 قام زميلك الآخر، البابا إينوسنت الرابع بالسماح بالتعذيب فى إجراءات محاكم التفتيش وذلك لفرض المسيحية الكاثوليكية على الناس! ولا نقول شيئا عن كل تلك الفرق المكوّنة من مختلف الأعمار، حتى من الأطفال – المستخدمون من أجل تنصير العالم حاليا، أو كل تلك المنظمات من الفرسان، فرسان المعبد والتيوتيون والإسبتارية، وخاصة فرسان مالطة الذين لا يزالوا يواصلون عملياتهم الصليبية من أجل تنصير العالم! ألم تدركوا سيادتكم، بعد قرابة الفى عام من المجازر والقهر والتحايل الذى تم ويتم باسم السيد المسيح والكاثوليكية، فى جميع البلاد وبين كافة الشعوب، على مر العصور، أن الناس قد ضجت وملّت

من القمع وتشعر بالإهانة وبالحرمان من أبجدية حقها فى أن تعيش حياتها كما تريد هى، دون تدخل المبشرين؟!

ألم يحن الوقت بعد ليكف ذلك الظلم الذي تقوده مؤسستكم وأن تكف خاصة لعبة الكيل بمكيالين التى تسببت فى مآسى الشرق الأوسط وغيره من البلاد؟ فلو لم تكن تلك التبرأة الشهيرة لليهود من دم المسيح، التى إبتدعها مجمع الفاتيكان الثانى عام 1965، لما تم إغتصاب أرض فلسطين! ومع ذلك، ورغم كل ذلك الإجرام الصارخ، الذي يناقض نصوصكم المقدسة، فإن زميلكم السابق، البابا يوحنا بولس الثانى قد عرف كيف يقدم الإعتذارات التى أصر عليها الصهاينة عن تلك المحرقة التى تمت فى العصر الحديث، وأصروا على تكرار الإعتذار فى أكثر من مناسبة!!

ترى هل كل تلك الملايين من البشر التى تم قتلها وتقطيعها ورميها للكلاب أو حرقها أحياء، فى الأمريكتين، والذين تمت إبادتهم من على الأرض مع الإصرار على إبادة حضارتهم وثقافتهم، ألا يستحقون منك أبسط تعبير إنسانى وأن تقدم لهم الإعتذار باسم تلك المؤسسة الفاتيكانية" المجيدة"؟!

ترى هل كل ذلك المليار ونصف من المسلمين الذين أهنتهم عن عمد بالنيل من الإسلام ونبيه، والإصرار بتشبث غريب على إلغاء ثمانية قرون من الإسهام الثقافى والحضارى للمسلمين من الجذور الأوربية، ألا يستحق ذلك تقديم الإعتذار من جانبكم؟! بل والعمل على ذكر فضلهم على الحضارة الغربية!

مع كل الإحترام الواجب لشخصكم ولثقافتكم التاريخية وللمنصب الذي تحتلونه أو تتبوأونه، فلا يمكننى إلا أن أضيف: إن التعتيم على مذابح القتل العرقى وعلى الإهانات المتعمّدة التى تمت، يستوجب ممن يحمل لقب " نائب يسوع المسيح "أى: "ممثل الإله على الأرض" (بما أن يسوع قد قمتم بتأليهه فى مجمع نيقية عام 325) أن يكون عادلا، ومنصفا، ودون أى تحيّز تجاه الجميع.

والمؤسف أنه بعد عدة أيام من ذلك الخطاب، وكمثل عادته دوما فى التحايل للتقليل من التعليقات التى تثيرها خطبه خارج الفاتيكان مثلما فعل عقب خطابه فى بولندا، ثم فى راتسبون، وفى البرازيل، على حد قول جريدة لاكروا الفرنسية فى 2007/5/21، ها هو البابا يبادر يوم الأربعاء، 23 مايو 2007، ليعدّل من تصريحاته وتحريفه

للتاريخ، ليقول بعض الجمل الإعتراضية عند حديثه عن ذكريات الرحلة قائلا: "كانت هناك بعض المعاناة.. وبعض الظلم الذي واكب الإستعمار الإسبانى للأمريكتين".. ويا للجبروت والمبالغة الرخيصة: قتل وحرق وتعذيب وتقطيع وإبادة ثمانين مليون إنسان مسالم يسمى "بعض المعاناة.. وبعض الظلم"، لأن من اقترف هذه الوحشية الإجرامية التى لا توصف من أتباع الكنيسة الكاثوليكية الرومية الرسولية ورجالها.. وتخفت الأصوات، وتستمر اللعبة.. لعبة إبادة الآخر بتلك الأيادى الملطخة بدماء لا تزال تقطر دما منذ قرابة ألفى عام..

الحقيقة الدامغة: كنيسة سدلتس..

نعم، الحقيقة دامغة وأقوى برهانا من الخيال أو أية محاولات للتغيير والتحريف، بل وأقوى من الدفاع مغالطةً! وهو ما يتم بكل جبروت كلما أثيرت مسألة "أن المسيحية قد إنتشرت بالسيف".. فترتفع الأصوات معترضة بالحاح، ثائرة نافية – رغم كل ما يحمله التاريخ من وثائق، وأدلة، وبراهين تثبت المشوار الدامى للمؤسسة الكنسية الرومية، منذ أن أصبحت الديانة الرسمية الوحيدة للإمبراطورية الرومانية، فى أواخر القرن الرابع، بعد إقتلاع الديانات الوثنية والمحلية الأخرى.. وهو مشوار تواصل بلا إنقطاع من وقتها حتى يومنا هذا، وإن إختلفت الأساليب والوسائل.. لكن، من الواضح أن الإقتلاع أو إقتلاع الآخر هو القانون لديها!

ولا أدل على هذه الحقيقة إلا ذلك الخبر المتداول على الإنترنت منذ فترة بين المواقع الفردية، أن هناك كنيسة، على بُعد 70 كيلومترا من عاصمة تشيكوسلوفاكيا، مزدانة بعظام آلاف المسلمين! والخبر يتم تداوله بالصور المأخوذة عن الموقع دون ذكر لذلك الموقع، وهو ما يؤجج المشاعر ويشعل الفتن – على الرغم من أن الواقع أكثر مرارة وألماً..

ويحكى النص المعلن فى ذلك الموقع ان هذه الكنيسة كانت لأحد الأديرة التابعة لفرقة السيسترسيين الكاثوليك، وأنها ترجع إلى القرن العاشر ومرفق بها مدافن، وتم توسعتها، ويقال إنه فى عام 1218 قام رئيس الدير برحلة للأراضى المقدسة وعاد ومعه حفنة من تراب الآثار الناجمة عن الحروب الصليبية هناك ونثرها على المقابر للتبرك! بينما تقول رواية أخرى أنه عاد ومعه شحنة من عظام المسلمين..

وأيام وباء الطاعون الذي إجتاح أوروبا ضمت المقابر رفات 30000 إنسانا، ثم أضيف إليها ضحايا الحرب التى قادتها الكنيسة الرومية ضد البروتستانت وكانت الجثث لأكثر من 40000 شخصا، هم أتباع جان هاسّ، عميد كلية اللاهوت فى مدينة براغ، وكان يعترض على صكوك الغفران والمتاجرة بالدين، ويتهم البذخ الفاحش الذي يعيش فيه رجال الدين، وخاصة قيادة المؤسسة الكنسية وإبتعادهم

الصارخ عن تعاليم يسوع.. فأقالته الكنيسة وحرمته ثم أدانه مجمع كونستانس عام 1414 وقامت محاكم التفتيش باعتقاله ومحاكمته وتم حرقه حيا على أنه هرطقى لا بد من إبادته!

وتراكمت جثث الضحايا بالآلاف أتلالا عقب المعارك الدينية المختلفة سواء مع البروتستانت أو الأريوسيين أو الكاتار والبوجوميل والفودْوَا أو المسلمين الذين إمتدوا إلى مناطق شمال إيطاليا جنوب شرق فرنسا، بينما المسيحية تنتشر بصورة قانية متواصلة! وكل معركة من هذه المعارك تحصد الآلاف من ضحايا التعصب.

وفى عام 1870 طلب القس المسؤل عن هذه الكنيسة من الفنان التشيكى فرانتيشك رينت (Frantisek Rint) أن يعيد تنزيين الكنيسة بعد ترميمها تخليدا لتاريخها "المجيد".. فقام باستخدام الهياكل العظمية لأربعين ألف إنسان لتصبح الكنيسة نبراسا وشاهدا على التاريخ الكنسى "الأصيل"..

ويتندر مؤسس الموقع الخاص بهذه الكنيسة الفاضحة، بالمستوى "الإبداعى" للفنان رينت هذا، على أنه إستطاع عمل النجف الرئيسى باستخدام كافة أنواع وأشكال العظام الآدمية التى يحتوي عليها جسم الإنسان، كما قام بجمع عظام الآلاف من القتلى داخل وعاء زجاجى، على شكل أجراس ضخمة، وضعها فى أركان الكنيسة الأربعة.. والصور المرفقة بملاحق الكتاب تقول ما فيه الكفاية عن ذلك التاريخ الدامى القائم على إقتلاع الآخر!

وأياً كان أصحاب تلك العظام المغلوبة على أمرها والدالة على إغتيال الآلاف المؤلفة من البشر فعلا، سواء أكانوا من المسلمين أو البروتستانت أو الأريوسيين الموحدين بالله والرافضين لتأليه المسيح، أو لأي ملة من الملل، وكان من الأكرم دفنها إحتراما لحرمة الموتى، فلا يوجد أى دليل إدانة أقوى وأصدق وأعنف من دليل تلك الكنيسة، التى تجأر بأعلى صوت، أنها تشهد على المذابح التى قادتها المؤسسة الكنسية لفرض عقيدتها، وعلى أن المسيحية قد إنتشرت فعلا بالسيف فى جميع أنحاء العالم!

والطريف أن الكنيسة تدعى: " كاتدرائية صعود السيدة مريم والقديس يوحنا المعمدان ".. ويا له من عنوان لصعود سماوى يتم على هياكل آلاف البشر المذبوحين ظلما

وعدوانا! والأطرف من ذلك أن منظمة اليونسكو تحافظ على هذه الكنيسة على أنها من الآثار المجيدة للذكرى والتاريخ!!

واللهم لا تعليق سوى: أن يكف إخواننا المسيحيون عن إلصاق تهمة أن الإسلام قد إنتشر بالسيف ويروا بأعينهم مدى الخطأ الذي يقعون فيه بمثل هذا الإسقاط الذي يقومون به فى حق الإسلام، وأن يكف القائمون على عمليات التنبشير والتنصير، أن يخجلوا من التاريخ الذي يحملونه على أكتافهم، وأن يرفعوا أيديهم عن الإسلام والمسلمين!!

وهى عبارة أرفعها أيضا إلى البابا بنديكت السادس عشر، الذى يقود عمليات تنصير العالم بهيستريا غير مسبوقة : ليرفع أيديه عن الإسلام الذى يحاول إقتلاعه بإصرار رهيب، بكافة الوسائل والأحاييل، وقد حان له أن يدرك أن الإسلام لم يأت، كرسالة سماوية من عند الله، إلا بعد أن حادت المؤسسة الكنسية عن رسالة التوحيد بالله وأشركت به وضلّت طريقها وأضلت أتباعها ، فجاء الإسلام كاشفا لكل عمليات التحريف التى تمت، وكفى "قداسة" البابا آلام ما تكشفه الأيام من إدانات لمؤسسته العتيدة المتعصبة والتى لم تعرف أبدا على مدى عمرها معنىً لكلمة التسامح..

نظام العبودية

سيظل نظام العبودية الذي استغله الغرب المتعصب أسوأ إستغلال، وصمة عار فى تاريخه الدامى، الذي لم يعرف للتسامح أى معنى، حتى وإن كان ذلك النظام موجودا فى المجتمعات والحضارات الريفية القديمة قبل الميلاد.

فقد مثلت العبودية أكثر الأشكال المنتشرة لتنظيم العمل والبنية الأساسية للإقتصاد الغربى. ومن أجل تزويد السوق بالعمالة المطلوبة قام التجار بترتيب هجرات واسعة عرفت ذروتها فى حوض البحر الأبيض المتوسط، فى العصور القديمة، ثم حول ضفاف الأطلسى بعد اكتشاف الأمريكتين وإقامة المزارع الإستعمارية بهما.

والعبودية هى قمع الإنسان لإنسان آخر وحرمانه من كافة أنواع الحرية وتسخيره للعمل والإنتفاع به تحت ضغوط وظروف لا إنسانية، كما كان يعامل كسخص منبوذ من لمجتمع الذي لا مكان له فيه إلا ساحة العمل..

وقد أدى نظام العبودية واستغلال إنتاجية العبد إلى خلق طبقة من البشر أقرب ما تكون فى تدنيها، المفروض عليها قهرا، من الحيوانات والدواب.. ويصف المؤرخ كْسينوفون كيف " كان الملك سيروس يقود العبيد الموثوقون بالحبال والسلاسل كالبهائم إلى مسقى المياه ليشربوا"!

ومن أجل الحصول على مزيد من الربح ومزيد من الإنتاجية، كان يتعيّن على مالك العبيد أن يقلل من النفقات التى ينفقها عليهم إلى أقصى حد.. لذلك كان طعامهم محدد بالكفاف، وكانت الوجبات تقل إذا مرض العبد، وما أن تقل إنتاجيته حتى كان مالكه يبيعه للتخلص منه أو يقتله. فتزايد ثروات الملاك لا تتزايد ولا تتراكم إلا بمزيد من الإستغلال والتفرقة العنصرية وإنكار أية كرامة إنسانية للعبد..

ولكي ندرك معنى تجارة العبيد بأنواعها، فيجب أن نأخذ فى الإعتبار العناصر التالية ودمجها لإرتباطها وللإحاطة بأبعادها ومكوناتها: أن الضحايا كانوا دائما من السود، وأن التجار كانوا يرتبون موارد تمويل بشرى منتظم، وأن الشعوب أو القبائل المستعبَدة أو الواقعة فى نير العبودية كانت تندثر بالتدريج، وأن المكان الذي كان

يُقتنص فيه العبد يجب أن يكون بعيدا عن المكان الذي سيساق إليه ويخضع فيه لنير العبودية، وأن تجارة العبيد لم تكن دائما تجارة مباشرة وإنما كثيرا ما كانت تعرف نظام "المورّد".. ففى أغلب الأحيان كان هناك قناصون وتجار يشترون الفرائس لإعادة بيعها..

وبما أن تجارة العبيد تعد نشاطا تجاريا، فكثير من المؤسسلت السياسية فى الحضارات المختلفة كانت تقر هذه التجارة وتجنى منها مكاسب إضافية!

ومما يكشف عن مدى ذلك الظلم الممارس على طبقة العبيد، ما كتبه أرسطو قائلا: "إن فائدة الحيوانات الخاصة والعبيد تتساوى تقريبا، فكلاهم يعاونونا بقوتهم الجسدية على مواصلة متطلبات الحياة (...) ومن هذا المنطلق فإن الحرب تعد وسيلة طبيعية، بما أنها تتضمن فعل إصطياد الحيوانات والعبيد، وكلاهما وُلد من أجل الطاعة "!

ومع تزايد عدد العبيد بصورة لافتة فى روما تحديدا، وفى إيطاليا بعامة، فيما بين القرن الأول قبل الميلاد والأول الميلادى، بسبب الحروب والغزوات على كل من إفريقيا واليونان والشرق وبلاد الغال، نطالع فى موسوعة أونيفرساليس "أن قيصر قد باع مليونا من العبيد، فى فترة عشر سنوات، كان قد استجلبهم من بلاد الغال وألمانيا وبلاد البلكان"..

وأدت عمليات القمع وسوء المعاملة إلى قيام العبيد بعدة ثورات فى محاولة للخلاص من ذلك الوضع اللا إنسانى. ويحكى ديودور الصقلى عن عهد تلك الثورات الجماعية وعن الجهود التى كانت تقتضيها السيطرة عليها.. ومن أشهر ثورات العبيد آنذاك، ثورة سْبارتاكوس التى قاد فيها سبعين ألف عبدا هاربا من نير العبودية، وكان قد نجح فى هزم الجيش الرومانى فى مرات سابقة، لذلك تضافرت جهود عدد من القادة العسكريين لكي يتمكنوا من إخماد آخر ثورة لهم والتى تم سحقهم فيها، فى موقعة بريند سنة 71 ق م، والتى قُتل فيها أربعين ألف عبدا..

ومع ظهور المسيحية، تواصلت تجارة العبيد وتم الحفاظ على مآسى العبودية باسم الدين وبموجب النصوص الكنسية: فنطالع فى رسالة بولس إلى أهل إفسوس أنه يوصى العبيد بطاعة أسيادهم كطاعتهم ليسوع: "أيها العبيد أطيعوا سادتكم حسب

الجسد بخوف ورِعدة فى بساطة قلوبكم كما للمسيح" (6: 5). وفى رسالته إلى تيموثاوس يطالب العبيد بخدمة أسيادهم لأن تلك هى عقيدة السيد المسيح: "جميع الذين هم عبيد تحت نيرٍ فليحسبوا سادتهم مستحقين كل إكرام لألا يُفترى على إسم الله وتعاليمه" (6: 1). وفى رسالته إلى تيطس يطالب العبيد ببذل الجهد لإرضاء أسيادهم حتى يكرموا عقيدة المسيح: "والعبيد أن يخضعوا لسادتهم ويُرضوهم فى كل شىء غير مناقصين: (2: 9)..

وكذلك بطرس الرسول، إذ نطالع فى أول رسالة له أنه يوصى العبيد بطاعة أسيادهم الصالحين منهم والعناف: " أيها الخدم كونوا خاضعين بكل هيبة للسادة ليس للصالحين المترفقين فقط بل للعناف أيضا" (2: 18)..

وتابع آباء الكنيسة وصية الرسل فى فرض العبودية الإجتماعية وتبريرها وأنه على العبيد طاعة سادتهم من أجل مجد الرب! بل كان بعضهم ينصح العبيد قائلا: حتى لو منحت لك الحرية عليك برفضها وتبقى فى العبودية لأن تلك هى مشيئة الرب! وبخلاف الآباء نطالع أيضا اقوال القديسين، ومنهم القديس سيبريان، والبابا جريجوار الأكبر، والقديس بازيليوس، والقديس إيزيدوروس وتوما الأكوينى، وجميعهم يرددون نفس الكلمات!

وفى القرن الثامن عشر بدأت أزمة جديدة تهز مجتمعات العبودية التى كانت تثيرها وجود خطين متناقضين فى آن واحد: حق القتل العرقى الذي منحه المستعمر الغربى لنفسه، وما أكثر من أبادهم، وواجب الحفاظ عليهم التبشير والتنصير الذي فرضه على نفسه بوثائق ونصوص إبتدعها لتثبيت عقيدته!

وفى عام 1789 استند رجل الدولة الفرنسى سيلفان باييى إلى سفر الخروج وسفر اللاويين ليبرر أن الحرب تعطى الحق للمنتصر أن يفرض وضع العبودية على الأعداء، بل ومن القادة الدينيين من إعتبر أن تجارة العبيد تجارة شرعية كالأسقف بوفييه! كما كان القساوسة يرون أن الزنوج هم من سلالة شام الملعونة، لذلك كانوا يبررون المعاملة الوحشية التى كانوا يعاملون بها ويبقون عليها..

ومن الغريب أن نطالع أنه فى عام 2007 تمر مائتى عام على قيام البرلمان البريطانى بأولى محاولات إلغاء نظام العبودية! أولى المحاولات.. أى أن ذلك

المجتمع "المتحضر" ظل ثمانية عشر قرنا يفرض نظام العبودية على شعوب مقهورة ومنهوبة ومستعمرة بصفاقة وعن غير وجه حق، قبل أن يفكر فى إلغاء ذلك الوضع الظالم الذي قام عليه إقتصاد حضارته!

ويرى بعض المؤرخين أن ذلك القرار الذي أصدره البرلمان البريطانى عام 1807 يُعد واحدا من أهم القرارات التى إتخذها والتى يختتم بها عهدا سيطرت فيه بريطانيا لعدة قرون على تجارة العبيد عبر البحر الأطلنتى.

وقد بدأت تجارة العبيد فى المحيط الأطلنتى عام 1441 بنقل أسرى أفارقة إلى إسبانيا لمدة عشرات السنين، ثم بدأ البرتغاليون يشحنون العبيد إلى جزر الكاريبى وأمريكا الجنوبية.. ومع سقوط القسطنطينية عام 1453 بدأ الأمير هنرى البحار فى إقامة علاقات تجارية مع إفريقيا تحت الصحراوية، وقام بأول عملية بيع عبيد على شواطىء الأطلنتى عام 1444 فى مدينة لاجوس.

ويوضح لومبار دنيس، مدير قسم الثقافات بكلية الدراسات العليا فى العلوم الإجتماعية فى باريس، فى كتابه حول "مفترق جاوا": "أن الإيطالى ألفيز دا موستو قد رتب رحلتان بحريتان إلى شواطىء إفريقيا عامى 1455 و1456 بتمويل من الأمير هنرى البحار لمحاصرة سيطرة المسلمين على الطرق الملاحية التجارية إلى الشرق"..

والأمير هنرى البحار (1394 . 1460) يُعد أهم شخصية مهدت لبداية التوسع الإستعمارى الغربى. وما يكشف عن اهتمامه فى محاصرة الإسلام والمد الإسلامى أنه كان قد تم تعيينه فى 1420/5/25 مديرا لتنظيم " فرسان المسيح"، وهو التنظيم الذي خَلَفَ تنظيم " فرسان المعبد " بعد مقتل كل أعضاؤه..

وتنظيم "فرسان المسيح" أنشأه دنيس الأول ملك البرتغال لحماية حدود منطقة الجرف ضد المد الإسلامى. ونطالع فى موقع فيكيبيديا: "أن هذا التنظيم قد أدى خدمات جليلة فى حروب المسيحيين ضد المسلمين". وهو ما يكشف كيف ان الرغبة فى إقتلاع الإسلام والمسلمين ليست وليدة الأحاث المعاصرة فحسب وإنما ترجع فعلا إلى بداية إنتشار الإسلام.

ولم تكن بريطانيا وحدها فى تلك التجارة اللا إنسانية التى توصم الغرب المسيحى بأقبح الوصمات، فقد كانت تجارة العبيد واحدة من أكثر مجالات التجارة ربحا وأكثرها جذبا للقوى البحرية والإستعمارية. وقد جاهدت كل الدول الإستعمارية للإستفادة إلى أقصى حد ممكن من تلك التجارة التى يُعتصر فيها الإنسان الفريسة حتى النخاع!

وما تحاول الدراسات الحديثة التوصل إليه هو معرفة إلى أى مدى استفاد الغرب من فرض نظام العبودية على القارة الأفريقية، وإلى أى درجة أضرت هذه التجارة بسكان القارة الإفريقية من خلال ربط تاريخ إفريقيا بالأمريكتين وبأوروبا لمدة عدة قرون متتالية من المآسى الطاحنة والإستغلال..

ويوضح جيمس والفن فى كتابه عن "تجارة العبيد"، كيف بدأ الأوروبيون فى القرن الرابع عشر استجلاب الأفارقة على غير إراتهم لإستخدامهم كخدم للأثرياء، " مبررين ذلك بأنهم يجلبون العبيد الأفارقة لمنحهم فرصة التحول إلى المسيحية"!! وفى القرن السابع عشر تحول جلب العبيد من إفريقيا إلى سبب مقدس هو: لتدعيم الكنيسة ومساندتها فى زيادة تعدادها..

وعندما بدأ الإسبان والبرتغال استكشاف الأمريكتين أخذوا عبيدهم الأفارقة معهم. وتبين لهم أن بعض هؤلاء العبيد عبارة عن "مستكشفين" بارعين، عاونوهم على استكشاف الهنود الحمر فى الأماكن التى يختبؤن فيها وهم ينتشرون بحملاتهم لغزو كل من نيو مكسيكو وأريزونا.

ويشهد التاريخ بأن الهنود الحمر قد حاولوا مقاومة الغزو الأوروبى ومفاومة سرقة أراضيهم وممتلكاتهم بمعارك ضارية، لكن وهن أسلحتهم سرعان ما كان يتلاشى أمام تفوق أسلحة الغزاة المتطورة والتى لا تقارن ببضعة سهام أو حراب بدائية..

وقد كان بجزيرة كوبا وحدها مليونان من السكان الأصليين قبل وصول الإسبان. وبعد خمسة وعشرين عاما لم يبق منهم سوى الفين نسمة.. فقد تم قتل أغلبهم بينما مات الباقون جوعا أو بسبب الأمراض التى جلبها الغزاة معهم، أو بسبب إجبارهم على العمل لمدة ساعات قاسية طويلة بلا رحمة.

ونتيجة لتلك الموجات الكاسحة من مختلف أنواع القتل إنخفض تعداد سكان الجزر فى البحر الكاريبى مما نجم عنه مشكلات ملحّة بالنسبة للمستعمرين وحاجتهم إلى

الأيادى العاملة لاستغلال الموارد الطبيعية لهذه الجزر. فقاموا بتعويض ذلك النقص الشديد بجلب العبيد من إفريقيا.

وسادت تجارة العبيد، وسيطرت بريطانيا على السوق المخزى، وقامت ببناء موانىء يحتجزون فيها العبيد المقتلعون من بلدانهم إلى ان تأتى السفن المعروفة باسم " ناقلات العبيد " لتقلهم إلى الأمريكتين وجزر البحر الكاريبى التابعة لها، بأسلوب أكثر وحشية وهمجية من نقلهم للحيوانات والمواشى!

وتم إستخدام العبيد فى مختلف أنواع المزارع التى تولت إمداد السوق الغربية باحتياجاتها المختلفة من سكر وقطن وأرز وطباق.

وكان العمل فى مثل هذه المزارع الإستعمارية شديد الشقاء والقسوة، إذ كان العبيد يعملون من شروق الشمس إلى غروبها بلا توقف. وأيام الحصاد كانوا يعملون ثمانية عشر ساعة يوميا. وكان الرجال والنساء يعملون معا، بنفس النمط وبلا تمييز حتى بين الحوامل اللائى كن يعملن فى الحقل حتى يضعن أطفالهن.

ومع صعوبة ظروف العمل وقسوتها وسوء المعاملة وقلة الخدمات الصحية كانت نسبة الوفيات شديدة الإرتفاع بين العبيد وتصل إلى حوالي 20 % من تعدادهم! ولتعويض ذلك النقص والإقلال من نفقات جلب العبيد الجدد، كان أصحاب المزارع يلجأون إلى فرض ضرورة إنجاب الأطفال على العبيد. فكان الحمل يبدأ ما ان تبلغ الفتيات، وكان عليهن إنجاب أربعة أو خمسة أطفال عند بلوغهن سن العشرين من العمر.. ولتشجيعهم على الإنجاب كان بعض أصحاب المزارع يعدون العبيد بالحرية إذا ما أنجب أيّهم خمسة عشر طفلا!

أما العقاب الذي كان سائدا بخلاف الضرب والجلد والشد على العجلة والحبس، فإن حاول العبد الهرب فرارا من جحيم الحياة، كانت تقطع أذنه ويكوى بالنار، كعلامة على هروبه. وإذا حاول ثانية، تقطع عضلة ركبته من الخلف ويكوى بالنار ثانية، وفى المحاولة الثالثة كان يقتل فور الإمساك به..

ويشير المؤرخ النيجيرى إينيكورى أن عدد العبيد الذين تم اقتلاعهم من القارة الإفريقية وصل إلى مائة وإثنى عشر مليون نسمة وإن كان المؤرخون الغربيون يقللون ممن ذلك العدد! وأيا كانت الملايين المقتلعة، فمما لا شك فيه أنه كان لها إنعكاسها على

تخلف القارة وتدهور حالها.. ويوضح إينيكورى كيف كان يتم الإستيلاء على العبيد عادة إما عن طريق الحروب الخاطفة والغزوات الفجائية، وأحيانا نادرة عن طريق التفاوض والمغريات التى لا يلتزمون بها..

وقد إعتمد اكتشاف العالم الجديد على سياسة الإستعمار القائمة على السرقة والنهب واقتلاع السكان الأصليين للأمريكتين وتحويل عدد منهم إلى عبيد. وعندما فرغوا من عمليات القتل العرقى ولم يعد هناك من يقلونهم بخلاف من تم تحويلهم إلى عبيد، لجأ المستعمرون إلى استجلاب العبيد من إفريقيا على نطاق واسع. وأول ما كانوا يفعلونه معهم هو تعميدهم وفرض المسيحية عليهم..

وتبرر الدول الإستعمارية بكل قحة لجوئها إلى نظام الإستعمار والعبودية بأنها ضرورات لتحسين اقتصادها! وهو ما نطالعه بالتفصيل فى موسوعة أونيفرساليس الفرنسية طبعة 1995 تحت موضوع "تجارة العبيد"..

ومما كتبه مونتسكيو ، أديب فرنسا الشهير، فى كتابه "**روح القانون**" : "إن كان علىّ أن أساند حقنا فى تحويل الزنوج إلى عبيد لقلت : إن شعوب أوروبا، بعد أن أبادت سكان الأمريكتين، كان لا بد لها من استعباد سكان إفريقيا لاستصلاح تلك المساحات الشاسعة (...) ولو لم نلجأ إلى نظام العبيد لأصبح سعر السكر شديد الإرتفاع (...) كما لا يمكننا الإقتناع بأن الله ، ذلك الكائن الحكيم، قد وضع روحا فى أجساد بمثل هذا السواد (...) والدليل على ان الزنوج لا عقل لهم ولا منطق، أنهم يهتمون بعقد مصنوع من الزجاج أكثر من اهتمامهم بعقد مصنوع من الذهب الذى نعرف نحن قيمته (...) فمن المحال أن يكون هؤلاء القوم من البشر، إذ لو افترضنا أنهم كذلك لكنا نحن غير مسيحيين"! ويا له من منطق لا ينم إلا عن عنجهية متعجرفة لا يمكنها أن تعرف معنى الإنسانية، فما بالنا بالتسامح.. وما أبعدهم عنه!

وظلت العبودية واقعا ممتدا حتى زماننا هذا، فوفقا للتقديرات التى توردها الأبحاث الجديدة وأفردت لها مجلة "إيستوار" الفرنسية فى عددها رقم 280 فى أكتوبر 2003، أنه لا يزال حتى يومنا هذا حوالي عشرين مليونا من البالغين المفروض عليهم وضع العبودية، إضافة إلى عشرات الملايين من الأطفال الذين يعملون فى ظروف قريبة من مستوى العبودية.. وليس ذلك فى إفريقيا وحدها أو آسيا، وإنما فى أمريكا

وأوروبا. وهما من أكثر البلدان التى ينطبق عليها تعريف محكمة العدل الدولية بأنها "جرائم ضد الإنسانية"!

وإن كانت جذور العبودية ترجع إلى أقدم الحضارات، فما من مجتمع لم يعرف ذلك النظام القمعى الذي يفرض على شريحة بأسرها من الناس البؤس والإستغلال بغية الحصول على أرباح طائلة..

ومنذ القرون الوسطى تطورت تجارة العبيد على نطاق واسع خاصة مع إكتشاف الأمريكتين والجزر المنتشرة من حولهما. وبدأت عندئذ ما عُرف بالتجارة المثلثة التى كانت تدور فى إطارها تجارة العبيد فيما بين أوروبا وإفريقيا والأمريكتين، تلك التجارة التى إحتلت الصدارة منذ القرن السادس عشر وإقامة نظام المزارع الإستعمارية الشاسعة فى العالم الجديد.

وقد اشتهرت تجارة العبيد عبر الأطلنتى بالتجارة المثلثة لربطها إقتصاد القارات الثلاث ولكونها أساس ذلك الإقتصاد. إذ كان يتم إقتناص الرجال والنساء والأطفال لبيعهم، إضافة إلى ما كان يتم الحصول عليهم بالحروب والغزوات الفجائية.. وكانت هذه التجارة المثلثة تتم على ثلاث مراحل: كانت ناقلات العبيد تبدأ رحلتها من غرب أوروبا متجهة إلى إفريقيا، محملة بالبضائع. وعند وصولهم إلى شواطىء إفريقيا كان القبطان يقوم بمقايضة ما يحمله مقابل الحصول على العبيد. وأهم ما كانوا يجلبونه معهم بنادق البارود والمنسوجات، إضافة إلى الخمور.. وكانت عملية المقايضة تستمر أسبوعا أو عدة أشهر.

وكانت المرحلة الثانية لهذه التجارة المثلثة هى عبور الأطلنتى، محملة بالعبيد لبيعهم واستعبادهم بطول القارة الأمريكية وعرضها. أما المرحلة الأخيرة فى هذه التجارة المثلثة الأضلاع، فكانت تتجه من الأمريكتين إلى أوروبا، محملة بالمواد الزراعية الناجمة عن سخرة العبيد لتصديرها إلى موانىء أوروبا. وكانت هذه الرحلة الثلاثية الأضلاع تستغرق ثمانية عشر شهرا تقريبا.

أما تجارة العبيد فى المحيط الهندى فقد بدأت مع تكوين مجتمعات الجزر بها عبر فترات محتلفة، إعتمادا على هجرات الشعوب من آسيا وإفريقيا وأوروبا ومن تجارة

العبيد منذ العصور القديمة. إذ تزايد نظام العبيد فى جزر المحيط الهندى قبل الإستعمار الغربى لها، خاصة فى مدغشقر وجزر القمر.

ومع وصول الأوروبيين فى المحيط الهندى فى القرن السابع عشر والثامن عشر، أخذت تجارة العبيد شكلها الإستعمارى المنتظم والمكثف لنقل عبيد جدد إلى هذه الجزر غير الآهلة تقريبا لإستغلالهم فى مزارعها. وبذلك تكون مجتمع من العبيد المقتلعون، لينموا فى أرض بلا جذور..

ومن أسوأ ما كان يُفرض على العبيد . بخلاف تلك المعاملة الشديدة القسوة، الحرمان من تعلم القراءة والكتابة، واستمر هذا الحظر إلى ما بعد إلغاء نظام العبودية، الذي لم يؤدى إلغاؤه إلى الحد من التفرقة العنصرية الإجتماعية والسياسية وإنما استمر الإستعباد بطرق متفاوتة حتى يومنا هذا.. فعلى الرغم من القوانين التى أصبحت تحرم تجارة العبيد أو تحرم فرض وضع العبودية فقد واصل المستعمر الغربى استخدام نفس النظام فى المستعمرات الخاضعة له بنفس الوسائل من إستغلال وعقاب جسدى ووضع إجتماعى متدني وبلا أية حقوق..

ومما يدفع إلى التعجب لكيلا نقول السخرية، أن البرلمان الفرنسى قد أدرك فى العاشر من شهر مايو 2001، أن العبودية تعد "جريمة ضد الإنسانية" وخصص ذلك اليوم لتذكّر مآسى العبيد.. ويا لها من ذكرى!

هيروشيما وناجازاكى

سـيظل دك مـدينتى هيروشـيما وناجـازاكى أو إقتلاعهمـا مـن الوجـود، فـى 6 و9 أغسطس 1945 أثناء الحرب العالمية الثانية، صفحة من أسود صفحات التاريخ التى تدين التعصب الغربى، الغارق قادته فى أنانية عربيدة، لفرض سيادته وديانته بأى وسيلة وبأى ثمن!

ففى الثانى من شهر أغسطس عام 1939، كتب العالِم أينشتاين خطابا إلى الرئيس الأمريكى روزفلت، يحيطه علما بالدراسات الدائرة وبإمكانية تحويل اليورانيوم إلى طاقة مهولة فى القريب العاجل. وإن قنبلة واحدة من هذا النوع يمكنها أن تدمر ميناء بأسره إضافة إلى مساحة كبيرة من الأراضى المحيطة به. كما أطلعه فى نفس الخطاب أن الولايات المتحدة تفتقر إلى مادة اليورانيوم بينما توجد منها كميات فى كل من كندا وتشيكوسلوفاكيا السابقة، إلا أن أهم المنابع توجد فى الكونغو البلجيكي. وأوضح أن المانيا قد حرّمت بيع اليورانيوم التشيكى بعد ان استولت على منابعه، وأن إبن نائب وزير الخارجية الألمانى يعمل فى معهد كايزر فى برلين . حيث يقومون بتكرار التجارب الأمريكية على اليورانيوم (وارد فى كتاب سامي كوهين: "**القنبلة الذرية، استراتيجية الهلع**" 1995).

وفى 19 من شهر أكتوبر 1939 استجاب روزفلت إلى طلب أينشتاين وبدأ السباق المزدوج للإستحواذ على اليورانيوم وسرعة إيقاع التجارب ما بين الولايات المتحدة والمانيا..

وفيما بين ديسمبر 1941 وأغسطس 1945 كان قد تم تعيين 140000 شخصا تحت قيادة الجنرال ليزلى جروفس ومساعده العِلمى روبرت أوبنهايمر. وتم تجميع مكونات القنبلة فى لوس آلاموس، فى نيو مكسيكو، بالولايات المتحدة. وفى شهر يوليو 1945 كانت هناك ثلاث قنابل معدّة، إحداهما بمادة البلوتنيوم، تم تجربتها فى 16 يوليو 1945، فى صحراء ألاموجوردو بنيو مكسيكو بنجاح كامل لأول تفجير ذرى..

وقامت الولايات المتحدة بإنذار اليابان، لكن اليابان رفض هذا الإنذار فى 28 يوليو 1945.. وفى السادس من شهر أغسطس 1945، فى الساعة الثامنة والربع صباحا، تم إلقاء القنبلة المسماه "ليتل بوى" أى "الطفل الصغير"، المصنوعة من اليورانيوم 235، بواسطة طائرة ب . 29 من على إرتفاع 633 مترا.. وأدى إنفجارها إلى حرق 130000 شخصا فى الحال، وإلى إعاقة 80000 شخصا، وإلى مائتين ألف حالة وفاة فى فترات زمانية متتالية!

وفى التاسع من شهر أغسطس 1945، أى بعد ثلاثة أيام من إلقاء القنبلة الأولى، تم إلقاء القنبلة الثانية على مدينة ناجازاكى، وكانت مصنوعة من مادة البلوتنيوم 239، واسمها " **فات مان**" أى "الرجل السمين"، وأدى إنفجارها إلى إحتراق إربعين ألف شخصا فورا، وإلى وفاة مائة وعشرين ألف شخصا فى فترات زمانية متتالية! وفى أواخر القرن العشرين كان لا يزال هناك ثلاثمائة الفا آخرون يعانون من عواقب هذين الإنفجارين..

ونطالع فى كتاب ونسطن تشرشل عن "**الحرب العالمية الثانية**"، مجلد 12، "**الإنتصار والمأساة** "، الصادر عام 1954، وصفه فيما يتعلق بالقرار الخاص بإلقاء القنبلتين: "لقد بات من المسلم به تاريخيا، وهذه الواقعة هى التى يجب أن تحاكم فى المستقبل، أن مسألة معرفة ما إذا كان يجب استخدام القنبلة الذرية لإقناع اليابان بالتسليم، لم تطرح حتى فيما بيننا. فقد كان الإتفاق جماعيا، تلقائيا وبلا أى اعتراض على مائدتنا"!

أى إن قرار استخدام القنبلة الذرية كان بالإجماع بين الدول الإستعمارية الغربية العظمى، وأُغلقت المناقشة فيه أو أنها لم تفتح أصلا للإتفاق الضمنى بين المتحطمين فى مصائر الشعوب.. فما تم إقراره هو إلقاء القنبلتين فى مطلع شهر أغسطس، بغض الطرف عن النتائج المأساوية التى ستتمخض عنها! أى أن قرار دك مدينتين بكل ما بهما من آدميين ومخلوقات ومبانى قد إتخذ فى جلسة واحدة وبلا مناقشة لأية عواقب، ويا له من جبروت..

وفى 7 أغسطس 1945 أعلن الرئيس الأمريكى ترومان فى الإذاعة الأمريكية بكل برود وصلف:

"(...) إن القنبلة الذرية تسمح بتكثيف هدم اليابان بصورة عصرية ترجع قوتها إلى قوى العناصر الأساسية فى الكون، وهي تلك التى تزود الشمس بطاقتها. وقد تم إلقاء هذه القوة على الذين فجّروا الحرب فى الشرق الأقصى.

"ولدينا الآن مصنعان كبيران وعدة مؤسسات خاصة بانتاج الطاقة الذرية. وقد وصل عدد العاملين بها إلى 125000 شخصا وأكثر من 65000 لا يزالوا يعملون فى هذه المصانع.. وقد أنفقنا ملياران من الدولارات، وجاذفنا بأكبر مجاذفة علمية فى التاريخ، وكسبنا.

"(...) وقد تم نشر الإنذار الأخير فى مدينة بوتسدام لتفادى إقتلاع شعب اليابان بأسره، لكن القادة اليابانيين سارعوا برفضه. وإن لم يقبلوا حاليا بشروطنا، يمكنهم أن ينتظروا وابلا من أمطار الهدم تنهال عليهم من الجو مثلما لم يحدث من قبل على هذه الأرض. وبعد هذا القصف الجوى فإن القوات البحرية والأرضية ستليها عددا وقدرة مثلما لم يحدث من قبل بنفس القدرة التى يعرفونها تماما"!!

ونطالع فى مجلة "**إيستوار**" الفرنسية عدد مايو 1995 رقم 188، نص الخطاب الذي أذاعه الرئيس هارى ترومان فى الإذاعة الأمريكية يوم 19 أغسطس 1945، ومنه:

"لقد صنعنا القنبلة واستخدمناها. لقد استخدمناها ضد الذين هاجمونا بلا إنذار فى بيرل هاربور، وضد الذين أجاعوا وضربوا وأعدموا سجناء الحرب الأمريكيين، وضد الذين رفضوا الإستماع إلى قوانين الحرب. لقد استخدمناها للإقلال من إحتضار الحرب، لإنقاذ حياة آلاف وآلاف من الشباب الأمريكيين. وسنواصل استخدامها إلى أن نهدم تماما القدرة العسكرية لليابان"..

أما جريدة "لوموند" الفرنسية فقد كتبت نقلا عن وكالة الأنباء الفرنسية يوم 1945/8/10: "أن عدد القتلى لا يحصى ولا يمكن عده، وقد أعلن راديو طوكيو أن استخدام القنبلة الذرية الجديدة يعد خرقا للقانون الدولى"! كما أعلن اليابانيون أن كافة الأحياء، آدميين كانوا أو حيوانات، قد إحترقوا أحياء بفعل القنبلة الجديدة، وإن قوة هدم هذه القنبلة الجديدة تمتد على نطاق واسع بحيث أن الناس الذين كانوا فى

الشوارع أو فى الريف قد إحترقوا أحياء بفعل الحرارة الناجمة عن الإنفجار، بينما من كانوا فى بيوتهم فقد ماتوا تحت أنقاض المبانى التى تهدمت عليهم"..

وكان الأديب الفرنسى ألبير كامو من الأصوات النادرة التى ارتفعت لتدين هذا الإجرام الذي تعجز الكلمات عن وصفه.. ففى إفتتاحية جريدة "**كومبا**" الصادرة فى 1945/8/8 كتب قائلا:

"لقد تغنت مختلف الجرائد العالمية بانبهار وإعجاب حول المخترعين والتكلفة والإستخدامات المدنية أو الحربية والعواقب السياسية، لكننا نلخص الموقف فى عبارة واحدة: إن الحضارة الميكانيكية قد وصلت إلى ذروة وحشيتها ويتعيّن علينا أن نختار فى القريب العاجل بين الإنتحار الجماعى أو الإستخدام الذكى للإنتصارات العلمية..

"وإلى أن يتم هذا الإختيار يحق لنا القول إنه من العار أن نحتفل بهذا الأسلوب بمثل هذا الإكتشاف الذي أول ما يخدمه هو ذلك الهوس المهول للهدم الذي يمارسه الإنسان منذ قرون.. ففى عالم تقوده مختلف أنواع الصراعات، وغير القادر على أية سيطرة، وغير العابىء بالعدل أو حتى بسعادة البشر، وحيث العِلم يخضع للقتل المنظم، فإن لم ينزعج أحدا مما يدور، فلا بد من أن يكون غير عابىء أو غير مكترث (...) وحيال التوقعات المرعبة التى تنفتح أما الإنسانية، نرى أن السلام هو المعركة الوحيدة التى يجب أن نخوضها. إنها ليست رجاء وإنما فعل أمر يجب أن يصعد من الشعوب إلى الحكومات، فعل أمر بالإختيار النهائى بين الجحيم والعقل"..

ونطالع وصف ما حدث أثناء الإنفجار، فى أحد التقارير الواردة فى كتاب "**القصة الخاتمة**" الصادر عام 1998:

"فى لحظة الإنفجار إنطلقت الطاقة على هيئة ضوء وحرارة وإشعاعات وضغط فى آن واحد. المساحة الكاملة للإشعاعات، بدأ من آشعة إكس وجاما، وفوق البنفسجية والآشعة المرئية حتى الحرارة المشعة للآشعة تحت الحمراء وقد إنتشرت بسرعة الضوء. موجة صادمة خلقها التفجير الضخم قد تكونت تقريبا فى نفس لحظة الإنفجار لكنها تحركت ببطء، تقريبا بسرعة الصوت. وامتدت الغازات الساخنة إلى أقصى درجة والتى كانت تكون كرة من اللهب الأصلى، إمتدت وتصاعدت ببطء أكثر (...)، إن البرق لم يدم أكثر من جزء من الثانية، لكن كثافته كانت من الحدة

بحيث تسببت فى حروق من الدرجة الثالثة على الجلد الآدمى فى نطاق كيلومتر ونصف (...)، وفى المحيط المباشر لنقطة الصفر (المنطقة التى تقع تحت مكان الإنفجار مباشرة)، أدت الحرارة إلى تفحم الجثث فورا بحيث لا يمكن التعرف عليها"!

وفى جريدة "**دايلى إكسبرس**" الصادرة فى 1945/9/5، نطالع:

"بعد حوالي شهر من إنفجار القنبلة الذرية الأولى التى هدمت المدينة وأرعبت العالم، يوجد أشخاص لم يصابو أثناء الطوفان، لكن لا يزالوا يحتضرون حتى اليوم بصورة غريبة، بشعة، من داء غير معروف ولا يمكننى وصفه إلا بالطاعون الذرى. إن هيروشيما لا تشبه مدينة قصفتها القنابل، وإنما هى أشبه بمدينة قد مر عليها وابور ظلط رهيب، سحقها سحقا، وأبادها إلى الأبد (...)".

"وفى المستشفيات رأيت أناسا لم تصبهم أية جروح أثناء الإنفجار لكنهم يموتون من ردود أفعاله. فبلا أسباب واضحة صحتهم تتهاوى ويفقدون الشهية، وشعرهم يسقط، وتظهر عليهم بقع زرقاء، ثم ينزفون من آذانهم وأنفهم وفمهم. وفى البداية تصور الأطباء أنها حالات ضعف عام وحقنوهم بفيتامين أ، وكانت النتائج بشعة، فقد تقيح اللحم حول مكان الحقنة وما تلبث الضحية أن تموت (...).

"لقد تم حصر أكثر من 53000 حالة وفاة، و30000 مختفون، أى ماتوا حتما.. وطوال اليوم الذي أمضيته فى هيروشيما مات 100 شخص من آثار القنبلة: كانوا من بين ال 13000 مصاب. ومنذ ذلك الوقت يموتون بواقع مائة شخص فى اليوم. وفى واقع الأمر كلهم سوف يموتون. وهناك أكثر من 40000 مصاب بإصابات خفيفة"!

أما وكالة أنباء "**دوماى**" فى طوكيو، فقد أوردت فى 1945/8/22 التقرير العسكرى الذي كتبه سوزتو تورّى، قائد الدفاع الجوى اليابانى بعد زيارته لهيروشيما:

"إن الإنفجار والضغط شديدا العنف. وبعد الإنفجار إمتدت حركة متموجة فى الجو. وفيما يتعلق بالحروق التى تسببها القنبلة، فإن الجانب المعرّض لها أكثر إصابة من الجانب الآخر. ومن الملاحظ أن كل ما هو أسود يجذب الحرارة أكثر من الأبيض. وبعد هدم المنازل تمر قرابة عشر دقائق قبل أن تشتعل. وبعد الإنفجار بخمس أو عشر دقائق إنهمر نوع من المطر الأسود على المدينة. وقد مات وأصيب أكثر من

360000 شخصا فى هيروشيما يوم 1945/8/6، تاريخ إلقاء أول قنبلة ذرية، و120000 من ضحايا القنبلة الثانية على ناجازاكى، الملقاه يوم 1945/8/9، ومنذ ذلك التاريخ يموت العديد من اليابانيين من جراء الحروق التى أصابتهم.

"إن المصابون يموتون بصورة غامضة. إن الغارة على هيروشيما قد وقعت صباحا أثناء ساعات العمل، وسقطت القنبلة فى وسط المدينة. إن الخسائر رهيبة. وقد مات أكثر من 60000 شخصا. والعدد سوف يتزايد لأن العديد من المصابين لن ينجوا من حروقهم. بل حتى اولئك الذين كانوا يبدون بصحة شبه جيدة قد أصابهم الوهن بصورة غامضة فى الأيام التالية وماتوا دون أن يمكن التعرف على ردود الأفعال المجهولة للقنبلة الذرية"..

وفى يوم 1945/8/24 نشرت جريدة "**لو فيجارو**" الفرنسية عن مدينة ناجازاكى تقول:

"إن آخر التحريات تكشف عن إن القنبلة قد أصابت مصنع أوروجامى شمال محطة ناجازاكى. وعلى الرغم من أن بعض أجزاء هذه المدينة لم تصب مباشرة من القنبلة، إلا أن كل زجاج النوافذ قد تهشم وكل أسطح المبانى قد تطايرت من عنف الإنفجار. لقد قتل أكثر من 10000 شخصا وهناك 20000 مصاب، و70000 مشرد"..

وأيا كان عدد الضحايا لهذا الفعل الإجرامى والذي من المحال حصره تماما، فلا بد من الإشارة هنا إلى أصل نفس هذا الفعل، الذي تعجز الكلمات عن وصفه، ألا وهو القرار الذي تسبب فى إلقاء هاتين القنبلتين، وقد رأينا فى بداية هذا الموضوع الإستخفاف الذي تم به أخذ هذا القرار وكيف ان كل أعضاء ذلك التحالف قد تواطئوا معا على تنفيذه..

إن القرار الذي أعلنه هارى ترومان بتدمير هيروشيما وناجازاكى، يعد من أكثر القرارات المختلف عليها فيما يتعلق بوثائق الحرب العالمية الثانية.. وهو ما يكشف عن ان أولئك المتحكمين فى سياسة البيت الأبيض على مدى تاريخه الدامى، يعتمدون أساسا على المغالطات والأكاذيب لتبرير أفعالهم . وليست سلسلة الأكاذيب المتعلقة بأحداث 11 سنتمبر 2001 ببعيدة.. فقد كانت اللجنة المختصة بدراسة

كيفية إستخدام القنابل الذرية قد أوضحت "أن يتم ذلك على هدف مدني وعسكرى، ودون سابق إنذار"!

وهو ما يكشف مدى الإصرار على إصابة اليابان فى مقتل. من ناحية أخرى كان الأمريكان يفكون شفرات الجيش اليابانى ويعلمون أن هناك جناح فى الحكومة اليابانية يميل إلى الحل السلمـ وكان من الممكن الإعتماد على هذه المجموعة، إلا ان الغل الكامن فى الأعماق والرغبة الجامحة فى اقتلاع الطرف الآخر هى السائدة دوما. ومن ناحية أخرى، كان هارى ترومان مصرا على استسلام اليابان بلا قيد أو شرط، وحينما رفضت آثر الإسراع بالتدمير..

ومن الغريب أن الراى العام الأمريكى لم يُصدم لا من قرار ترومان ولا من النتائج التى أدى إليها، واستقبل الفريق الذي قام بإلقاء القنبلتين استقبال الأبطال!

ومنذ عام 1945 حتى يومنا هذا، أحصى ميشيل كولون عدد المرات التى غارت فيها الولايات المتحدة على بلدان العالم وحصر ما يلى: الصين (1945–1946)، كوريا (1950–1953)، الصين (1950–1953)، جواتيمالا (1954)، أندونسيا (1958)، كوبا (1959–1960)، جواتيمالا (1960)، الكونغو (1964)، بيرو (1965)، فيتنام (1961–1973) ومات فيها حوالى إثنين مليون نسمة، لاوس (1964–1973)، جواتيمالا (1967–1969)، كامبوديا (1969–1970)، السلفادور (1980)، نيكاراجوا (1980)، غرناطة (1980)، ليبيا (1983)، بنما (1989)، العراق (1991–2005) ومات فيها أكثر من إثنين مليون نسمة ، البوسنة (1995)، السودان (1998)، أفغانستان (1998)، يوغسلافيا (1999)، أفغانستان (2001)، العراق (2002–) ومات فيها للآن أكثر من مليون مواطن..

إضافة إلى حوالي عشرة مليون نسمة قد ماتوا طوال التاريخ الإستعمارى فى الكونغو، بسبب الأعمال الشاقة التى فرضها الإستعمار البلجيكى، وأعمال القتل الجماعى فى مطلع القرن العشرين الذي حصد عشرات الملايين..

وكلها حملات إعتدائية إستغلالية تتم عن غير وجه حق وتواكبها جحافل المبشرين.. وأكثر من ثمانية ملايين شخصا ماتوا فى العالم الثالث بأيدى عسكر الولايات

المتحدة مباشرة أو بأيدى أنظمة أقامتها وتدعمها، ولا تزال آلة الحرب دائرة مدفوعة بالأطماع من ناحية، ومن ناحية أخرى، عملا على تطبيق نظام العولمة والقرية الواحدة، تلك البدعة التى يريدونها أن تسود العالم بنظام سياسى–إقتصادى–فكرى– إجتماعى– دينى واحد حتى تسهل قيادته!!

أفغانستان، العراق، وما بعدهما..

لم يعد خفيا على من يتابع الأحداث ويربط بينها، أن هناك حرب إبادة ضروس لشعوب العالم الإسلامى، تواكبها عمليات التنصير المتداخلة فرق مبشريها مع جحافل الجيوش الغازية؛ وأن هناك اتفاق شديد الوضوح بين الفاتيكان والبيت الأبيض تحت راية "إقتلاع الإرهاب"، مثل الإتفاق الذي كان بين تلكما المؤسستين، أيام ريجان، تحت راية "الحرب الباردة" لإقتلاع اليسار.. والمخططان، إقتلاع اليسار الذي تم، وإقتلاع الإسلام الذي يدور حاليا، هما من ضمن قرارات مجمع الفاتيكان الثانى المنتهى سنة 1965.

وقد إعتمدت السياسة الأمريكية على الأكاذيب للترويج لفكرة ربطها الإسلام بالإرهاب، لتبرير هذه الحروب الإبادية، بحيث كثر الحديث الآن على هذا الكم المختلق من الأكاذيب.. ورغمها، يسود الصمت تواطؤاً..

ففى 24 فبراير 2008، نشرت وكالة آى بى إس مقالا بقلم ميرين غوتييرث، قال فيه أن جورج بوش وإدارته قد قاموا بإعلان ما لا يقل عن 935 كذبة وتصريحا وبيانا زائفا، فى 532 مناسبة، قبل وبعد غزو العراق سنة 2003! والبيانات واردة فى تقرير ضخم أعده الباحثون بمركز التكامل العام الأمريكى باشراف مؤسسة تشك لويس.. كما كان الكاتب راى جريفين قد أحصى 115 كذبة قالها جورج بوش وإدارته، حول أحداث 2001/9/11 التى اختلقوها، وضمنها فى كتابه المعنون: "**إستبعادات وتزوير لجنة التحقيق**" الصادرة ترجمته بالفرنسية سنة 2005.

وفى إجتماع مؤتمر "محور السلام" المنعقد فى نوفمبر 2005، أعلن وبستر تاربلى، الصحفى الأمريكى حول الإعتداءات الأمريكية قائلا: "لا يمكننا فهم السياسة الحالية للولايات المتحدة إذا قللنا من الهدف الحقيقى الكامن خلف أحداث 11 سبتمبر.. إن أحداث 2001/9/11 تمت بفعل الدولة، والحرب على الإرهاب مبنية على أسطورة مختلقة سرعان ما تحولت إلى عقيدة، عقيدة إجبارية بتلك الأحداث علينا الإيمان بها.

والوسيلة الوحيدة للصراع ضد المحافظين الجدد هى هدم هذه الأسطورة المختلقة وتكوين لجنة لتقصى الحقائق مثل لجنة راسل التى تم تكوينها بعد حرب فيتنام".

ولقد كذب بوش ليحتل العراق تحت زعم أنه يعلن الحرب لتحرير شعبها، وشعبها اليوم فى حالة أكثر بؤسا مما كان عليه بعد إثنى عشر سنة من الحظر الأمريكى والغربى اللا إنسانى؛ وكذب حين أعلن أنه ينوى إقامة الديمقراطية بها لإستقرار المنطقة، وقد تحول العراق إلى بؤرة عدم إستقرار بتحريك الغزاة للفتن بين الطوائف الإسلامية ولعربدة جنوده؛ وبرر الغزو بزعم الصلة بين صدام حسين والقاعدة، وقامت لجنة التحقيق فى أحداث 9/11 بتكذيب ذلك ؛ وزعم أن إقتلاع صدام حسين يمثل جزء من الصراع ضد الإرهاب، وقد حول بوش العراق إلى ميدان أعزل يمارس فيه جنوده كل أنواع الإرهاب لإقتلاع أية بادرة مقاومة؛ وبرر الغزو بحرب إستباقية لأن العراق يمتلك أسلحة دمار شامل، وبخلاف كذب هذا الإدعاء فقد سمح بوش باستخدام قنابل نووية وتكتيكية وعنقودية وكيماوية حتى دك أرض العراق بسكانها وتاريخها بلا رحمة !

وبدعة شن "الحروب الوقائية أو الإستباقية" التى إبتدعتها إدارة بوش، ليست سوى كذبة من مئات الأكاذيب التى تلفعوا بها لممارسة إرهاب فعلى يتم بمقتضاه إبادة الشعوب الإسلامية بوحشية لا سابقة لها فى التاريخ. ويكفي تأمل أفعال الغزو الأمريكى لأفغانستان والعراق وما بعدهما لندرك حقيقة الموقف.

ولن نتناول هنا الحرب على أفغانستان، بكل ما اصابها من دكٍ لبنياتها التحتية والأساسية بأسلحة الدمار المزودة باليورانيوم المخضب وغيره، ولكل ما سيسببه للأجيال المتتالية من تشوهات وأوبئة، وهوما يمثل جريمة وحشية ضد الإنسانية، ولكن سنشير فقط وباقتضاب شديد إلى "الديمقراطية" التى غرستها السياسة الأمريكية فى أفغانستان، وهي: تحويلها رسميا إلى أكبر مورد فى العالم للأفيون، إذ ما أصبح ما يزرع بها حاليا يمثل 92%على الأقل من الإنتاج العالمى الذي يستخدم فى صناعة الهيروين! بينما كان إنتاج الأفيون فى أفغانستان قد إنخفض، أيام حكم

طالبان، بنسبة 94%، أى أنه كاد أن يختفي تماما لولا "الديمقراطية" الأمريكية الغاشمة!

وبينما كان الأفيون يُصنع سابقا فى الخفاء وبوسائل بدائية، أصبح يتم تصنيعه الآن فى مصانع رسمية، شديدة التقدم، تحت إشراف منظمة حلف الأطلنطى وأفراد عصاباتها الدولية.. وإذا علمنا أن الرقم المالى المتداول فى هذه التجارة القذرة المدمرة هو قرابة ثلاثة بليون دولار (بالباء وليس بالميم) لأدركنا سر "الديمقراطية" الأمريكية المستثمرة فى افغانستان!!

أما على أرض العراق، فتدور حرب إقتلاعية تدميرية لا يمكن وصفها إلا بالغلّ الأسود، وذلك بسبب كل ما استخدمته القوات الغازية من أسلحة كاسحة. فقد أقر الأمريكيون أنهم استخدموا فى حربهم الأولى على العراق (حرب تحرير الكويت 1991/2/27.1/16)، ما يعادل سبعة أضعاف ما تم استخدامه كقوة تدميرية على هيروشيما وناجازاكى فى نهاية الحرب العالمية الثانية.

وقد أوضحت جريدة "الإندبندانت" البريطانية أن نتيجة هذا القذف المدمُر باليورانيوم هو نصف مليون طفل عراقى مصابون بالسرطان، إضافة إلى وفاة مليون طفل بسبب الأمراض الإشعاعية، إضافة إلى إرتفاع نسبة التشوهات فى المواليد، وإنعكاس ذلك على الأجيال القادمة.

والغريب، فى مستوى الوقاحة اللا إنسانية، أن تعلن وزارة الدفاع الأمريكية بأنها "سوف تستخدم قذائف اليورانيوم المنضب فى حربها ضد العراق للمرة الثانية"، أى فى الغزو الأمريكى- البريطانى الذي بدأ فى مارس 2003 ولا يزال حتى الآن.. وضرب العراق للمرة الثانية باليورانيوم المنضب يعنى إقتلاع وإبادة ثلاثين بالمائة من الشعب العراقى.. ورغمها، يتواصل الصمت.

وتكمن خطورة هذا اليورانيوم فى أنه يدمر البيئة والحياة لسنوات لا يعرف مداها إلا الله.. فالقذيفة التى تحتوي على ذلك اليورانيوم تشتعل لدرجة أن حرارتها الفائقة تصهر معدن الفولاذ وتستمر فى إختراقه حتى تحيله إلى رماد، رماد عبارة عن ذرّات إشعاعية تتطاير فى الجو لتصيب كل ما ومن تمر عليه!

وإن كانت الحرب الأولى على العراق قد دارت خارج المدن وفى مناطق شبه صحراوية، فإن الغزو الأمريكى – البريطانى الحالى تم ويتم داخل المدن الآهلة بالسكان . وهو ما يمثل كارثة مرعبة بالنسبة للشعب العراقى لأن التلوث الإشعاعى منتشر فى مدن وسط وجنوب العراق بنسبة عالية.

ولا أدل على العنف التدميرى لكافة الأسلحة المستخدمة ضد العراق إلا ذلك التكثيف الوحشى للقصف الجوى الذي إنهالت به الولايات المتحدة على بغداد، خاصة قصفها لثلاث فرق مدرعة عراقية للحرس الجمهورى بقنابل نووية تكتيكية، عند تحرك هذه الفرق لتحرير مطار صدّام. وهو ما أوضحته آنذاك قناة الجزيرة فى أبريل 2003، ووصل عدد ضحاياه إلى عشرات الآلاف، تبخرت جثثهم من الوجود!

وإجرام الولايات المتحدة فى إستخدام اسلحة نووية وأسلحة دمار شامل فى حربها لإحتلال العراق لم يعد خافيا، فما أكثر الأبحاث والمراجع التى راحت تتناول هذه المأسة الإجرامية بالتفصيل، نذكر منها على سبيل المثال ما تناوله مارك جافنى فى بحث مطول، صدر فى أغسطس 2007، حول خطورة اليورانيوم المخضب، لا على من يُلقى عليهم فحسب وإنما على من يستخدمونه أيضا، وما كتبه ستيفن مورجان فى فبراير 2008، حيث اوضح: "ان زعم إنتصار الأمريكان السهل وإحتلالهم العراق لم يتم إلا بسبب إستخدامهم الجبان لقنابل نووية واسلحة كيماوية لمواجهة مقاومة باسلة من العراقيين، وخاصة لنسف ضباط الحرس الجمهورى الذين تبخروا إحتراقا فى لحظة"!

وقد أوردت شهادة القبطان إريك مای، أحد العاملين السابقين فى المخابرات الأمريكية، الذي كشف عما أطلق عليه: "السر الكبير لسقوط مطار بغداد" واستخدام الغزاة لقنابل نووية موضحا أن كافة الأسلحة الهجومية الأمريكية الآن مزوّدة برؤوس نووية وكيماوية، كما أنهم قد استخدموا قنابل النابالم ضد المقاومة العراقية!

والغريب بعد كل هذا الدمار الإجرامى الذي فُرض قهرا على العراق، أن يحاول بوش وشركاه توريط العراق فى معاهدة تعد ترسيخا وقحا لذلك الإحتلال، ويسعى بوش جاهدا لإقرار هذه المعاهدة قبل نهاية شهر يوليو 2008، أى قبل نهاية مدة رئاسته، لكي يُلزم بها من هو آت بعده باستمرار إحتلال العراق . وذلك عكس ما وعد به

باراك أوباما، المتوقع فوزه بالرئاسة، فى حملاته الإنتخابية بسحب الجنود الأمريكيين من العراق.. فمن يطلع على بنود هذه المعاهدة لا بد وأن يجزم بأنه ما من عراقى أصيل سيقبل بالتوقيع عليها حتى وإن كان من أكثر الموالين للإحتلال!
كما ان هناك مؤشرات أخرى تدل على نية الغزاة فى البقاء، فمن بين الأكاذيب التى صاغتها الإدارة الأمريكية إعلان رحيلها عن العراق ما ان تستتب الأمور.. فكيف يمكن لعاقل أن يصدق هذا القول عندما يعلم أن هذه الإدارة الأمريكية تقوم بتشييد سفارة لها فى العراق، بالمنطقة الخضراء، على مساحة 104 فدانا، تضم 27 مبنى أساسيا بخلاف الأماكن الترفيهية! وإذا علمنا ان الفدان حوالي أربعة آلاف مترا مربعا تقريبا، فإن مساحة هذه السفارة تعنى 104×4000 =416000 مترا مربعا . وهي مساحة لا تكفي لسفارة وإنما لمدينة سكنية بأسرها! وهو ما يدل على أنهم يرتبون لإحتلال طويل المدى..

وبينما تتصارع تلك الأحداث بأكاذيبها لترسيخ الوجود الإستعمارى، تتسابق الأخبار عن قرب إندلاع الهجمة الإستعمارية القادمة على دولة إيران الإسلامية.. ورغم تعدد "الحجج" التى قد تبرر ضرب إيران من المنطق الأمريكى، ومنها البرنامج النووى، والبترول، أو بيعه بعملة غير الدولار- فى الوقت الذي تفرض فيه السياسة الأمريكية التعامل بالدولار، وكلها أسباب وجيهة فى نظر المعتدى الباحث عن "حجج" ليضفى شرعية على إجرامه.. إلا أن السبب الحقيقى وغير المعلن هو النظام الإقتصادى لإيران.
فإيران هى الدولة الإسلامية الوحيدة فى العالم التى تتبع النظام الإقتصادى الإسلامى وترفض مبدأ التعامل بالربا أو بالأرباح المركبة كما هى متبعة فى النظام الرأسمالى الغربى، وخاصة القائم عليها قروض البنك الدولة وصندوق النقد. وهو ما تتناوله الباحثة إيلّن براون فى واحد من أهم الكتب التى تناولت قضية الربا والمصارف الغربية. فالربح المركب بواقع 20 % يعد السلاح الذهبى الذي يسمح لإتحاد البنوك العالمى بالسيطرة على الموارد المالية للعالم. فمثلا الربح المركب لمائة دولار يجعلها تتضاعف فى أربعة أعوام. أما فى عشرين عاما، وهي المدة التى تقدم بها القروض

للدول النامية، فالمائة دولار تصبح 3834 دولارا! وهو ما يفسر كيفية نهب العالم الثالث..

وفى كتاب بعنوان "**المأساة والأمل**"، يتناول كارول كوينجلى هدف البنوك الدولية التى ترمى إلى خلق نظام إقتصادى عالمى فى أيدي القطاع الخاص، قادر على السيطرة على النظام السياسى لكل بلد وعلى الإقتصاد العالمى فى مجمله.. نظام تتم السيطرة عليه بصورة إقطاعية عن طريق البنوك المركزية التى تتعاون عن طريق إتفاقيات سرية فيما بينها.

وتعد إيران من البلدان النادرة التى افلتت من نظام الخصخصة العالمى، ونجحت كدولة فى النجاة من مصيدة إنخفاض سعر العملة رغم العقوبات الإقتصادية المفروضة عليها. ولقد تمكن بعض الخبراء المسلمون من عمل نظام مصرفى إسلامى كبديل للنظام الرأسمالى العالمى القائم على الربا. و"المشكلة" بالنسبة للإدارة الأمريكية هى أن إيران جمهورية إسلامية ديمقراطية، تقوم بتطبيق مبادىء الإسلام معنويا وقضائيا وسياسيا، وخاصة نظاما إسلاميا لا يلجأ للربا وإنما يعتمد على المشاركة فى الأرباح. كما ان السيادة المالية تعود على الحكومة بدلا من أن تعود على البنوك الخاصة. وبذلك فإن الحكومة الإيرانية تعد من الحكومات النادرة التى ليست لها ديون خارجية تقريبا!

وإذا ما تأملنا الوضع من وجهة نظر السياسة الأمريكية، التى جاهدت سنوات، وبترتيبات مهولة فى تضافرها، لإقتلاع اليسار- حتى لا تكون هناك أنظمة بديلة عن السياسة الإستعمارية الإمبريالية، فإن قيام إيران بتطبيق نظاما إقتصاديا إسلاميا ناجحا، يمكن أو من الواجب ومن الضرورى أن تتبعه كل الدول الإسلامية فى العالم، أى انه يمكنه الإطاحة بالنظام الإقتصادى الرأسمالى المتحكم فى إقتصاديات العالم، فهنا، وفى نظر إدارة البيت الأبيض، فإن إيران "تستوجب" العقوبة بأن تُفرض عليها "الديمقراطية" الأمريكية! ومثلما أطاحت السياسة الأمريكية بالنظام السياسى اليسارى، فمن المنطقى الا تتورع عن إقتلاع النظام الإقتصادى الإسلامى الإيرانى..

وفى 29 يونيو 2008 نشرت جريدة "**لوموند**" الفرنسية المسائية خبرا يقول أن قادة الكونجرس الأمريكى قد رضخوا، فى نهاية عام 2007، لطلب الرئيس جورج بوش بتمويل عملية تصعيد جذرية للعمليات السرية ضد إيران لقلقلة النظام . وذلك وفقا لتحقيق نشره الصحفى سيمور هيرش، صباح يوم الأحد 29 يونيو، على موقع إنترنت مجلة "**ذا نيو يوركر**" الأمريكية، وكشف فيه عن وثيقة سرية تدور حول "هدم الطموحات النووية لإيران وإضعاف الحكومة بتطوير النظام".. والمبلغ الذي أقره الكونجرس هو 400 مليون دولار.. كما أوضح هيرش أن القوات الأمريكية قد بدأت فعلا عملياتها التخريبية فى الأراضى الإيرانية عبر جنوب العراق"..

ويبقى السؤال مطروحا على كل أصحاب القرار المسلمين، الذين يهرولون ويساندون ويدعمون الكيان الإستعمارى الأمريكى، اليس من العدل والمنطق أن تتضافر جهود كل الدول الإسلامية لمساندة كيانها وصد هجمة شرسة، يسعى إليها الغرب المتعصب حثيثا لإنقاذ إفلاسه المتعدد الجبهات؟! هجمة ترمى إلى إقتلاع الإسلام والمسلمين، أم لا زلتم تحتاجون إلى مزيد من الأدلة والبراهين؟

الفصل الخامس

طاحونة التزوير

- طاحونة التحريف الكنسية
- وثيقة " هبة قسطنطين "
- إبادة النصوص وبدعة تأليه المسيح
- وثيقة "فى زماننا هذا"
- هيستريا تنصير العالم

طاحونة التحريف الكنسية!

"لا يوجد شيء يحتاج إلى الأكاذيب لتدعيمه إلا الكذب"!

بهذه العبارة الموجزة المريرة يبدأ رجل القانون جوزيف هويلس الفصل الثالث من كتابه: "**التحريف فى المسيحية**".. أى إنه إلى ذلك الحد يرى ويؤكد "أن أصول الديانة المسيحية يحيط بها الظلام نتيجة لقَصْر تيهٍ من الخلط والتناقضات والتحريف فى تاريخها ونصوصها الأولى خاصة، بحيث أنه من المحال الحصول منها على أى خيط من الحقائق التاريخية بأى درجة من درجات الثقة" (صفحة 90)..

ذلك أنه يرى أن إصحاحات العهد الجديد المنسوبة إلى ثمانية من الحواريين تم تجميعها من حوالي مائتين نص مزور يُطلق عليها أناجيل، وأعمال رسل، ورسائل.. فهى مكتوبة بأدى أسماء غير التى هى معروفة بها وبعد وقوع الأحداث بأكثر من قرن! وهي التى أُخذ منها ما يُعرف بالنصوص المعتمدة "الملهمة" التى تمثل التاريخ الأوّلى للمسيحية. فكل نص منها يتضمن من التحريف والتناقض ما يجعله يفند مصداقية النص الآخر.

والدليل الذي يقدمه على وجود الأناجيل المتضاربة آنذاك، قول بولس الرسول إلى أهل غلاطية: "إنى أتعجب أنكم تنتقلون هكذا سريعا عن الذي دعاكم بنعمة المسيح إلى إنجيل آخر (...)، ولكن إن بشرناكم نحن أو ملاك من السماء بغير ما بشرناكم فليكن أناتيما (أى ملعونا) كما سبقنا فقلنا أقول الآن أيضا إن كان أحدكم يبشر بغير ما قبلتم فليكن أناتيما" (1: 6–9). ويشير أيضا إلى رسالته إلى أهل رومية التى يقول فيها: "وأنا أعلم أنى إذا جئت إليكم سأجيء فى ملء بركة إنجيل يسوع" (15:29)..

ويخرج من هذه الايات بأنه كان يوجد إنجيل ليسوع . وذلك هو الوارد ذكره فى القرآن الكريم، والذي تم استبعاده لفرض ما تم نسجه وفقا للأهواء عبر المجامع فى القرون الأولى.. وأنه كانت توجد أناجيل أخرى متداولة أيام بولس، بدليل أنه يحذر الأتباع من الإنسياق لها. وهو ما تناولناه بالتفصيل فى كتاب "**المساومة الكبرى**" الذي أوردنا فيه الخطاب/المقدمة الذي كتبه القديس جيروم، إلى البابا داماز، الذي كان قد طلب

منه فى القرن الرابع أن يضم ويدمج ذلك العدد الكبير من الأناجيل المتضاربة ويخرج منها بتلك النصوص المعروفة حاليا باسم "العهد الجديد".. والخطاب يوجد أيضا بملاحق هذا الكتاب.

بل وفقا لما يقوله بولس فى رسالته إلى أهل رومية أنه كان لديه إنجيله الشخصى الذي يبشر به. ولا يوجد بين الأناجيل المعتمدة الحالية، فكيف يتم استبعاد إنجيل من يعد مؤسس المسيحية الحالية؟! إذ يقول بولس: "وللقادر أن يثبتكم حسب إنجيلى والكرازة بيسوع (...)" (16: 25) إلا أن كان هناك من يقوم بإلإنتقاء لغرض ما؟!

أما عن تحريف الوثائق ومنها الأناجيل والعقائد والقوانين، فنطالع فى الموسوعة الكاثوليكية: "أنه لا توجد أية إشارة فى العهد الجديد إلى أى قانون أو عقيدة قد سلمها يسوع أو الحواريون إلى الكنيسة، ولا أية شهادة على أن هذه النصوص موحاه من عند الله" (ج3 صفحة 274). وأن بدعة الإلهام هذه هى من العقائد التى فرضتها الكاثوليكية خاصة فى مجمع ترانت عام 1546.

ونطالع بهذا الصدد فى نفس الموسوعة الكاثوليكية: "أن الأناجيل الأصلية لا تتحدث عن الكثير من تفاصيل حياة ربنا يسوع، ولا عن العذراء المباركة والقديس يوسف.

وإن هذا الصمت من جانب الحواريين لم يرق للعديد من المسيحيين الفضوليين المتعطشين إلى التفاصيل

.. فقام المتحمسون بالإستجابة إلى هذه المطالب بصياغة العديد من الأساطير الرومانسية والتفاصيل الخرافية، وكانت نصوصهم تُقبل على أنها حقائق. وقام الكاثوليك والغنوصيون بملء هذه الفجوات، وتعرف كتاباتهم باسم "التزييف الورع" (ج1 صفحة 606)..

كما تُعرف تلك القرون الأولى فى الدراسات الحديثة باسم "عصر الآداب الأبوكريفا" أى تلك النصوص والآداب التى استبعدتها الكنيسة.. لذلك ليس بغريب أن يبدأ لوقا إنجيله قائلا فى الآيات الأولى: "إذا كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة فى الأمور المتيقنة عندنا كما سلمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معاينين وخداما للكلمة رأيت أنا أيضا إذ تتبعت كل شيء من الأول بتدقيق أن أكتب على التوالى (...)"! أى أن هذه النصوص ليست فى نظر من كتبوها إلا مجرد قصص!

ومن بين تلك النصوص/القصص المكتوبة ورعاً أو تزييفاً، رسائل باسم يسوع، ورسائل كتبتها العذراء مريم، والتقرير الذي كتبه بيلاطس إلى الإمبراطور حول محاكمة يسوع، ورد الإمبراطور تيبريوس ومحاكمة بيلاطس، والوثائق الرسمية للشيوخ الرومان حول يسوع، والأناجيل والرسائل والأعمال التى كتبها كل واحد من الرسل، والوثائق الرسمية لقوانين الكنيسة وإدارتها االتى كتبها الرسل باللغة اليونانية (!!)، وسجلات البابوات الأوائل والتسلسل الرسولى لهم، إضافة إلى العديد من الوثائق "الورعة" الأخرى..

ومن بين هذه الوثائق الورعة المزيفة، ما أسندته المؤسسة الكنسية إلى القديس أطانازيوس، وظلت تفرضها على أنها "عقائد" حقيقية حتى القرن السابع عشر، ثم ثبت زيفها! وهو ما يؤكده المؤرخ البريطانى جيبون، الذي يقول: "إن القديس أطنازيوس ليس مؤلف العقائد المنسوبة إليه، إذ أنها لم تكتب إلا بعد مروم مائة عام على وفاته. وتمت كتابتها باللاتينية فى إحدى المقاطعات الغربية. وقد إندهش جنّاديوس، باطريارك القسطنطينية من صياغتها حتى أنه أعلن قائلا إنها أعمال رجل سكران" (صفحة 598)..

أما خطابين يسوع إلى "الملك أجبار" فهى تمثل ملمحا يدين كل هذه الطاحونة الدائرة فى عمليات تزوير لا تكل ولا تهدأ! فإن كانت الأناجيل صادقة . على حد قول جوزيف هويلس "فما حاجة ذلك الرب إلى أكاذيب ورعة لكي يضفي عليها مصداقية؟ ولا أدل على ذلك الكذب إلا تلك الخطابات المكتوبة بخط يد يسوع"..

وتشير الموسوعة الكاثوليكية إلى أن هذه الخطابات قد قام أسقف القيصرية بتزويرها، رغم ما يقوله المؤرخ أوسيبيوس أنه شخصيا يؤمن بأن هذه المراسلات التى دارت بين يسوع وأجبار ملك أديسّة حقيقية! والمخجل هنا أن أوسيبيوس هذا هو الذى قد قام بتزويرها، إذ نطالع فى صفحة 610 من الموسوعة الكاثوليكية: "أنه قام شخصيا بترجمتها عن الوثائق السريانية الموجودة فى بلدة أديسّة"!

والمضحك الكاشف لهذه الأكاذيب أن اسم أجبار هذا لم يكن اسما لحاكم معيّن لبلدة أديسّة وإنما هو لقب يطلق هناك على أى حاكم، مثلما تطلق كلمة قيصر على أى إمبراطور رومانى، أو كلمة فرعون على أى ملك فى مصر القديمة!

ولا نود الدخول هنا فى تفاصيل تدين الحواريين أنفسهم، وتثبت تزييف تلك النصوص المنسوبة إليهم، وتكفى الإشارة إلى ما نطالعه فى أعمال الرسل ذاتها: "فلما رأوا مجاهرة بطرس ويوحنا ووجدوا أنهما إنسانان عديما العلم وعاميّان تعجبوا" (4: 13).. ويؤكد جوزيف هويلس "أنهم كانوا جميعا من نفس النمط ومتجانسون تماما، إذ كانوا عبارة عن فلاحين وصيادين وعمال جهلاء ومن العوام".

بل إن نفس أسرة يسوع كانت تنظر إليه على أنه مختل عقليا، وهو ما نطالعه بوضوح فى إنجيل مرقس: "ولما سمع أقرباؤه خرجوا ليمسكوه لأنهم قالوا إنه مختل. وأما الكتبة الذين نزلوا من أورشليم فقالوا إن معه بعلزبول" (3: 21 و22). أى أنه (والعياذ بالله) كان تحت سيطرة الشيطان! وهو نفس ما نطالعه أيضا فى إنجيل يوحنا: " فقال كثيرون منهم به شيطان وهو يهذي. لماذا تستمعون إليه" (10: 20).. لذلك من المحال تناول كم التحريف والتزوير الوارد بالنصوص الدينية والكنسية فى هذا الحيز، وتكفى الإشارة إلى أن الرقم الذي كان مطروحا لما تضمه من تحريف وتزوير هو 150000، ومع إكتشاف العديد من الوثائق وتزايد الدراسات التاريخية واللغوية قد تضاعف هذا العدد، ليقول أحدهم أن عدد التحريف والتزوير والتناقض الموجود بالعهد الجديد أكثر يقينا من عدد كلماته!! لذلك لن نتناول هنا إلا أهم ما عُرف فى التاريخ من أشهر أعمال التزوير الكنسى وأحطها، وهى: وثيقة "هبة قسطنطين"..

وثيقة "هبة قسطنطين"

تعنى عبارة "هبة قسطنطين" (**Constantin's Donation**)، منذ القرون الوسطى، الوثيقة المزورة باسم الإمبراطور قسطنطين الأكبر والتى يقال إنه بموجبها قد قدم مميزات وممتلكات لا يتصورها عقل للبابا وللكنيسة. ومخطوطة الوثيقة القديمة المعروفة منذ القرن التاسع موجودة بقسم المخطوطات اللاتينية بالمكتبة القومية فى باريس، تحت رقم 2777، وفقا لما هو وارد فى "**الموسوعة الكاثوليكية**"، وتحمل الوثيقة عنوان: "وثيقة هبة الإمبراطور قسطنطين"، وهي موجهة من الإمبراطور قسطنطين إلى البابا سيلفستر الأول (314 . 335)، وتتكون من جزئين.

والجزء الأول منها بعنوان: "**الإعتراف**"، ويشرح فيه الإمبراطور كيف تم تعليمه مبادىء المسيحية على يد البابا سيلفستر الأول، ويقر بإيمانه بالمسيحية، ويتحدث عن تعميده، وكيف أن البابا قد شفاه وعافعه من مرض الطاعون.

وقبل الإنتقال إلى الجزء الثانى والأهم من الوثيقة، تجدر الإشارة هنا إلى أن كافة المراجع النقدية التاريخية الحديثة تشير إلى أن الإمبراطور قسطنطين كان رافضا لفكرة تأليه السيد المسيح، وأنه لذلك كان من أتباع الأسقف أريوس الرافض لتأليه يسوع، وأنه لم يقبل التعميد .كما يقولون، إلا وهو على فراش الموت. أما تقبله للمسيحية والسماح للمسيحيين بممارسة عقيدتهم مثلهم مثل باقى الديانات الموجودة فى الإمبراطورية، فذلك من أجل توحيد الإمبراطورية وإدخال المسيحيين الخدمة العسكرية، إذ أنهم كانوا رافضين التجنيد بحكم ان المسيحية الأولى كانت تحرّم القتل!! وحين نسترجع كم الملايين التى تم قتلها بعد ذلك باسم المسيحية لا نملك إلا التعجب الإستعاذة بالله عز وجل..

وفى الجزء الثانى من الوثيقة المعنون "الهبة"، يقوم قسطنطين بالتنازل إلى البابا سيلفسترالأول، وكل من يخلفه، عن الملكيات التالية: بموجب أن البابا يعد خليفة القديس بطرس فإن له الأولوية على البطرياركات الشرقية التالية: إنطاقيا، والإسكندرية، والقسطنطينية، والقدس. وكذلك الأولوية على كافة أسقفيات العالم. وقام بالتنازل للبابا عن قصر لاتران، وهو أكبر وأجمل قصر شيد حتى ذلك الوقت. وتنص الوثيقة على أن بازليكا مدينة لاتران فى روما والتى بناها قسطنطين ستترأس كافة الكنائس وكذلك كنيستا القديس بطرس والقديس بولس. وهنا تجدر الإشارة إلى

أن كنيسة لاتران هذه رئيسها الفخرى هو رئيس فرنسا، مثلما كان الرئيس الفرنسى الأسبق جاك شيراك رئيسها الفخرى، وهو أول ما فعله البابا بنديكت السادس عشر حينما تولى نيكولا ساركوزى رئاسة فرنسا وذكره قائلا: "بانه أصبح يحمل لقب الرئيس الفخرى لكنيسة سان جان دى لاتران" . وهوما يكشف عن حقيقة الدور الذي يربط رئيس فرنسا بالكنيسة رغم التشدق بالعلمانية وفصل الدين عن الدولة..

وتواصل وثيقة قسطنطين المزعومة تزويد كنيستا بطرس وبولس بممتلكات ثرية. كما وهب البابا لقب رئيس أساقفة روما، الذي يمكّنه من إستقبال أعضاء مجلس الشيوخ، وأنه سيحصل على نفس التكريم والمميزات التى يحصل عليها أعضاء مجلس الشيوخ. ومثلها مثل الإمبراطور، فإن كنيسة روما سوف يكون لها الحاشية الخاصة بها، وطاقم الضيافة الخارجى والداخلى، والحرس الداخلى والخارجى. كما سوف ينعم البابا بنفس الحقوق الفخرية والتبجيلية كالإمبراطور، ومن بينها إرتداء التاج الإمبراطورى والرداء القرمزى وإجمالا كافة العلامات والشارات الخاصة بالتمييز الإمبراطورى. إلا ان البابا سيلفستر قد أبى أن يضع على رأسه آنذاك تاجا من الذهب فقام قسطنطين بتزويده بالتاج الأبيض المرتفع..

وتضيف الوثيقة أن الإمبراطور قد أضفى على البابا شرف التكريم الذي يحصل عليه الفارس وجواده. والأدهى من ذلك، تضيف الوثيقة أن الإمبراطور قسطنطين قد منح البابا وكل من يخلفونه من بعده إضافة إلى قصر لاتران مدينة روما وكل المقاطعات التى من حولها وكافة مدن إيطاليا وكافة المناطق الغربية للإمبراطورية! ونظرا لعدم معقولية هذه الهبة التى تجرد الإمبراطور من كل شىء طواعية، تورد الموسوعة الكاثوليكية الجزئية الخاصة بمنحه كافة مدن إيطاليا للبابوية، باللاتينية، وهذا نصها:

"Tam palatium nostrum, ut prelatum est, quamque Romae urbis, et omnes Italiae seu occidentalium regionum provincias loca et civitates".

وتواصل الوثيقة العجيبة قائلة إن الإمبراطور قد اقام لنفسه مدينة جديدة فى الشرق، تحمل اسمه، وأنه سوف ينتقل إليها هو وحكومته، بما انه لا يجوز أن يكون للإمبراطور أى سلطة فى المكان الذي أقام الله فيه مقرا لرئيس الديانة المسيحية! وكم

من جُرم يُقترف باسم الله بالوثائق الرسمية المزورة التى سرعان ما يتم الإعتماد عليها "كوثيقة رسمية" لتتواصل اللعبة.

وتنتهي الوثيقة بصب اللعنات على كل من يجروء على مخالفة هذه الهبات مع تأكيد أن الإمبراطور قد وقّع عليها بخط يده شخصيا ووضع الوثيقة بنفسه على قبر القديس بطرس..

ونطالع فى نفس الموسوعة الكاثوليكية: ومما لا شك فيه أن هذه الوثيقة مزورة، وتم افترائها فيما بين عامى 750 و795 م. وقد تم إثبات تزييفها منذ القرن الخامس عشر. فالكاردينال نيقولا دى كوزا يتحدث عنها فى أعماله على أنها "وثيقة أبوكريفا" أى مستبعدة وليست فى متناول الجمهور! وبعد عدة سنوات قام لورنزو فاللا (L.Valla)، فى عام 1440، بإثبات تزوير هذه الوثيقة بكل تأكيد. كما توصل رجينالد بيكو أسقف تشيسستر (1450 . 1457) إلى نفس النتائج فى بحثه حول: "التعتيم على أكثر ما يدين رجال الكنيسة"..

ورغمها، ظل استخدام الوثيقة سارى التداول فى الأقبية البابوية على أنها أصلية حتى قام المؤرخ الكاردينال بارونيوس، من مدينة سورا بمملكة نابولى آنذاك، بالإعتراف فى "الحوليات الكنسية" التى يؤرخ فيها للكنيسة، بأن وثيقة "الهبة " وثيقة مزورة.. وبارونيوس يُعد من الذين يتبوأون الصدارة بعد المؤرخ أوسبيوس وكلاهما من أباء الكنيسة!

ولا غرابة فى عملية الكشف الفاضحة هذه، فمنذ القرن الخامس عشر بدأت بوادر عملية النقد التاريخى للمؤسسة الكنسية وكل ما اقترفته من تزوير وتحريف فى مختلف الوثائق الرسمية منها والدينية.

وقد قام المزور الرسمى لهذه الوثيقة باستخدام العديد من السلطات التى قام كل من جرويرت وزيومر والعديد غيرهما بتفنيدها بالبحث العلمى واللغوى. فبداية الوثيقة ونهايتها مقلدة من وثائق حقيقية حتى تبدو الصياغة رسمية طبيعية. إلا أن المتن نفسه قد كشف عن عمليات التزوير باستخدام لغة وعبارات لم تكن موجودة أو سائدة فى القرن الرابع أيام قسطنطين! ومنها عبارات قد وردت فى قرارات "مجمع الأيقونات

"المنعقد فى القسطنطينية عام 754، أو عبارات من " **كتاب البابوات**" الذي يضم خطابات من بابوات القرن الثامن، والمعروف تاريخيا أن قسطنطين من القرن الرابع!

وفى نفس هذه الوثيقة المزورة أو المعروفة بأنها تمثل "أشهر وأكبر وأحط عملية تزوير فى الوثائق البابوية"، لم تخلو من إثارة الأسئلة والتناقضات حول كيفية صياغتها والفقرات التى أضيفت إليها وتحت رئاسة أى بابا من البابوات تمت هذه الإضافة الجديدة!

وأيا كانت هذه الخلافات الجزئية، فجميع من تناولوها بالدراسة أكدوا أنها تمت من أجل تدعيم السلطة المدنية للبابوات والكنيسة الكاثوليكية فى حربها الممتدة ونضالها الذي لا يكل من أجل السيطرة على السلطتين الدينية والمدنية، وخاصة لتوحيد إيطاليا سياسيا تحت قيادة بابا روما، وإضفاء سيادة سلطوية على روما أمام حكومات الفرنجة، وحماية الإمبراطورية الغربية الجديدة من أية هجمات من جانب البيزنطيين..

وكان البابا ليون التاسع أول من استخدم هذه الوثيقة المزورة بصورة علنية واضحة فى خطابه الموجه عام 1054 إلى ميخائيل سيرولاريوس، باطريارك القسطنطينية ليوضح له أن بابا روما يمتلك رسميا السلطة الدينية والمدنية على كل الإمبراطورية. كما استخدمها البابا أوربان الثانى، الذي أشعل أول حرب صليبية، وذلك فى عام 1091 لتدعيم مطالبه بسلطته المدنية على جزيرة كورسيكا..

وظل استخدام هذه الوثيقة المزورة ساريا أو معمولا بها حتى القرون الوسطى، واستعان بها معظم الكتّاب الكنسيين طوال القرن السادس عشر، رغم إدانتها والكشف عن زيفها. ومع كثرة الإنتقادات ونشر الأبحاث التى تدينها شكلا وموضوعا تم التخلى عنها كوثيقة، إلا أن المؤسسة الكنسية لم تتنازل عن مختلف المكاسب التى جنتها زورا، بما فى ذلك تلك الثياب الفاخرة والحرائر والحلى الذهبية المرصعة بالجواهر، التى هى أبعد ما تكون عن تعاليم السيد المسيح، ولم تقر بتزويرها إلا فى أواخر القرن التاسع عشر..

أما فى "**القاموس التاريخى للبابوية**"، فنطالع أن وثيقة "**هبة قسطنطين**" تعد "أشهر وثيقة مزيفة فى تاريخ البابوية"، موضحا أن تحريرها واستخدامها بدأ منذ القرن التاسع

فى روما! فقد ورد ذكرها لأول مرة عام 979 م فى وثيقة بابوية، وفى سنة 1053 فى مراسلات نيقولا الأول لتدعيم السلطة المدنية للبابوية. وتم دمجها فى القرارات الكنسية الرسمية الرومية.. ويالها من مهزلة! ومنذ عام 869 كان أسقف باريس يكتب قائلا: "أن هذه الوثيقة توجد منها نسخة فى كافة كنائس بلاد الغال" . طبعا للإسترشاد بها لتحقيق مزيد من المكاسب فى كل مكان من الإمبراطورية عن غير وجه حق..

وبعد استعراض التطور التاريخى لإدانة هذه الوثيقة، يوضح أوليفييه جيوجانين، كاتب هذه المداخلة فى القاموس التاريخى للبابوية، قائلا: "إن الكنيسة لم تعترف رسميا بتزييف هذه الوثيقة ولا باقى الوثائق المعروفة باسم "القرارات" المنسوبة إلى إيزيدور إلا فى أواخر القرن التاسع عشر" (صفحة 582)!

أما جوزيف هويلس فيقول: "ان كنيسة المسيح مؤسسة كذبا بأكاذيب فوق أكاذيب لتتمكن من مواصلة استتبابها وتدعيم سلطاتها المختلسة والتى جمعت بموجبها ثروات طائلة، وذلك بفضل سلسلة من التحريف والتزوير التى لا سابقة لها فى تاريخ الإنسانية. وتعد الوثيقة المعروفة باسم "**هبة قسطنطين**" من أقذر الوثائق وأدنسها فى السجلات الإنسانية، فى مجال التزوير والتحريف، من أجل أغراض دنيئة بغية الإستيلاء على ثروات وسلطات مدنية".

ومن ضمن هذه الوثائق المزورة التى يتناولها جوزيف هويلس، وثائق من أجل الحصول على مزيد من السلطات الدينية والمدنية، ووثائق مزورة متعلقة بالقديسين والشهداء والمعجزات، ووثائق متعلقة بالكيانات الرسولية والقوانين الرسولية، وكتاب البابوات، الذي يزعم تسلسل البابوات منذ القديس بولس حتى القرن الخامس عشر وثبت زيفه! فمعروف أن المسيحية كانت تحارب رسميا حتى القرن الرابع فى كل مكان، فكيف يكون لها من يحتل مثل هذه المكانة الرسمية العلنية؟ وكلها وثائق تتعدى كل ما يمكن تصوره من غش وخداع فيما يُطلق عليه "عصر الإيمان" الذي كان فى واقع الأمر هو عصر الظلمات الذي امتد ألف عام.. (**التزوير فى المسيحية**، صفحات 256.259).

أما المؤرخ البريطانى إدورد جيبّون فيقول عن هذه الدعامة السحرية للسلطة البابوية الدينية والمدنية: "ان اول من استخدم هذه الوثيقة وقدمها للعالم خطاب من البابا أدريان الأول الذي راح يحث الأمبراطور شارلمان على أن يحذو حذو سخاء الإمبراطور قسطنطين إحياءً لإسمه" (**"صعود وسقوط الإمبراطورية الرومانية"** صفحة 741) ليحصل على مزيد من العطايا!

بينما يضيف الكاتب الدكتور ماكّابى، الوارد ذكره فى كتاب هويلس: "إن البابا أدريان الأول قد أقنع شارلمان بتأسيس الممتلكات البابوية بتزييف وثيقتين من أشهر وأكثر الوثائق المزورة خجلا وحرجا فى التاريخ وهما "أعمال القديس سلفستر" و"هبة قسطنطين". وهما وثيقتان توضحان زورا وبهتانا أن الإمبراطور قسطنطين قد أعطى معظم إيطاليا تقريبا هبة للبابوية، وهي وثائق تم تزويرها فى القرن الثامن واستخدمها البابوات للحصول على هذه العطايا المهولة".

أما اللورد برايس فيقول فى كتابه عن "**الإمبراطورية الرومانية المقدسة**" حول هذه الوثيقة: "أنها من أكبر عمليات التزوير فى القرون الوسطى والتى تحت زعم أنها هبة من قسطنطين، قد تحكمت لمدة سبعة قرون فى معتقدات الجنس البشرى والتى تُعد أكبر دليل على فساد رجال الدين فيما بين القرن الثامن والعاش"...

وأكثر ما يشير إليه الذين تناولوا هذه الوثيقة بالبحث لإثبات زيفها، إضافة إلى كل ما عُرف عنها وتم إثباته، أن قسطنطين قد إعتنق المسيحية عام 312 قبل أن يعتلي المدعو سلفستر الأول كرسى البابوية، وإن قسطنطين لم يُصب أبدا بالطاعون، وبالتالى فإن بدعة صلوات البابا سلفستر التى شفته لا مكان ولا ضرورة لها، وأن قسطنطين لم يتم تعميده فى روما على أيدي البابا سيلفستر وإنما إعتنق المسيحية بعد وفاة الأخير بعامين، وفى مدينة نيكومديا وليس فى روما، قبيل وفاته مباشرة أى وهو على فراش الموت!

وقد إنتفت مصداقية هذه الوثيقة تماما ببنادق الوطنيين الإيطاليين عام 1870 حينما تم استعادة الأراضى التى استولى عليها الكرسى الرسولى وتم توحيد إيطاليا وتحديد مقر الفاتيكان فى مساحته الحالية.

وعلى الرغم من صغر حجم المساحة التى أصبح يحتلها الآن، وهي 44 هكتارا، فإنه يقيم علاقات دبلوماسية مع 176 دولة، إضافة إلى الإتحاد الأوروبى والنظام العسكرى السيادى لمالطة (فرسان المعبد) وعلاقات ذات طبيعة خاصة مع الإتحادات الروسية ومنظمة تحرير فلسطين، كما يساهم فى نشاطات العديد من المنظمات العادية والمنظمات الدولية وبين الحكومات، سواء بعضوية عاملة أو مجرد مراقب، وكلها أكثر من 33 منظمة! وهو ما يوضح مدى تغلغله فى المجتمع الدولى ومدى تشبثه بالسلطة المدنية القائمة على تل من الأكاذيب!

إبادة النصوص وبدعة تأليه يسوع..

يقول توني باشبى فى كتابه "**تحريف الكتاب المقدس**" أن دراسته لنسخة الكتاب المقدس المعروفة باسم "كودكس سيناى"، وهي أقدم نسخة معروفة للكتاب المقدس والتى تم اكتشافها فى سيناء، ويقال إنها ترجع للقرن الرابع، أثبتت له أن هناك 14800 إختلاف بينها وبين النسخة الحالية للكتاب المقدس. وهو ما يثبت كم التغيير والتبديل الذي يعاني منه هذا الكتاب.

ويؤكد الباحث أنه لا يمكن لأحد أن يعرف حقيقة ما كانت عليه نصوص ذلك الكتاب الأصلية من كثرة ما ألمّ بها من تغيير وتحريف. وتكفى الإشارة إلى أنه فى عام 1415 قامت كنيسة روما بحرق كل ما تضمنه كتابين من القرن الثانى من الكتب العبرية، يقال إنها كانت تضم الإسم الاحقيقى ليسوع المسيح. وقام البابا بنديكت الثالث عشر بإعدام بحث لاتينى بعنوان " مار يسوع"، ثم أمر بإعدام كل نسخ إصحاح إلكساى (Elxai)، وكان يتضمن تفاصيل عن حياة ربى يسوع (Rabbi Jesu).

وبعد ذلك قام البابا إسكندر السادس بإعدام كل نسخ التلمود بواسطة رئيس محكمة التفتيش الإسبانية توما توركمادا (1420.1498)، المسؤل عن إعدام 6000 مخطوطة فى مدينة سلمنكا وحدها. كما قام سلمون رومانو عام 1554 بحرق آلاف المخطوطات العبرية، وفى عام 1559 تمت مصادرة كافة المخطوطات العبرية فى مدينة براغ. وتضمنت عملية إعدام هذه الكتب العبرية مئات النسخ من العهد القديم . مما تسبب فى ضياع العديد من الأصول والوثائق التى تخالف أو تفضح أفعال المؤسسة الكنسية!

ويقول توني باشبى أن أقدم نسخة أنقذت للعهد القديم . قبل إكتشاف مخطوطات قمران، هى النسخة المعروفة باسم "البودليان" (Bodleian) التى ترجع إلى علم 1100 م. وفى محاولة لمحو أية معلومات عبرية عن يسوع من الوجود، أحرقت محاكم التفتيش 12000 نسخة من التلمود!

ويوضح المؤلف أنه فى عام 1607 عكف سبعة وأربعين شخصا، ويقول البعض 54، لمدة عامين وتسعة أشهر لترجمة الكتاب المقدس بالإنجليزية وتجهيزه للطباعة بأمر من الملك جيمس، بناء على مراعاة قواعد معينة فى الترجمة. وعند تقديمها عام 1609 للملك جيمس قدمها بدوره إلى سير فرانسيس بيكون، الذي راح يراجع صياغتها لمدة عام تقريبا قبل طباعتها.

ويقول توني باشبى أن العديد من الناس يتصورون أن طبعة الملك جيمس هى "أصل" الكتاب المقدس، وأن كل ما أتى بعدها يتضمن تعديلات إختلقها النقاد. إلا أن واقع الأمر هو: "أن النص اليونانى الذي استخدم فى الترجمة الإنجليزية، والذي يعتبره الكثيرون نصا أصليا، لم يُكتب إلا فى حوالي منتصف القرن الرابع الميلادى، وكانت نسخة منقولة ومنقحة عن نسخ متراكمة سابقة مكتوبة بالعبرية والآرامية. وقد تم حرق كل هذه النسخ، والنسخة الحالية للملك جيمس منقولة أصلا عن نَسخ من خمس نَسخات لغوية عن الأصل الأصلى الذي لا نعرف عنه أى شىء"!!

ففى بداية القرن الثالث تدخلت السياسة بصورة ملحوظة فى مصار المسيحية التى كانت تشق طريقها بين الفِرق المتناحرة. فوفقا للقس ألبيوس تيودوريه، حوالي عام 225 م، كانت هناك أكثر من مائتين نسخة مختلفة من الأناجيل تستخدم فى نفس الوقت بين تلك الفرق..

وعندما استولى قسطنطين على الشرق الإمبراطورى عام 324، أرسل مستشاره الدينى، القس أوسبيوس القرطبى، إلى الإسكندرية، ومعه عدة خطابات للأساقفة، يرجوهم التصالح فيما بينهم حول العقيدة. وهو ما يكشف عن الخلافات العقائدية التى كانت سائدة آنذاك. إلا أن مهمة أوسيوس قد باءت بالفشل. مما دفع بقسطنطين إلى دعوة جميع الأساقفة للحضور، وان يُحضروا معهم نسخهم من الأناجيل التى يتعاملون بها. وبذلك إنعقد أول مجمع كنسى عام سنة 325 م فى مدينة نيقية لحسم الخلافات السائدة حول تأليه أو عدم تأليه يسوع!

وفى 21 يونيو عام 325 م إجتمع 2048 كنسيا فى مدينة نيقية لتحديد معالم المسيحية الرسمية، وما هى النصوص التى يجب الإحتفاظ بها، ومن هو الإله الذي يتعيّن عليهم إتباعه. ويقول توني باشبى: "أن أولى محاولات إختيار الإله ترجع إلى

حوالي عام 210 م، حينما كان يتعيّن على الإمبراطور الإختيار ما بين يهوذا المسيح أو شقيقه التوأم ربى يسوع، أى الكاهن يسوع أو الشخص الآخر، مؤكدا أنه حتى عام 325 لم يكن للمسيحية إله رسمى"!!

ويوضح توني باشبى أنه بعد مداولات عدة ومريرة استقر الرأى بالإجماع، إذ أيده 161 وإعترض عليه 157، أن يصبح الإثنان إلها واحدا. وبذلك قام الإمبراطور بدمج معطيات التوأم يهوذا وربى يسوع ليصبحا إلها واحدا. وبذلك أقيم الإحتفال بتأليههما. ثم بدأت عملية الدمج بينهما ليصلوا إلى تركيبة "ربنا يسوع المسيح". وطلب قسطنطين من الأسقف أوسبيوس أن يجمع ما يتوافق من مختلف الأناجيل ليجعل منها كتابا واحدا، ويعمل منه خمسون نسخة"..

ولمن يتساءل عن مرجيات توني باشبى لهذا البحث نقول إنه وارد بالفهرس كشفا يتضمن 869 مرجعا.

ويعد الباحث والأديب البريطانى جيرالد ماسىّ (1907.1828) من أهم من إستطاعوا توضيح خلفية ذلك الخلط الشديد فى الأصول، وشرح كيف أن القائمين على المسيحية الأولى جمعوا عقائد دينية من أهم البلدان التى تواجدوا بها، لتسهيل عملية دمج شعوبها تحت لواء ما ينسجون..

ويتناول جيرالد ماسىّ فى كتابه عن "يسوع التاريخى والمسيح الأسطورى" كيف: "أن الأصل المسيحى فى العهد الجديد عبارة عن تحريف قائم على أسطورة خرافية فى العهد القديم". وأن هذا الأصل المسيحى منقول بكامله من العقائد المصرية القديمة وتم تركيبه على شخص يسوع. ونفس هذا الشخص عبارة عن توليفة من عدة شخصيات، والمساحة الأكبر مأخوذة عن شخصين. وهو ما أثبته العديد من العلماء منذ عصر التنوير، وقد تزايد هذا الخط فى القرن العشرين بصورة شبه جماعية، بحيث أنه بات من المسلّم به بين كافة العلماء.

وإن كانت الوثائق التى تشير أو تضم معطيات يسوع التاريخى متعددة المشرب وتؤدى إلى أكثر من خط، فإن المعطيات التى تتعلق بالمسيح مأخوذة بكلها تقريبا من الديانة المصرية القديمة، وكلها منقوشة على جدران المعابد الفرعونية وخاصة

معبد الأقصر الذي شيده أمنحتب الثالث، من الأسرة السابعة عشر. ويول ماسىّ: "أن هذه المناظر التى كانت تعد أسطورية فى مصر القديمة، قد تم نقلها على أنها تاريخية فى الأناجيل المعتمدة، حيث تحتل مكانة كحجر الأساس للبنية التاريخية، وتثبت أن الأسس التى أقيمت عليها المسيحية هى أسس أسطورية".

ويشير جيرالد ماسىّ أن المسيحية مبنية على الديانات والعقائد التى كانت قائمة فى مصر وفلسطين وبين النهرين والتى إنتقل الكثير منها إلى اليونان، ومنها إلى إيطاليا. أى " أنها أسطورة إلهية لإله تم تجميعه من عدة آلهة وثنية، هى الآلهة الأساسية التى كانت سائدة آنذاك فى تلك المناطق قبل يسوع بآلاف السنين.. وأن التاريخ فى الأناجيل من البداية حتى النهاية هو قصة الإله الشمس، وقصة المسيح الغنوصى الذي لا يمكن أن يكون بشرا. فالمسيح الأسطورى هو حورس فى أسطورة أوزيريس، وحورأختى فى أسطورة ست، وخونسو فى أسطورة آمون رع، وإيو فى عبادة أتوم رع. والمسيح فى الأناجيل المعتمدة هو خليط من هذه الآلهة المختلفة".

وقد أشار ديودورس الصقلى أن كل اسطورة العالم السفلى قد تم صياغتها دراميا فى اليونان بعد أن تم نقلها من الطقوس الجنائزية المصرية القديمة. أى أنها إنتقلت من مصر إلى اليونان ومنها إلى روما.

ويؤكد جيرالد ماسىّ: "أن الأناجيل المعتمدة عبارة عن رجيع (أو طبخ بائت مسخّن) للنصوص المصرية القديمة".. ثم يوجز أهم الملامح بين الأساطير المصرية القديمة والأناجيل المعتمدة بإسهاب يصعب تفنيده. ومما أوجده من روابط، بين المسيحية والعقائد المصرية القديمة: "أن يسوع حَمَل الله، ويسوع السمكة (إيختيس) كان مصريا، وكذلك يسوع المنتظر أو الذى سوف يعود، ويسوع المولود من أم عذراء، التى ظللها الروح القدس، ويسوع المولود فى مِزْود، ويسوع الذى قام بتحيته ثلاثة ملوك مجوس، ويسوع الذى تبدل على الجبل، ويسوع الذى كان رمزه فى المقابر القديمة فى روما نجمة مثمنة الأضلاع، ويسوع الطفل الدائم، ويسوع الآب، المولود كإبن نفسه، ويسوع الطفل ذو الإثنى عشر عاما، ويسوع الممسوح ذو الثلاثين عاما، وتعميد يسوع، ويسوع الذى يسير على الماء أو يصنع المعجزات، ويسوع طارد الشياطين، ويسوع الذى كان مع الإثنان مرافقى الريق، والأربعة صيادين، والسبع

صيادين، والإثنى عشر رسولا، والسبعون أو إثنان وسبعون فى بعض النصوص، الذين كانت أسماءهم مكتوبة فى السماء، ويسوع بعَرَقه الدامى، ويسوع الذى خانه يهوذا، ويسوع قاهر القبر، ويسوع البعث والحياة، ويسوع أمام هيرود، وفى الجحيم، وظهوره للنسوة، وللصيادين الاربع، ويسوع المصلوب يوم 14 نيسان وفقا للإناجيل المتواترة، ويوم 15 نيسان وفقا لإنجيل يوحنا، ويسوع الذى صُلب أيضا فى مصر (كما هو مكتوب فى النصوص)، ويسوع حاكم الموتى، وممسكا بالحمل فى يده اليمنى وبالعنزة فى اليسرى.. كل ذلك وارد بالنصوص المصرية القديمة من الألف للياء فى جميع هذه المراحل"!

ثم يوضح قائل: "لذلك قام المسيحيون الأوائل بطمس معالم الرسوم والنقوش وتغطيتها بالملاط أو الرسم عليها لتغطية هذه المعانى ومنع القيام بهذه المقارنات وتكميم أفواه الحجارة، التى احتفظت بالكتابات المصرية القديمة بكل نضارتها عندما سقط عنها ذلك الطلاء (...) لقد تم تكميم المعابد والآثار القديمة وإعادة طلائها بالتواطوء مع السلطة الرومانية، وتم إعادة إفتتاحها بعد تنصيرها. لقد أخرصوا الأحجار ودفنوا الحقائق لمدة قرون إلى أن بدأت الحقائق تخرق ظلمات التحريف والتزوير، وكأنها تُبعد كابوسا ظل قرابة ثمانية عشر قرنا، لتنهى الأكاذيب وتسدل الستار عليها أخيرا.. تسدله على أكثر المآسى بؤسا من التى عرفها مسرح الإنسانية"..

ومما يستند إليه جيرالد ماسىّ أيضا، على أن المسيحية الحالية تم نسجها عبر العصور، أن سراديب الأموات فى روما والتى كان المسيحيون يختبؤن فيها لممارسة طقوسهم هربا من الإضطهاد، ظلت لمدة سبعة قرون لا تمثل يسوع مصلوبا! وقد ظلت الرمزية والإستعارات المرسومة والأشكال والأنماط التى أتى بها الغنوصيون، ظلت بوضعها كما كانت عليه بالنسبة للرومان واليونان والفرس والمصريين القدماء. و"إن فرية وجود المسيح المنقذ منذ البداية هى فرية تاريخية. ولا يمكن القول بأن الأناجيل تقدم معلومة أو يمكن الخروج منها بيسوع كشخصية تاريخية حقيقية. أنه تحريف قائم على أسطورة"..

وكل ما يخرج به ماسىّ بعد ذلك العرض الموثق المحبط فى مقارنة المسيحية الحالية بالأساطير المصرية القديمة وغيرها: "أن اللاهوت المسيحى قام بفرض الإيمان بدلا

من المعرفة، وأن العقلية الأوروبية بدأت لتوها بداية الخروج من الشلل العقلى الذي فُرض عليها بتلك العقيدة التى وصلت إلى ذروتها فى عصر الظلمات.. وأن الكنيسة المسيحية قد كافحت بتعصب رهيب من أجل تثبيت نظرياتها الزائفة وقادت صراعات بلا هوادة ضد الطبيعة وضد التطور، وضد أسمى المبادىء الطبيعية لمدة ثمانية عشر قرنا.. لقد أسالت بحورا من الدماء لكي تحافظ على طفو مركب بطرس، وغطت الأرض بمقابر شهداء الفكر الحر وملأت السماء بالرعب من ذلك الإرهاب الذي فرضته باسم الله"!

وثيقة "فى زماننا هذا"

أوضحنا فى مقدمة هذا الكتاب أهمية المجمع الفاتيكانى المسكونى الثانى، المعروف إختصارا باسم "مجمع الفاتيكان الثانى". وهو مجمع عالمى، تسري قراراته على كافة المسيحيين من ملوك وأتباع، ويمثل نقطة فارقة فى تاريخ المجامع قاطبة. وذلك نظرا لكل ما تمخض عنه من قرارات لا سابقة لها فى التاريخ، سواء من حيث تبرأة اليهود من دم المسيح، أو من حيث القرارات التى تؤدى إلى إقتلاع "الآخر"، بمعنى: تنصير العالم واتخاذ كافة الإجراءات اللازمة لتنفيذ لذلك!

وما يدفعنا إلى تناول هذه الوثيقة هنا هو توضيح أن تلك المؤسسة الكنسية، القائمة على الأكاذيب والتزوير طوال مسيرتها، لا تزال تواصل هذا التحريف والتزوير، خاصة فى تلك الوثيقة المعروفة باسم "الحوار مع الديانات الأخرى" والصادرة ضمن وثائق وقرارات مجمع الفاتيكان الثانى. إذ قامت فيها بالتزوير من أجل تبرئة اليهود، وهو ما لا يسع المجال هنا لتناوله بالتفصيل، وقامت فيها بالتزوير والتحريف لاستبعاد المسلمين عن رسالة التوحيد والعمل على إقتلاع..

فعقب المحاضرة الشهيرة التى القاها البابا بنديكت السادس عشر فى راتسبون، والتى سب فيها الإسلام بوضوح وتعمّد، تم رفع وثيقة المجمع الفاتيكانى الثانى (1965) المعروفة باسم "**فى زماننا هذا**" وإشهارها كالراية فى مختلف الصحف، حتى فى الفاتيكان نفسه، لتهدأة النفوس فى محاولة لإثبات "الإحترام" الذي يكنه الفاتيكان للمسلمين!

وفى واقع الأمر، قليل من الناس هم الذين يعرفون نص هذه الوثيقة، خاصة الجزء المتعلق بالإسلام. لذلك رأينا أنه من المفيد وضع هذا النص تحت الضوء، لنراه عن قرب ونوضح للجميع الموقف المزدوج للمسؤلين عن الكنيسة الكاثوليكية الرسولية الرومية..

ويمتد نص الوثيقة فى حد ذاته على أربع صفحات، والبند الثالث المتعلق بالمسلمين، يتضمن فقرتين من سبعة عشر سطرا، نصها كما يلي:

الديانة الإسلامية:

3 – إن الكنيسة تنظر أيضا بعين الإعتبار إلى المسلمين الذين يعبدون الإله الواحد، الحىّ القيوم، الرحمن القدير، خالق السماء والأرض، الذي تحدث إلى البشر. إنهم يحاولون الخضوع بكل قواهم لقرارات الله، حتى وإن كانت مخفية، مثلما خضع إبراهيم لله والذي يتخذه الإيمان الإسلامى طواعية مثلا له. وعلى الرغم من أنهم لا يعترفون بيسوع كإله، فهم يبجلونه كنبى؛ ويوقرون أمه العذراء، مريم، وأحيانا يتوسلون إليها بتضرع. كما أنهم ينتظرون يوم الحساب، الذي سيجازى فيه الله البشر بعد بعثهم، وهم يقدرون الأخلاق، ويقدمون عبادة ما لله خاصةً بالصلاة، والزكاة والصوم.

وإذا ما كانت عبر القرون قد اندلع العديد من الخلافات والعداوات بين المسيحيين والمسلمين، فإن المجمع يهيب بهم جميعا نسيان الماضى وأن يجتهدوا بإخلاص فى محاولة للفهم المتبادل، وأن يقوموا معا بحماية ونشر العدل الإجتماعى، والقيم الأخلاقية، والسلام والحرية، من أجل كافة البشر (صفحة 29).

وما من إنسان يجهل أن مجمع الفاتيكان الثانى يمثل أهم الأحداث قاطبة بالنسبة للكنيسة فى القرن العشرين. فعلى العكس من كافة المجامع السابقة، التى كان يتم عقدها لتدارس المشكلات الحقيقية التى تثمل أخطارا على نفس الكيان الكنسى، بما أنها بكلها تمثل تهديدات لاهوتية ناجمة من داخل الكنيسة أو من خارجها، فإن المجمع الفاتيكانى الثانى يعد أول مجمع هجومى فى تاريخ الكنيسة، إذ أنه قرر علنا تنصير العالم بقرار لا رجعة فيه. ومن بين الخمسة عشر وثيقة التى أصدرها المجمع بين 1964 و1965، فإن وثيقة "**فى زماننا هذا**" التى تعنينا هنا قد تم التوقيع عليها فى 28 /1965/10. والنص النهائى للوثيقة وكل محاضر الجلسات والتعليق عليها موجودة فى الكتاب الصادر عن دار نشر دى سير، سنة 1966، تحت عنوان: **مجمع الفاتيكان الثانى وعلاقات الكنيسة مع الديانات غير المسيحية**، وهو يمثل جزءا من المجموعة الكنسية برقم 61. والكتاب يتكون من 335 صفحة، ومقسّم إلى ثلاثة أجزاء بخلاف الملحقات. والجزء المتعلق بالإسلام يحتل الصفحات من 200 إلى 236. وقد قام بصياغته القس روبير كاسبار، أستاذ "علم اللهوت الإسلامى"

بالمعهد البابوى للدراسات العربية فى روما، ومستشار السكرتارية الخاصة بغير المسيحيين. وأثناء انعقاد المؤتمر كان عضوا فى اللجنة الفرعية الخاصة بالإسلام.

وعند قراءة الست وثلاثين صفحة المتعلقة بصياغة النص، لا يمكن للقارىء ألا يشعر بالإشمئزاز والقرف بالنسبة لذلك الموقف المتعنت وغير الأمين لهؤلاء الأباء الأجلاء، الذين تفننوا فى استبعاد الإسلام كرسالة توحيدية، أتت لتصويب ما تم فى الرسالتين السابقتين من تحريف وإنحراف. ويبدأ الأب كاسبار بتوضيح الجو العام الذي دارت فيه هذه الجلسات، قائلا: "لا بد لى من الإعتراف أولا بأن الديانات غير المسيحية تحتل مكانة ضئيلة فى اهتمامات هؤلاء الأساقفة والمؤسسات المعنية (...)، وأساقفة البلدان التى بها الإرساليات يتحدثون كثيرا عن المشكلات التى تصادفهم فى التبشير، وقليلا ما يذكرون الديانات غير المسيحية كديانات، ولا شىء تقريبا يقال عن الإسلام. والمرء يدهش من ملاحظة الصمت المطبق للكنائس الشرقية حول هذا الموضوع الذي يواجهونه يوميا" (صفحات 201 و202). ومن المؤسف رؤية أن التعنت الوحيد لهؤلاء الأباء الأجلاء هو الإهتمام بتدارس كيفية تنصير العالم، رغم تلك اللافتة المعلنة عاليا والمنادية بحرية العقيدة أو بحب الله وحب القريب!!

من ناحية أخرى، لا نرى ضرورة لفتح هامش نوضح فيه الموقف المثير للإشمئزاز لهؤلاء الأباء الأجلاء، وخاصة موقف الذين يمثلون الكنائس الشرقية، أى الأقليات المسيحية التى تعيش بين المسلمين، وعدم أمانتهم تجاه البلدان التى يعيشون فيها، فالنص شديد الوضوح...

ويبدأ الأب كاسبار بتلخيص مختلف وجهات النظر التى لاحت منذ أولى الحوارات، والتى يلخصها فى نقطتين، لا بد من أخذهما فى الإعتبار: " أن الإسلام عبارة عن شرّ مطلق لا بد من دحضه، وخطر بالنسبة للكنيسة لا بد من محاربته. والثانية، ترى فى الإسلام بصيص من النور لبعض الحقائق والتشابهات مع المسيحية والتى يجب تنميتها "(صفة 202)، (الخطوط من وضعنا فى النص كله). وأن البطريارك مكسيموس هو الذي أسدى ملاحظة "أنه لا يمكن التحدث عن اليهود دون التحدث عن الديانات الأخرى وخاصة الإسلام" (صفحة 203). وهنا تجدر الإشارة إلى أن

واحدا من أهم الأسباب التى دعت إلى إجتماع هذا المجمع هو التنازلات غير المسبوقة التى تمت لليهود أو التى تم فرضها على الكنيسة، رغم مخالفتها الشديدة للنصوص، وتدارس كيفية جعل الأتباع يبتلعونها! وإختصارا، فإن المحاولات الأولى المتعلقة بالإسلام تم اتخاذها فى دورة 1964، لإدخال فقرة حول المسلمين فى نص البيان.

وكان النص المبدئى يتضمن العبارة التالية: "وليسوا غرباء أيضا عن التنزيل الذي تم على الأباء، أبناء إسماعيل، الذين يعترفون بإبراهيم كأب لهم، ويؤمنون بإله إبراهيم". وكانت هناك ملحوظة توضح أن "أبناء إسماعيل" هم المسلمون... إلا أن التصويت على النص الذي كان يتضمن عبارة "أبناء إسماعيل" قد قوبل باعتراض شديد. ويوضح الأب كاسبار ذلك قائلا: "ما الذي حدث؟ من بحث تعليقات التصويت تبيّن أن النص المقترح، رغم إعتداله "ليسوا غرباء عن التنزيل الذي تم على الأباء" يمكنه أن يستبق الحكم فى حل مسائل صعبة ومصار جدل شديد، من قبيل "إنتساب العرب التاريخى لإسماعيل، وخاصة ربط الإسلام بالتنزيل الإنجيلى" (صفحة 205). وهو ما يؤكد عدم الأمانة المتعمّد.

وبعد مداولات ممتدة، وإقتراعات وإستبعادات، يوضح الأب كاسبار أن النص الأصلى المكوّن من بضعة أسطر، والخاص بالمسلمين، قد تمت زيادته بشكل ملحوظ: "فهو يستخلص الخطوط الرئيسية لعبادة المسلمين ويدعو إلى نسيان خلافات الماضى، وإلى الحوار والتعاون بين المسيحيين والمسلمين لصالح الإنسانية العام" (صفحة 206). وقد تم التصويت عليه بعدد 1910 موافقون و189 معترضون.

وفى الجزء الثانى من نصه التفسيرى، يتحدث الأب كاسبار عن المكانة التى يحتلها الإسلام فى تاريخ الخلاص، موضحا كيف يقوم البيان بوضع الإسلام بين الديانات الكبرى الأسيوية التى تولدت بعيدا عن المسيحية (...). والبيان لا يقول شيئا حول الوضع الدينى للإسلام بالنسبة للتنزيل اليهودى–المسيحى (...) وقد أوضحنا أن المجمع كان قد استبعد الصياغة الأولى للبيان والتى كانت تشير بشكل طفيف إلى صلة بين "التنزيل الذي تم على الأباء" والإسلام (صفحة 213). وبتفاديه إتخاذ إى موقف حول هذه المسألة، فإن النص يضع الإسلام فى "الصف الأول للديانات

التوحيدية غير اليهودية–المسيحية". ويواصل الأب الكريم مضيفا: "من المهم أن نرى جيدا ما الذي يود المجمع أن يقوله، وما الذي لا يريد قوله والأسباب التى دعته إلى ذلك! (نفس الصفحة السابقة).

وفى الجزء الثانى من النص الذي كتبه الأب كاسبار، يتحدث فيه عن التوحيد الإسلامى ويقوم بنوع من شرح النص الرسمى، وكيفية إختيار الكلمات للنص النهائى للوثيقة. ومن المحبط والمثير للإستفزاز أن نرى كيف تم اختيار كل كلمة بريبة وبحرص شديدين، وكيف تم اختيار أسماء الله – فى تلك الوثيقة، بلؤم ومكر، إذ يقول الأب كاسبار: "وهكذا قام المجمع بوصف إله الإسلام باختيار الملامح الأساسية للإيمان الإسلامى والشبيهة لما هو وارد فى المسيحية. فأسماء أخرى كان يمكن أن تؤكد الخلافات بدلا من التشابهات" (صفحة 219).

وفى مواصلة شرحه هذا، يلفت الأب كاسبار النظر إلى أن الوثيقة: " تضع إبراهيم لا كجد فى سلسلة نسب العرب المسلمين، وإنما تضعه كنموذج للإيمان الإسلامى لخضوعه لإرادة الله " (صفحة 221).

وإذا ما قام القارىء باسترجاع نص تلك الوثيقة فيما يتعلق بالمسلمين، ويمكنه الرجوع إلى بداية هذا الجزء، سيلحظ النقاط التالية:

* أن كلمة " إسلام " غير واردة بهذا النص بتاتا.

* أن الكنيسة تنظر أيضا بعين الإعتبار إلى المسلمين، فلا تشير إليهم على أنهم أتباع الرسالة التوحيدية الثالثة، وإنما تنظر إليهم فحسب "بعين الإعتبار"!

* أن الإله الذي يعبده المسلمون "قد تحدث إلى البشر"، أى أنه لم يتحدث تحديدا إلى سيدنا محمد!

* الإصرار المتعمّد لاستبعاد النسب التاريخى للعرب المسلمين إلى سيدنا إسماعيل.

وهنا لا يمكننا إلا أن نتساءل: هل إختفى نص العهد القديم من الوجود، لذلك لم يتمكن هؤلاء الأباء المساكين المجتمعين لصياغة ذلك البيان، ولا يعرفون تاريخ المسيحية بالنسبة لقرابتها وعلاقتها فى سلسلة النسب مع الإسلام والمسلمين؟! ومع ذلك فالتاريخ المعاش ثابت بكل وضوح فى الوثائق والنصوص!

* أن الإيمان الإسلامى يتخذ سيدنا إبراهيم كنموذج، يتخذه مثلا طواعية ولا ينتسب إليه! ومن العار أن نرى مواصلة ذلك التعنت بلا خجل!

* السعى الحثيث لإستبعاد الإسلام من النص الإنجيلى رغم كل الإشارات التى لا تزال فى الكتاب المقدس بعهديه، حتى بعد كل ما أصابه من تعديلات وتغييرات متعددة، لكيلا نقول تحريفات، وهو ما أثبته بجدارة رجل القانون الأمريكى جوزيف هويلس، فى كتابه المعنون: **التحريف فى المسيحية.**

* عملية التزوير فى التاريخ ووضع الإسلام بين الديانات الكبرى الأسيوية التى تولدت بعيدا عن المسيحية! إن المغالطة من الوضوح بحيث ان أى شخص ملم بجزء ولو ضئيل من المعلومات التاريخية سيدرك التحريف.. وإذا كان هؤلاء الأباء البؤساء لا يعرفون الفرق جغرافيا بين آسيا وبلاد العرب وفلسطين، فما الذي يمكننا أن نتوقعه من أمثالهم؟!

أنه لمن الجارح والمخيّب للآمال أن نرى كل ذلك التصلّب لهؤلاء الآباء الأجلاء، وإصرارهم على التزوير وتغيير الحقائق التاريخية، وخاصة الإعتماد على هذا التزوير لإصدار أحكام، ووضع توجهات للتصرف أو فرض قرارات بعينها! ومن المفزع أن نراهم يجمعون على قول "إن المسلمين يقدرون الحياة الأخلاقية"! ولو كان هؤلاء الأجلاء قد سألوا عن المضمون الحقيقى للقرآن فيما يتعلق بالأخلاق، لأتاهم كرد مفعم رسالة الدكتوراه المكوّنة من 770 صفحة والتى تمت مناقشتها فى السوربون سنة 1952، التى تقدم بها الدكتور محمد عبد الله دراز، تحت عنوان "**الأخلاق فى القرآن** ". وذلك ليروا إلى أى مدى الأخلاق لا تمثل فحسب جزءا لا يتجزأ من القرآن، وانما هى واحدة من أهم دعائمه التى تنظم حياة المسلم فى كافة المجالات، حتى فى المجال الحربي: حيث لا يحق للمسلم أن يبدأ بالإعتداء ولكن بالرد فقط وبقدر الإعتداء نفسه. والنصوص موجودة لكل من يود معرفة الحقائق بلا إلتواءات. فمن السخرية أن نطالع "أن المسلمين يقدرون الأخلاق" !

أما فيما يتعلق "بالخلافات والعداوات" التى اندلعت بين المسيحيين والمسلمين، فمن الثابت فى وثائق ونصوص المؤرخين المسيحيين أن الإسلام قد تمت محاربته منذ بداية إنتشاره على أنه "هرطقة" من الهرطقات المسيحية التى كانت ترفض تأليه

يسوع. ومنذ أولى الأيام قام الكتّاب المسيحيون بوصف الإسلام بأقذع وأحط الأوصاف. ففى النصف الأول من القرن الثامن قام يوحنا الدمشقى بتشبيه الإسلام بحركة هرطقية شديدة القرب من الأريوسية – والأسقف أريوس كان من الذين يرفضون تأليه يسوع وشلحته الكنيسة.

وفى منتصف القرن التالى نطالع فى **حوليات تيوفان** قوله: "أنه فى عام 622 توفى نبى مزيف من سلالة إسماعيل" (وارد فى كتاب فيليب سيناك: **صورة الآخر** صفحة 30). ونطالع فى صفحة 97 من نفس الكتاب: "ومنذ ذلك الوقت لن يُذكر اسم نبى الإسلام إلا مقرونا بالمسيح الدجال. وفى منتصف القرن الثانى عشر، قال القديس برنار الذي كان يحث على الحرب الصليبية الثانية أن نهاية المسيح الدجال قد إقتربت وان المسلمين الذين يتهددون القدس ليسوا سوى أولياء الظلمات وقد اجتمعوا من أجل نهايتهم المحتومة". ومن المحزن، للأسف، أن نرى القديسين يسقطون فى هاوية التزوير والتحريف للتاريخ. وعلى أى حال فهذا القديس لم يكن وحده هو الذي انجرف إلى هاوية التحريف والتزوير التى تتواصل حتى يومنا هذا بهوسٍ أكثر تسلطا!

وهل لنا أن نضيف ما قاله الأب كاسبار فى صفحة 209، بعد أن استعرض العداوات والخلافات التبريرية المسيحية، من "أنه طوال القرنين الماضيين (والنص مكتوب فى سنة 1965) قام الغرب المسيحي بالهجوم والإعتداء على البلدان الإسلامية باستعمارها أو بوضعها تحت الحماية (...) والمسيحيون الذين يعيشون وسط المسلمين، ولو فى تداخل جزئى، تبيّن أنهم غير قادرين على إدراك ما يكوّن جوهر وعظمة الإسلام، وهي: التصعيد المطلق لله الواحد. وكان الوضع فى الغرب المسيحى أسوأ. فلمدة قرون طويلة سيكتفى الغرب بنشر أسوأ وأحط الأحكام على الإسلام ونبيه، دون حتى أن يكلفوا أنفسهم بتبين حقائق ذلك المذهب". ولا جدوى من إضافة هنا أن حتى البابا بنديكت السادس عشر لم يتمكن من إدراك عظمة التصعيد المطلق لله الواحد الأحد فى الإسلام، ويراه أنه أمر لا يتفق مع العقل والمنطق!!

وهنا لا يسعنا إلا أن نتساءل لماذا إيقاد كل ذلك الحقد والكراهية ضد الإسلام والمسلمين والإصرار على المحافظة عليه؟! لماذا ذلك الوجه المزدوج أو التعامل

بوجهين، خاصة حينما نقارنها مع التنازلات التى قدمها الفاتيكان لليهود؟! بل وما الذي يمكن قوله عن ذلك الإصرار على اقتلاع الإسلام كديانة توحيدية وبكل تلك الضراوة؟ ومع ذلك فالتاريخ شديد البساطة والوضوح رغم كل عمليات التحريف تلك.

فإذا ما استبعدنا كافة التفاصيل لنتخطى الزمن لتناول تاريخ رسالة التوحيد فى بضع كلمات سنجد: أن رسالة التوحيد نزلت على موسى النبى عليه الصلاة والسلام، ثم عاد اليهود إلى العجل وقتل الأنبياء. فأُنزلت رسالة التوحيد على عيسى النبى عليه الصلاة والسلام موضحا أنه لم يرسل إلا من إجل خراف بيت إسرائيل الضالة (متى 15: 24). وفى مطلع القرن الرابع، فى سنة 325، قام المتحكمون فى الكنيسة الكاثوليكية بتأليه يسوع، ثم باختلاق عقيدة الثالوث وفرضوها غير عابئين بالنصوص والحقائق التاريخية، واقعين بذلك فى هاوية الشرك بالله. لذلك تم تبليغ الرسالة لثالث مرة على النبى محمد عليه الصلاة والسلام. وكانت رسالته لا من أجل إرجاع الخراف الضالة فى البلاغين السابقين إلى التوحيد فحسب وإنما للعالمين، ليسيروا على السراط المستقيم الحق وعبادة الله الواحد الأحد. وهوما نطالعه بوضوح فى نص شهادة الإسلام: لا إله إلا الله، لا أشخاص مؤلهة ولا ثالوث يشرك بالله. وهذا هو ما يؤكد بوضوح التصعيد المطلق لله الواحد الأحد، الله الذي ليس كمثله شىء.

وعلى عكس ما تقولة وثيقة الفاتيكان الشهيرة حول "أحكام الله المخفية" فى الإسلام، فإن وضوح الأحكام الإلهية الإسلامية، التى تم الحفاظ عليها سالمة بدقة وحرص شديدين، ترجع إلى أنه لا توجد معميات مفروضة بظلمات أيا كانت، لا يوجد إيمان بألوهية المسيح، لا يوجد تاريخ تم "توضيبه" وفقا للأهواء بعد تغييره وتحريفه، لا يوجد مسيحا ولا وساطة منسوجة بين الله والبشر، لا يوجد خلاص على يد أحد وكلها بدع مختلقة! لا يوجد فى الإسلام أى شىء من هذه الأحاييل الكنسية. لايوجد سوى إختيار واضح بين الخير والشر، بين الحلال والحرام، بين السراط المستقيم وسراط معوجّ ملتوي. أنه اختيار متواصل على كل إنسان أن يقوم به وهو ما يضعه وحده أمام الله، ولا شىء معه سوى أعماله التى قام بها فى الدنيا والتى اختارها طواعية ليجزيه الله فى يوم الحساب. ذلك هو الإسلام.

إن هذا الوضوح البسيط للأحكام الإلهية فى الإسلام، وهذه النزعة الإنسانية العميقة والعادلة، هى التى جعلت أنه خلال إثنى عشرة سنة انتشر الإسلام فيما بين النهرين وفلسطين وسوريا ومصر، مخلّصا شعوبها من الإضطهاد المتعصب، بفضل الإسلام والمسلمين، وهو ما يؤكد ويضفي مصداقية واضحة على ظاهرة إنتشار الإسلام، وهي من الظواهر الأكثر وضوحا والأكثر تأثيرا على العالم، منذ مطلع القرن السابع وحتى يومنا هذا.

وإذا انتقلنا بإيجاز شديد إلى تاريخ النصوص الكنسية، ما الذي سنراه وفقا للأبحاث الحديثة خاصة؟ أن النصوص العبرية قد احترقت مع المعبد قبل الميلاد بخمسة قرون، ثم قام عزرا بكتابتها من الذاكرة بعد ذلك بقرنين أو ثلاثة، ولم تنته صياغتها إلا فى القرن العاشر الميلادى! ونصوص العهد الجديد قد تمت صياغتها فى أواخر القرن الميلادى الثانى، بأقلام كتبة مجهولون وليست الأسماء التى هى معروفة بها. ثم قام القديس جيروم بصياغتها من بين أكثر من خمسين إنجيلا. والخطاب/المقدمة الذي يوجهه للبابا داماز، الذي طلب منه القيام بذلك العمل، لأكبر دليل على التحريف والتلاعب الذي تم فى نصوص العهد الجديد (راجع طبعة البنديكتين سنة 1693)!

وعلى أى حال فلم يكن بلا سبب أن تقوم الموسوعة البريطانية بقول إن هناك 150000 خطأ ترجمة وتناقض وعدم توافق فى الأحداث. وقد قام العلماء حديثا برفع هذا الرقم إلى الضعف بفضل الأبحاث اللغوية والتاريخية التى اجروها. وفى واقع الأمر، لا توجد أى وثيقة واحدة أصلية لا بلغة عيسى عليه السلام ولا من عهده: كل هذه النصوص عبارة عن نصوص منقولة عن نصوص منقولة ومعاد نقلها. وهو ما يجب أن نضيف عليه إعادة تغيير هذه النصوص والعقائد عبر المجامع ومن طبعة إلى أخرى على مر العصور.

وعلى العكس من ذلك، فمن الثابت والمعروف لدى الجميع ان النص القرآنى هو النص المنزّل الوحيد الذي تم الحفاظ عليه بلا تحريف أو تغيير ولو لحرف واحد من حروفه، منذ انزله الله حتى يومنا هذا وسيظل محفوظا إلى يوم الدين، فقول الله حق وهو القائل: " إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون"..

وقبل عصر التنوير بكثير، وفى زمن لم يكن أحد يعرف بعد بما يدور فى كواليس المؤسسة الكنسية، قام القرآن الكريم بإنكار صلب يسوع، وبإنكار تأليه يسوع، وبدحض الثالوث، كما قام بكشف مختلف أنواع التلاعب الذي تم فى النصوص الإنجيلية. وهو ما تم إثباته قطعا طوال القرن العشرين خاصة، بل ومن قبله.. بحيث ان هذه المعلومات فى الغرب باتت من المعلومات الدارجة التى نطالعها فى الموسوعات والقواميس، حتى المدرسية منها من أمثال قاموس لاروس الصغير. وهذه الحقائق هى فى الواقع التى تثير أحقاد المتحكمين فى المؤسسة الكنسية. ومما أورده القرآن الكريم على سبيل المثال:

* وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبّه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفى شكٍ منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظّن وما قتلوه يقينا (النساء / 157).

* يأهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فأمنوا بالله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد ... (النساء/171).

* ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون (البقرة 42)

* فبدّل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفسقون (البقرة / 59)

* أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون (البقرة / 75)

ومن الملاحظ طوال النص القرآنى ان عيسى عليه السلام يطلق عليه: "عيسى بن مريم" لاستبعاد تلك الهرطقة التى تقول إنه "إبن الله" أو أنه "ألله نفسه" مثلما جعلوه فى مطلع القرن الرابع!

وهنا لا يمكننا إلا أن نتساءل بكل مرارة: ألم تكف الفا عام تقريبا من التاريخ المدرج بالدماء والحروب الضارية التى قادتها هذه المؤسسة الفاتيكانية لتفرض نفسها بكل ذلك الطغيان، لكي تفهم أنها ليست على الطريق المستقيم؟! وبدلا من مواصلة

قلفطة التحريف والتزوير والغش لتبشير الشعوب لتنصيرها، خاصة بعد كل تلك الأبحاث الجديدة الجادة والتى عرضنا منها تلك الشذرات الواردة بهذا الكتاب، أليس أكثر إنسانية وأكثر منطقية أن تترك الناس فى حالها وأن تكرس جهودها لاستبعاد كل تلك الآلام التى تغص بها الأرض، وكل هذه الأوبئة، والمجاعات، والأنقاض، وكل هذه الكوارث الطبيعية أو المفتعلة، التى تتهدد الحياة على الكرة الأرضية بكلها، دون الإصرار الأعمى على تنصير الشعوب؟! إن مليارات الدولارات التى تنفق هباء وبعتهٍ لا يمكن تصوره لتنصير العالم سوف تعاون بلا شك فى النخفيف أو تحسين ذلك المصير المأساوى الذي ينتظرنا جميعا..

وفى النهاية، لا يسعنا إلا العودة إلى تلك الجملة البذيئة والظالمة، لكنها جدّ كاشفة، والتى تصف الإسلام "**بأنه عبارة عن خطأ مطلق لا بد من دحضه، وخطر بالنسبة للكنيسة لا بد من محاربته**"، لنسأل تلك المؤسسة الفاتيكانية، بكل صدق وموضوعية، أى الرسالتين يعد خطأ مطلق بالنسبة للدنيا: تلك المسيحية الفاتيكانية المتعنتة، المتصلبة الرأى، والتى تم اختلاقها تلفيقا عبر المجامع على مر العصور بالتزوير والتحريف والقتل العرقى والمحارق، بحيث تباعد عنها الأتباع بل والكثير من القيادات الكنسية، أم الإسلام، الذى لم يهن عليكم حتى ذكر أو كتابة اسمه فى تلك الوثيقة، والذى لم تكفّوا عن محاربته بضراوة وبعدم أمانة لا مثيل لهما ؟!

هيستريا تنصير العالم!

ما من إنسان، أيا كانت توجهاته، إلا ويلحظ حاليا تلك الهيستريا التى انتابت المؤسسة الكنسية الفاتيكانية لتنصير العالم، بأية وسيلة وبأى ثمن، خاصة منذ قررها المجمع الفاتيكانى الثانى سنة 1965، بصراحة غير مسبوقة، وقام بإنشاء لجنة لتنصير العالم، ولجنة اخرى للحوار، من ضمن ما أنشأ من لجان..

وعلى الرغم من أن هذا التوجه ليس بجديد على هذه المؤسسة العتيقة، إلا أنه لم يتخذ أبدا صبغة الهيستريا المَرَضية الحالية.. فما أكثر المنظمات التى تم تكوينها من أجل تنصير العالم، بل قاموا بتكوين منظمات تبشيرية من الشباب، وغيرها من الأطفال.. وإضافة إلى ذلك، فقد تم فرض عملية المساهمة فى التبشير على كافة المسيحيين، الكنسيين منهم والعلمانيين، بحكم التعميد الذي حصلوا عليه فى الصغر، كما فرضوه على كافة الكنائس المحلية فى جميع بلدان العالم. الأمر الذي يضع مصداقية وأمانة الأقليات المسيحية فى موضع يخل بأمانتهم تجاه البلدان التى يعيشون فيها!

وما كاد ذلك المجمع الفاتيكانى الثانى ينتهي حتى توالت المؤتمرات العالمية المتخصصة فى التبشير والتنصير، ومنها تلك التى انعقدت فى فى بلجيكا عام 1974، ثم فى كولورادو بأمريكا عام 1987، وغيرها كثير، فالطاحونة دائرة ولم تتوقف حتى يومنا هذا.

ولن نتناول هنا سوى دراسة نصوص العهد الجديد التى يتخذها قادة تلك المؤسسة ذريعة للهوس الذي استحوذ عليهم، خاصة فى هذا العقد البادىء من 2001 والذي أطلقوا عليه "عقد إقتلاع الشر"، الذي هو الإسلام فى نظرهم. فما من نص أو خطاب أو حتى أى تعليق يصدر فى أى مناسبة إلا وأرفقوا به عبارة واحدة لاتتغير تقول: أن رسالة الكنيسة تبشيرية، بناء على قول الإنجيل: " فأذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والإبن والروح القدس"، الواردة فى نهاية إنجيل متّى (28: 19)..

وما يبدو لأول وهلة من الآية التى تنص على تبشير الأمم باسم الآب والإبن والروح القدس هو أنها تمثل وصية السيد المسيح، كما يقولون ويفرضون. إلا أن دراسة العهد الجديد نفسه توضح مدى التلاعب بالألفاظ والتلاعب بالنصوص والعقول. إذ أن رسالة السيد المسيح محددة صريحة واضحة كما يحددها هو: بأنه لم يُرسل إلا من أجل خراف بيت إسرائيل الضالة، بعد أن ضلوا عن رسالة التوحيد وعادوا للعجل وقتل الأنبياء، إذ يقول تحديدا: "لم أُرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة" (متّى 15: 24)! وهو نفس ما كان قد قاله فى الإصحاح العاشر من نفس إنجيل متّى: "هؤلاء الإثنى عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلا: إلى طريق أمم لا تمضوا وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا. بل إذهبوا بالحرى إلى خراف بيت إسرائيل الضالة " (آية 5 و 6).

وهو ما نطالع معناه أيضا فى أعمال الرسل حينما قال بطرس للإسرائيليين عن ان سبب إرسال يسوع هو أن يباركهم بإبعاد كل واحد منهم عما اقترفه من شر فى حياته: "إليكم أولا إذ أقام الله فتاه يسوع أرسله يباركك بِرَد كل واحد منكم عن شروره" (3: 26).

وليست هذه الآيات وحدها التى تؤكد الرسالة التى بشر بها يسوع، فإن مطالعة نص العهد الجديد (طبعة 1966) تكشف عن أن نفس مضمون الرسالة التى كان يبشر بها يسوع هى: إقتراب ملكوت الله وليس تبشير الأمم، فما أكثر المرات التى كان يؤكد فيها إقتراب موعد ذلك الملكوت ومنها: ما نطالعه فى إنجيل متّى: "وفيما أنتم ذاهبون أكرزوا قائلين إنه اقترب ملكوت السماوات" (10: 7)؛ أو "فإنى الحق اقول لكم لا تكملون مدن إسرائيل حتى يأتى ابن الإنسان"(10: 23). بل إن إنجيل متّى به أكثر من ثلاثين آية تشير إلى تبشير يسوع بملكوت الله بخلاف مافى الإصحاح الثالث عشر وحده، من الآية 1 إلى الآية 52، فكلها تتحدث عن ملكوت الله واقترابه الوشيك!

بل لقد كانت سرعة إقتراب حدوث ذلك الملكوت وشيكة إلى درجة أنه عندما ذهب الإثنى عشر حواريا فى أولى جولاتهم فى فلسطين قال لهم يسوع بوضوح: "ومتى

طردوكم فى هذه المدينة فاهربوا إلى الأخرى، فإنى الحق أقول لكم لا تكملون مُدن إسرائيل حتى يأتى إبن الإنسان " (متّى 10: 23).

وحتى أثناء مثول يسوع فى المحاكمة أمام قيافا نراه يقول لهم: " وأيضا أقول لكم من الآن تبصرون ابن الإنسان جالسا عن يمين القوة وآتيا على سحاب السماء " (متّى 26 : 64)..

أما إنجيل مرقس فيورد فى الإصحاح الأول كيف أن يسوع يواصل الرسالة التى بدأها يوحنا المعمدان والتبشير بنفس الرسالة، إذ تقول الآية: "وبعد ما أسلم يوحنا جاء يسوع إلى الجليل يكرز ببشارة ملكوت الله ويقول قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله فتوبوا وآمنوا بالإنجيل" (14 و15) وفى الإصحاح التاسع نطالع: "وقال لهم الحق أقول لكم إن من القيام ههنا قوما لا يذوقوا الموت حتى يروا ملكوت الله قد أتى بقوة". وتتكرر المقولة: "الحق أقول لكم لا يمضي هذا الجيل حتى يكون هذا كله. السماء والأرض تزولان لكن كلامى لا يزول " (مرقس 13: 30و31) .... بل حتى يوسف من الرامة الذي طلب جسد يسوع من بيلاطس كان هو أيضا " ينتظر ملكوت الله" فى الآية 43 من الإصحاح الخامس عشر. أى ما معناه ان الإيمان بملكوت الله لا يعد دليلا على صلاح الإنسان فحسب وإنما يمثل جوهر الرسالة التى يوصى بها يسوع والتى لم يكف عن ترديدها حتى آخر لحظة..

ونطالع فى إنجيل لوقا أن يسوع " لما صار النهار خرج وذهب إلى موضع خلاء وكان الجموع يفتشون عليه فجاءوا إليه وأمسكوه لئلا يذهب عنهم. فقال لهم إنه ينبغى لى أن أبشر المدن الأخر أيضا بملكوت الله لأنى لهذا قد أُرسلت" (4 : 42 و 43).. أى إن رسالة يسوع كما تتضح من كل هذه الآيات تنحصر ـ كما يقول هو، فى إعادة خراف إسرائيل الضالة إلى رسالة التوحيد، وفى التبشير باقتراب ملكوت الله. بل نطالع فى نفس إنجيل لوقا فى بداية الإصحاح التاسع، أن يسوع قد "دعا تلاميذه الإثنى عشر وأعطاهم قوة وسلطانا على جميع الشياطين وشفاء أمراض وارسلهم ليكرزوا بملكوت الله ويشفوا المرضى" (آية 1 و2). أى أنه اسند إليهم كل المهام التى يقوم بها هو. أو بقول آخر: أنه أصبح لا يتميّز عنهم بشىء بما أنه منحهم كل سلطاته وخاصة تبليغ وصيته وتبشيره باقتراب ملكوت الله. وفى الإصحاح العاشر

يواصل نفس الوصية قائلا: "واشفوا المرضى الذين فيها وقولوا لهم قد اقترب منكم ملكوت الله. وأية مدينة دخلتموها ولم يقبلوكم فاخرجوا إلى شوارعها وقولوا حتى الغبار الذي لصق بنا من مدينتكم ننفضه لكم ولكن اعلموا هذا إنه قد اقترب منكم ملكوت الله " (9 . 11).

أى أنه ليس يسوع وحده الذي كان ينادى بإقتراب ملكوت الله وإنما قد أسند بهذه المهمة إلى الحواريين أيضا. وهو ما يوضح أهمية هذا الملكوت الذي يمثل أساس رسالته! فحتى وهو يأكل الفصح معهم، كما هو وارد فى إنجيل لوقا، قال: "لأني أقول لكم لا آكل منه بعد حتى يكمل فيِ ملكوت الله. ثم تناول كأسا وشكر وقال خذوا هذه واقتسموها بينكم. لأني أقول لكم إنى لا أشرب من نتاج الكرمة حتى يأتى ملكوت الله " (22: 18.16)..

ويبدأ الإصحاح الثالث من إنجيل يوحنا بواقعة نيقوديموس الفاريسى الذي قال له: "يا معلم نعلم أنك قط أتيت من الله معلماً لأن ليس أحد يقدر أن يعمل هذه الآيات التى أنت تعمل إن لم يكن معه الله. أجاب يسوع وقال الحق الحق أقول لك إن كان أحد لا يولد من فوق لا يقدر أن يرى ملكوت الله".

وبغض الطرف عن تحديد كينونة يسوع بأنه معلم وليس بإله، فما من إنجيل إلا وتناول بنسب متفاوتة من الآيات موضوع ملكوت الله أو ملكوت السماء الذي كان يبشر به يسوع. وهو ما سوف نتابعه أيضا فى أعمال الرسل والرسائل.

تبدأ أعمال الرسل فى الإصحاح الأول بالإشارة إلى ما فعله يسوع وعلمه إلى اليوم الذي إرتفع فيه، ثم ما قاله عندما أمضى "أربعين" يوما بعد بعثة .كما يقولون، يتحدث عن الأمور المختصة بملكوت الله: " الكلام الأول أنشأته يا ثاوفيليس عن جميع ما بدأ يسوع يفعله ويعلم به إلى اليوم الذي ارتفع فيه بعد ما أوصى بالروح القدس الرسل الذين اختارهم. الذين أراهم أيضا نفسه حيا ببراهين كثيرة بعد ما تألم وهو يظهر لهم أربعين يوما ويتكلم عن الأمور المختصة بملكوت الله" (3.1)..

ولن نناقش هنا اختلاف أو تناقض مدة بقاء يسوع على الأرض بعد بعثه عن الأناجيل المعتمدة، وهي واحدة من آلاف المنتناقضات التى يزخر به الكتاب المقدس، لكنا نكتفي بتوضيح أنه حتى بعد بعثه، وفقا لأعمال الرسل، ظل أربعين

يوما يحدث حواريه فقط عن الأمور المختصة بملكوت الله كما يؤكد هذا النص.. بل وتنتهي أعمال الرسل بآيتين لهما دلالتهما، إذ نطالع فى آخر الإصحاح 28 الذي يختتم أعمال الرسل بالآيتين التاليتين: "وأقام بولس سنتين كاملتين فى بيت استأجره لنفسه. وكان يقبل جميع الذين يدخلون إليه كارزا بملكوت الله ومعلما بأمر الرب يسوع المسيح بكل مجاهرة بلا مانع" (30 و31). وأهم ما فى هاتين الآيتين هو: أن بولس كان أيضا يكرز بملكوت الله ولمدة سنتين متواصلتين بكل مجاهرة وبدون أى عائق يمنعه! فهذه هى الرسالة التى تسلمها من يسوع وكان عليه ان يبلّغها..

وفى رسالته إلى أهل رومية نحاط علما بمن هم الذين سيدخلون ملكوت الله إذ يقول بولس: "لأن ليس ملكوت الله أكلا وشربا. بل هو بِرٌ وسلامٌ وفرحٌ فى الروح القدس" (14: 17).. أى إن ذلك الملكوت هو بر وفرح وسلام فى الروح القدس، أى فى الله ولله، بلا أطماع ولا أهداف أخرى، بما أن الروح القدس هو أقنوم من أقانيم الله كما يقولون! بِرٌ، وسلامٌ، وفرحٌ . وليس تنصيرٌ للشعوب!

وفى رسالته إلى أهل كورنثوس يقوم بولس بتحديد صفات من لن يدخلون ملكوت الله قائلا: "أم ألستم تعلمون أن الظالمين لا يرثون ملكوت الله، لا تضلوا. لا زناة ولا عبدة أوثان ولا فاسقون ولا مأبونون ولا مضاجعوا ذكور ولا سارقون ولا طمّاعون ولا سكيرون ولا شتامون ولا خاطفون يرثون ملكوت الله. وهكذا كان أناس منكم. لكن اغتسلتم بل تقدستم بل تبررتم باسم الرب يسوع وبروح إلهنا" (6: 11.9).. وبغض الطرف عن التركيبة الإجتماعية للمسيحيين الأوائل التى يوردها بولس، فإن اغتسالهم من كل هذه المآخذ تدخلهم الملكوت..

ويواصل السرد فى رسلاته إلى أهل غلاطية قائلا: "وأعمال الجسد ظاهرة التى هى زنى عهارة نجاسة دعارة عبادة الأوثان سحر عداوة خِصام غيرةٌ سخط تحزّب شِقاق بدعة حسدٌ قتلٌ سكرٌ بطرٌ وأمثال هذه التى أسبق فأقول لكم عنها كما سبقت فقلت أيضا إن الذين يفعلون مثل هذه لا يرثون ملكوت الله " (5: 19 . 21)

وفى رسالته إلى أهل أفسوس يقول: "فإنكم تعلمون هذا أن كل زان أو نجس أو طماع الذي هو عابد للأوثان ليس له ميراث فى ملكوت المسيح والله" (5: 5)، ونلاحظ كيف يواصل بولس تصعيده لعملية تأليه يسوع: فبعد أن جعله "ربنا يسوع" فى أقواله

السابقة، ها هو يسند إليه ملكوت الله ويشرك ملكية الملكوت للمسيح ولله معا!! ثم يزعم النصارى وأئمتهم أنهم لا يشركون بالله أحداً وأنهم موحدون بالله الواحد الأحد!

وهو ما نطالعه أيضا فى رسالة بطرس الثانية إذ يقول فى الإصحاح الأول: "لأنه هكذا يقدم لكم بسعةٍ دخولٌ إلى ملكوت ربنا ومخلصنا يسوع المسيح الأبدى" (11)!

فبعد أن كان يسوع يبشر بملكوت الله واصل الحواريون التشير بنفس الرسالة، بغض الطرف عن أنهم جعلوها شركة بين الله ويسوع ثم تحول إلى ملكوت يسوع المسيح!!

وأيا كان صاحب ذلك الملكوت، فإننا نخرج من كل تلك الأمثلة، التى تتكرر وتتنوع فى أكثر من مائة آية فى العهد الجديد، بأن الرسالة التى أتى من أجلها يسوع والتى أرسله الله ليحققها هى بكل وضوح: إعادة خراف بيت إسرائيل الضالة إلى رسالة التوحيد، والتبشير بملكوت الله الذي اقترب مجيئه. ثم واصل الحواريون التبشير بنفس الملكوت، بغض الطرف هنا عن مسألة نسبته لله وحده أو مناصفة مع يسوع أو يسوع وحده، فالرسالة واضحة محددة: الملكوت وليس تنصير العالم!

بل والأدهى من ذلك يقول يسوع لمن عصوا كلام الرب: " لذلك أقول لكم إن ملكوت الله يُنزع منكم ويُعطى لإمةٍ تعمل أثماره" (متّى 21: 43).

وقبل أن ننهى هذه الجزئية لا بد لنا من توضيح بعض التناقضات المتعلقة بالموضوع كما تبدو فى العهد الجديد. فقد رأينا أن يسوع قد حدد قائلا إنه لم يرسل إلا من أجل خراف بيت إسرائيل الضالة (متّى 15: 24)، وكذلك فى نفس الإنجيل حينما حدد قائلا لحواؤييه: "إلى طريق أمم لا تمضوا وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا. بل إذهبوا بالحري إلى خراف بيت إسرائيس الضالة " (10: 5 و6)، وذلك لاقتراب حدوث الملكوت. وهو ما أكده فى نفس الإنجيل وغيره فى أكثر من موقع.

فمن غير المنطقى أن يلتقي يسوع بحواريه الأحد عشر بعد أيام قليلة من بعثه فى الجليل ويأمرهم بالذهاب ليتلمذوا جميع الأمم ويعمدوهم باسم الأب والإبن والروح القدس . وهو القائل: "إلى طريق أمم لا تمضوا"، بغض الطرف حتى عن إن بعض هؤلاء الحواريين قد شك فى ظهوره لهم، أو أنه قد قال لهم أنه سيبقى معهم "إلى إنقضاء الدهر"، لأنه كان قد أكد لهم أن كل ما قاله عن تحقيق الملكوت سوف يتم أكيدا مؤكدا قبل حتى أن يتمكنوا من تبشير يهود ضيعة فلسطين!

وهناك تناقض آخر بين متّى ومرقس حول نفس هذه المقولة عن التبشير بالثالوث: إذ يقول متّى أن هذا الأمر قد أُعطى للحواريين الأحد عشر فى الجليل على الجبل. بينما يورد مرقس أن هذا الأمر قد أُعطى للحواريين الأحد عشر بينما كانوا يأكلون، إذ يقول: "أخيرا ظهر للأحد عشر وهم متكئون ووبخ عدم إيمانهم وقساوة قلوبهم لأنهم لم يصدقوا الذين نظروه قد قام وقال لهم إذهبوا إلى العالم أجمع وأكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها" (16: 14 و15).

ومن غير المعقول أن يكون مثل هذه التناقض بين متّى ومرقس فى موضوع بمثل هذه الأهمية، أن يقول أحدهم أنه قد حدث فى الجليل على قمة الجبل، ويقول الآخر أنه حدث فى بيت فى القدس بينما كانوا يتناولون الطعام ودخل عليهم يسوع عبر الحائط حيث أن باب الغرفة كان موصدا!!

كما أن أعمال الرسل تأتى بتناقض آخر فى الإصحاح العاشر، عندما ذهب بطرس إلى قيصرية للقاء كورنليوس، الذي كان قد استدعاه. ونتغافل عن كل التفاصيل اللا معقولة لنتوقف عند عبارة بطرس، وهو من الحواريين الأحد عشر الذين من المفترض أنهم سمعوا دعوة يسوع عندما ظهر لهم بعد بعثه، بغض الطرف عما بها من اختلافات جوهرية بين الروايتين. إلا أن كل ما يعنينا هو أن بطرس كان حاضرا لذلك اللقاء الذي أخذوا فيه أمر " كرازة كل الأمم". ثم نرى بطرس، فى أعمال الرسل، وفى ذلك الإصحاح العاشر يأمر هؤلاء القوم " بأن يعتمدوا باسم الرب" فقط (10: 48). أى أنه وفقا لأعمال الرسل فإن بطرس كان يجهل أنه يتعيّن عليه التعميد " باسم الآب والإبن والروح القدس"!

بل والأدهى من ذلك، نرى فى الإصحاح الحادى عشر من أعمال الرسل أنه عندما" صعد بطرس إلى أورشليم خاصمه الذين من أهل الختان قائلين إنك دخلت إلى رجال ذوي غُلفة وأكلت معهم" (الآية 3). وبدأ بطرس يحكى لهم القصة كما وردت فى الإصحاح السابق كنوع من التبرير، ثم أضاف قائلا: "فتذكرت كلام الرب كيف قال إن يوحنا عمّد بماء وأما أنتم فستعمدون بالروح القدس" (آية 16).

وهو ما يثبت أن نهاية كل من إنجيل متّى ومرقس عبارة عن تحريف تمت إضافته لاحقا. فالتعميد كان أيام يوحنا المعمدان بالماء، ويسوع كان قد قال لحواريه آنذاك

أن يعمّدوا بالروح القدس. وأيا كان ما سوف يعمدون به، سواء بالماء أو بالروح القدس، فإنه قطعا وحتى كتابة أعمال الرسل، وهي سابقة على كتابة الأناجيل الأربعة، لم تكن عبارة "الآب والإبن والروح القدس" موجودة أو قد تم إختلاقها، وأن يسوع لم يطلب منهم تعميد "كل الأمم"!

وذلك لأننا نطالع فى نفس الإصحاح الحادى عشر أنهم تشتتوا " إلى فينيقية وقبرص وإنطاقية وهم لا يكلمون أحدا بالكلمة إلا اليهود فقط " (11: 19)، وهو ما يخالف عبارة يسوع بأن يعمدوا "كل الأمم"، فكيف للحواريين ألا يتحدثوا مع الوثنيين المفترض تنصيرهم بأمر يسوع، ولا يتحدثون إلا إلى اليهود أمثالهم؟

كما نطالع فى الموسوعة الكاثوليكية قول أوسبيوس وإشارته إلى أن آخر آيات مرقس التى تبدأ من الآية رقم 9 حتى نهاية الإصحاح لا توجد فى كل المخطوطات الخاصة بالآناجيل، مؤكدا أن هذا الإنجيل كان ينتهي عند الآية 8، وإن الذي أدخله فى النص الرسمى المعروف باسم "الفولجات" الذي اقرته الكنيسة هوالقديس جيروم فى القرن الرابع..

كما أن أشهر وأقدم نصين للعهد الجديد المعروف أحدهم باسم مخطوطة سيناء والآخر مخطوطة الفاتيكان وكلاهما من القرن الرابع، تنتهي كل منهما عند الآية 8، وكذلك تنتهى أيضا بعض المخطوطات الأثيوبية والأرمنية، تنتهى جميعها عند الآية 8!

وأيا كانت الخلافات بين المخطوطات والنهايات المختلفة لإنجيل مرقس، فقد قام مجمع ترانت فى الدورة الرابعة وحسم القضية بأن كل الأجزاء موحاه من الله وقانونية وأنه يتعيّن على كل كاثوليكى أن يتقبلها على أنها كذلك!!

ونوجز كل ما تقدم بأن يسوع طوال فترة تبشيره، سواء أكانت بضعة أشهر أو ثلاث سنوات، وفقا لأي إنجيل نعتد، وسواء بعد صلبه وبعثه كما يقولون، وظهوره يوما أو اربعين يوما، فهو يؤكد: أنه لم يرسل إلا من أجل خراف بيت إسرائيل الضالة، ومن أجل التبشير بملكوت الله، وليس بالثالوث..

ويكفي التأكيد هنا أن اختلاق بدعة الثالوث قد تمت فى أواخر القرن الرابع وتحديدا فى عام 381 م فى مجمع القسطنطينية، كما هو ثابت فى كافة المراجع الكنسية والتاريخية والنقدية، فكيف توجد فى إنجيل تقول عنه كل المراجع الكنسية أنه صيغ فيما بين عام 90 و120؟ ولا نقول شيئا عن سن متّى الذي يقولون إنه من الحواريين وكان أكبر من يسوع سناً: أى أنه كان فيما بين التسعين والمائة وعشرين من عمره حينما كتب ذلك الإنجيل من الذاكرة. واللهم لا تعليق!

إن الإصرار على فرض هذه الآية والإستناد إليها لتنصير العالم أجمع، هى فرية من أكبر الفريات التى لا تُعد ولا تُحصى، من أعمال طاحونة التحريف والتزييف، التى لم تكف عن الدوران منذ حوالي ألفى عام.. بل هى فى الواقع أكبر فرية فى التاريخ، لتنصير العالم زورا وبهتانا، حفاظا على كل ما تم نسجه من تحريف عبر ألفي عام، وحفاظا على كل المكاسب التى جناها أعضاء تلك المؤسسة ظلما واختلاسا ولا يستطيعون التخلى عنها..

الخاتمة

مما تقدم، وكلها شذرات بالنسبة لما حدث في الواقع أو لما تضمه صفحات التاريخ، نخرج بأن الغرب المسيحي المتعصب لا يعرف معنى التسامح لأنه قائم على سلسلة متواصلة من الصراعات الطاحنة بين السلطة الدينية والسلطة المدنية على مر العصور.. وقائم، فى نفس الوقت، على سلسلة أخرى من التزوير والتحريف فى الوثائق الرسمية بأنواعها الدينية منها والسياسية. ويكفي أن نشير هنا إلى ما صدر فى جريدة الأهرام يوم 2007/10/18 من أن مجلس النواب الأمريكى "قد وبخ إدارة بوش لإخفائها معلومات عن تفشى الفساد فى العراق".. وهي ليست أول مرة تُتهم فيها الإدارة الأمريكية بالكذب أو بإخفاء المعلومات، او حتى أن تعتمد على معلومات مزورة لتمارس هجماتها الغاشمة، ومنها أحداث مسرحية الحادى عشر من سبتمبر 2001.. وقد أوضحنا فى أحد الموضوعات كم الأكاذيب التى إدعتها الإدارة الأمريكية والتى بنت على ترويجها هجمات وحشية على العديد من البلدان الإسلامية وغيرها.

وقد يحدث لهاتين السلطتين، المدنية والدينية، أن تتلاحما من أجل الصراع ضد عنصر ثالث، وما أكثر النماذج أيضًا، فآخرها كان التضافر بينهما لاقتلاع اليسار فى عقد التسعينيات من القرن العشرين، ثم ما هو دائر حالياً من تضافر شرس فى محاولة مستميتة لاقتلاع الإسلام والمسلمين بعد أن ألصقا به تهمة الإرهاب والإرهابيين، ثم ها هم يضموا إلى القائمة مؤخراً تهمة: "الإسلام الفاشى"!

والعنصر المشترك في جميع الأحوال هو ما يطلق عليه عبارة: «الآخر». ففي الخط الكنسي كان «الآخر» قديما هو: اليهود والوثنيون بأنواعهم. وقد غرست المؤسسة الكنسية معاداة السامية بدأ من صياغتها للأناجيل وما بعدها من نصوص وقرارات، إلى ما يطلق عليه «المحرقة»، وقد تكشف حديثاً ضلوع الفاتيكان فيها والصمت على مجرياتها، وإن كان يجاهد للتعتيم والتحريف كالمعتاد..

وانتهى هذا الخط بتغيير جذري في الموقف بتبرئة اليهود من دم المسيح وباتوا يسيطرون على الغرب المسيحي، وبالتالي على العالم، بعربدة لا تغفلها عين، فما من

قرار واحد التزموا به إن كان يمسهم، وذلك بفضل ما يمتلكونه من وثائق تهدم المسيحة ويتم التعتيم عليها..

أما الوثنيون، فقد تمكنت الكنيسة الرومية من فرض عقيدتها طمعاً وقهراً بالسلاح والقتل حتى بات معروفًا أن من ذبحتهم في مجازرها يُعدون بمئات الملايين.. إذ حتى من انشق عنها من الأتباع أو خالفها الرأى والعقيدة مارست عليه نفس القتل والاقتلاع والتدمير، فمات من مات وصمد من صمد..

وفي القرن السابع أتى الإسلام مصوِّباً ومكمِّلاً لرسالة التوحيد التي حاد عنها اليهود بالعودة إلى العجل وقتل الأنبياء، وأرسل الله يسوع عليه الصلاة والسلام "من أجل خراف بيت إسرائيل الضالة" (متى 24:15)، وحاد النصارى عن رسالة التوحيد بتأليه السيد السميح، واختلاق بدعة الثالوث والشرك بالله سنة 325 م. فأرسل الله عز وجل محمدًا خاتمًا للنبيين، عليه الصلاة والسلام، مؤكدًا رسالة التوحيد معلنًا أنه لا إله إلا الله، ونافيًا – بكل ما أُنزل في القرآن من آيات، كاشفًا كل ما تم في التنزيلين السابقين من تحريف لرسالة التوحيد. وبذلك أصبح الإسلام هو: «الآخرَ» الجديدَ، في نظر تلك المؤسسة الكنسية، والتي رأت أنه لا بد من اقتلاعه. وهو ما تجاهد في القيام به منذ أواخر القرن السابع وحتى يومنا هذا وإن تزايد الإيقاع فى صراع محموم حتى كان مجمع الفاتيكان الثانى والذي قرر رسميا تنصير العالم..

أما في الخط السياسي، فما أن استقرت الصراعات بين السلطتين، وما أسفرت عنه من تقسيم وإعادة تقسيم بالحروب والقتل والدسائس والاغتيالات، حتى انساق الغرب المسيحى في الحروب الاستعمارية لاستغلال الشعوب وثرواتها، بل قام بتقسيم العالم إلى شمال ثري وجنوب فقير، أو شمال يجيد النهب، وجنوب منهوب!

وتضافرت جهود السلطتين للحد من أية منافسة قد تبدل من نسق النظام الرأسمالي الاستعماري، مثلما حدث في القرن العشرين واقتلاع اليسار حتى لا تكون هناك أية أنظمة سياسية بديلة، ليتم ما أطلقوا عليه: النظام العالمي الجديد، أو سياسة القرية الواحدة، وما إلى ذلك من مسميات قائمة على فكرة: نظام سياسي– اقتصادي– اجتماعي– فكري– ديني واحد حتى تسهل قيادة العالم لصالح حفنة من المتحكمين فى مصائره..

وإذا ما تأملنا الوضع من ناحية «الآخر» الحالي، المطلوب اقتلاعه، نرى أن كل الهزائم التي لحقت بالمسلمين كانت نتيجة الخيانة أو التواطؤ لصالح الغرب وتنفيذا لمآربه، من أجل بضع مغريات، وهو ما كشفت عنه حرب العراق الأخيرة وتناقلته الفضائيات والإذاعات في عبارة شبه واحدة تؤكد تواطؤ معظم المسؤولين العرب والمسلمين وتسهيلهم عمليات الغزو بنسب متفاوتة.. قيادات مسلمة تقر وتتواطأ لضرب بلدان مسلمة!! فأين نحن من القرآن الكريم، أو من خطبة الوداع لأكرم النبيين، وكل ما قيل عن تحريم دم المسلم على أخيه المسلم؟

وإن تأملنا الحقبة الأخيرة من التاريخ، على سبيل المثال لا الحصر، نرى أنه تمت محاصرة تركيا واقتلاع لغة القرآن، وفرض العلمانية بسبب خيانة كمال أتاتورك وهرولته لإرضاء الغرب. وفي قضية فلسطين: لولا خيانة العرب والمسلمين لما نجح الغرب ولا المؤسسة الفاتيكانية في غرس الكيان الصهيوني واحتلال أرض فلسطين. علما بأن كافة أعمال الحفر والتنقيب التى تولاها الصهاينة تكشف أنه لا حق لهم فى هذه الأرض! وتكفى مطالعة كتاب "**كشف النقاب عن الكتاب المقدس**" لكل من إسرائيل فينكلشتاين ونيل سيلبرمان، لندرك مدى التلاعب والمغالطات من جهة، ومدى الجهل بالحقائق أو التغافل عنها من جهة أخرى!

ولو تأملنا الحروب الحديثة بعد اقتلاع اليسار وتفرد السياسة الأمريكية بالزعامة والعربدة، لوجدنا أنه لولا خيانة العرب والمسلمين وموافقتهم على شن الحرب على الكويت بأيدي العراقيين، ثم موافقتهم على احتلال أفغانستان والعراق، بينما لم ينس الغرب المسيحى أو يغفل الزج بالمبشرين ضمن عتاده الحربي، إضافة إلى ما يُطرح من مشاريع تقسيم البلدان الإسلامية من أجل مخطط الشرق الأوسط الكبير، وكلها أحداث نهرول للمساعدة على تحقيقها ونهلّل لها – وها هي الأحداث دائرة تتحدث عن نفسها.. فإلى أين نحن منساقون؟!

بل حتى حينما استخدمنا سلاح حظر البترول، وكاد ذلك الغرب المتعصب أن يركع لحاجته، بادر من بادر بالخيانة والتنازل.. وكان هذا التصرف من الأسباب التى

جعلت بعض متعصبى الغرب يطالب آنذاك بضرورة "دك العرب والمسلمين وإعادتهم إلى عصور الجاهلية الأولى حتى لا يجثروا على مثل هذا العمل مرة ثانية"!

لقد أوضحنا كيف لجأ ذلك الغرب الذي لم يعرف أبدا معنى التسامح، واستعان بالسيف والنار، لمحاصرة "الآخر" بالأحداث والوقائع الدامية، ومحاكم التفتيش والحروب الصليبية والقتل العرقى والإبادات الجماعية وبالأسلحة المحرمة دوليا.. كما أوضحنا كيف استعان بالتدمير المتعمد لتبديد الوثائق والمستندات ومعالم الحضارات الأخرى التى نهل منها وقام على أنقاضها، بآلة حربية رهيبة، دون مراعاة لأية حقوق أو قوانين.. وكيف نشأ ذلك الغرب المسيحى المتعصب إعتمادا على التحريف والتزوير منذ أولى خطواته حتى صار أشبه بطاحونة دائمة الدوران لإختلاق الفريات والأكاذيب، فى نصوصه الدينية وفى تحركاته السياسية.. وقد آن لنا أن نتصدى له كالبنيان المرصوص، فليس من حق تلك الحفنة الرامية إلى إستغلال العالم وموارده لصالحها، وليس من حق تلك المؤسسة الكنسية القائمة على الأكاذيب والتزوير وإقتلاع الآخر أن تفرض فرياتها وأكاذيبها وأطماعها علينا وعلى العالم أجمع.

لذلك لن نمل ولا نكف عن تكرار: أفيقوا أيها المسلمون، أفيقوا فالطوفان القادم أكبر وأشد عنفا مما تتصورون!

الملاحق

* خطاب القديس جيروم للبابا داماز باللاتينية
* نص الخطاب بالعربية
* صورة البطريرك ثيوفيلس الذي أمر بحرق مكتبة الإسكندرية القديمة
* صورة من كنيسة بلدة سدلتس
* تشويهات حرب العراق

خطاب القديس جيروم إلى البابا داماز
باللغة اللاتينية

Sancti Hieronymi operum Tomus Primus
Incipit praefatio
Sti Hieronymi Presbyteri in
Quatuor evangelia

Beatissimo Papae Damaso Hieronymus

Novum opus facere me cogis ex veteri : ut post exemplaria Scripturarum toto orbe dispersa, quasi quidam arbiter sedeam : & quia inter se variant, quae sint illa quae quum Graeca consentiant veritate, decernam. Pius labor, sed periculosa praesumtio, judicare de coeteris, ipsum ab omnibus judicandum : senis mutare linguam, & canescentem jam mundum ad initia retrahere parvulorum. Quis enim doctus pariter vel indoctus, cum in manus volumen assumserit, & à saliva quam semel imbitit, viderit discrepare quod lectitat ; non statim erumpat in vocem, me falsarium, me clamans esse sacrilegum, qui audeam aliquid in veteribus libris addere, mutare, corrigere ? Adversus quam invidiam duplex caussa me sonsolatur : quod & tu qui summus sacerdos es, fieri jubes : & verum non esse quod variat, etiam maledicorum testimonio comprobatur. Si enim Latinis exemplaribus fides est adhibenda, respondeant quibus : tot enim sunt exemplaria paene quot codices. Sin autem veritas est quaerenda de pluribus : cur non ad Graecam originem revertentes, ea quae vel à vitiosis interpretibus male edita, vel a praesumtoribus imperitis emendata perversius, vel à librariis dormitantibus aut addita sunt, aut mutata, corrigimus ? Neque vero ego de Veteri disputo Testamento, quod à septuaginta quid Aquila, quid Symmachus sapiant, quare Theodotion inter novos & veteres medius incedat. Sit illa vera interpretatio quam Apostoli probaverunt. De novo nunc loquor Testamento : quod Graecum esse non dubium est, excepto Apostolo Matttheo, qui primus in Judaea Evangelium Christi Hebraïcis litteris edidit. Hoc certe quum in nostro sermone discordat, & (a) diversos rivulorum tramites ducit : uno de fonte quaerundum est. Praetermitto eos codices quos à Luciano & Hesychio nuncupatos, paucorum hominum asserit perversa contentio : quibus utique nec in veteri Instrumento post septuaginta Interpretes emendare quid licuit, nec in novo profuit emendasse : quum multarum gentium linguis Scriptura ante translata, doceat falsa esse quae addita sunt. Igitur haec praesens praefatiuncula pollicetur quattuor tantum Evangelia, quorum ordo est iste, Matthaeus, Marcus, Lucas, Johannes : codicum Graecorum emendata collatione, sed veterum. Quae ne multum à lectionis Latinae consuetudine discreparant, ita calamo (b)temperavimus,

ut his tantum quae sensum videbantur mutare correctis, reliqua manere pateremur ut fuerant. Canones quoque, quos Eusebius Caesariensis Episcopus Alexandrinum sequutus Ammonium, in decem numeros ordinavit, sicut in Graeco habentur, expressimus. Quod si quis de curiosis voluerit nosse, quae in Evangeliis, vel eadem, vel vicina, vel sola sint, eorum distinctione cognoscat. Magnus siquidem hic in nostris codicibus error inolevit, dum quod in eadem re alius Evangelista plus dixit, in alio quia minus putaverint, (c) addiderunt. Vel dum eumdem sensum alius aliter expressit, ille qui unum è quattuor primum legerat, ad ejus exemplum coeteros quoque aestimaverit emendandos. Unde accidit ut apud nos mixta sint omnia, & in Marco plura Lucae atque Matthaei, Rursum in Matthaeo plura Johannis & Marci, & in coeteris reliquorum quae aliis propria sunt, inveniantur. Quum itaque canones legeris qui subjecti sunt, consusionis errore sublato, & similia omnius scies, & singulis sua quaeque restitues. In Canone primo concordant quattuor, Mattheeus, Marcus, Lucas, Johannes. In secundo tres, Matthaeus, Marcus, Lucas. In tertio tres, Matthaeus, Lucas, Johannes. In quarto tres, Matthaeus, Marcus, Johannes. In quinto duo, Matthaeus, Lucas. In sexto, Matthaeus, Marcus. In septimo duo, Matthaeus, Johannes. In octavo duo, Lucas, Marcus. In nono duo, Lucas, Johannes. In decimo, propria (a) unusquisque quae non habentur in aliis, ediderunt. Singulis vero Evangeliis: ab uno incipiens usque ad sinem librorum, dispar numerus increscit. Hic nigro colore praescriptus, sub se habet alium ex minio numerum discolorem, quid ad decem usque procedens, indicat prior numerus, in quo sit canone requirendus. Quum igitur aperto codice, verbi gracia, illud sive, illud capitulum scire volueris cujus Canonis sit, statim ex subjecto numero doceberis, & recurrens ad principia, in quibus Canonem est distincta congeries, eodemque statim Canone ex titulo frontis invento, illum quem quaerebas numerum ejusdem Evangelistae, qui & ipse ex inscriptione signatur, invenies ; atque à vicino caeterorum tramitibus inspectis, quos numeros è regione habeant, annotabis : & quum scieris recurres ad volumina singolorum, & sine mora repertis numeris quos ante signaveras, reperies & loca in quibus vel eadem, vel vicina didixerunt (b) . Opto ut in Christo valeas, & mei memineris Papa beatissime.

(a) Ita MSS. omnes antiquiores ac melioris notae. Aliquot recentiores cum editis legunt, in diversos rivulorum tramites: vel, ad diversosos, G c.

(b) Codices MSS. quamplures, imperavimus

(c) Consule quae in Prolegomenis nostris diximus de Latino Matthaei Evangelio usu recepto in Ecclesia ante Hieronymum, ubi exempla proposuimus additamentorum hujusmadi.

إعتراف القديس جيروم

المجلد الأول من أعمال الراهب جيروم
بداية المقدمة
حول مراجعة نصوص الأناجيل الأربعة
إلى قداسة البابا داماز، من جيروم

تحثنى على أن اقوم بتحويل عمل قديم لأخرج منه بعمل جديد، وتريد منى أن أكون حكما على نُسخ كل تلك النصوص الإنجيلية المتناثرة فى العالم، وأن أختار منها وأقرر ما هى تلك التى حادت أو تلك التى هى أقرب حقا من النص اليونانى. أنها مهمة ورعة، لكنها مغامرة إذ سيتعيّن علىّ تغيير أسلوب العالم القديم وأعيده إلى الطفولة. وأن أقوم بالحكم على الآخرين يعنى فى نفس الوقت أنهم سيحكمون فيه على عملى. فمن مِن العلماء أو حتى من الجهلاء، حينما سيمسك بكتابى بين يديه ويلحظ التغيير الذي فيه، بالنسبة للنص الذي اعتاد قراءته، لن يصيح بالشتائم ضدى ويتهمنى بأننى مزور ومدنس للمقدسات، لأننى تجرأت وأضفت، وغيرت، وصححت فى هذه الكتب القديمة؟
وحيال مثل هذه الفضيحة، هناك شيئان يخففان من روعى، الأمر الأول: أنك أنت الذي أمرتنى بذلك؛ والأمر الثانى: إن ما هو ضلال لا يمكن أن يكون حقاً. وهو ما تقره أقذع الألسنة شراسة، وإذا كان علينا أن نضفى بعض المصداقية على مخطوطات الترجمة اللاتينية، ليقل لنا أعداؤنا أيها أصوب، لأن هناك من الأناجيل بعدد الإختلاف بين نصوصها. ولماذا لا يروقهم أن اقوم بالتصويب إعتماداً على المصادر اليونانية لتصويب الأجزاء التى أساء فهمها المترجمون الجهلاء، أو بدلوها بسوء نية، أو حتى قام بعض الأدعياء بتعديلها.
وإذا كان علينا دمج المخطوطات، فما يمنع أن نرجع ببساطة إلى الصول اليونانية ونبعد بذلك عن أخطاء الترجمات السيئة أو التعديلات غير الموفقة من جانب الذين تصوروا أنهم علماء، أو الإضافات التى أدخلها الكتبة النعسانين؟ إننى لا أتحدث هما عن العهد القديم والترجمة السبعينية باللغة اليونانية التى لم تصلنا إلا بعد ثلاث ترجمات متتالية من العبرية إلى اليونانية ثم إلى اللاتينية. ولا أود أن أبحث هنا ما الذي سيقوله أكويلا أو سيماك، أو لماذا آثر تيودوسيان إختيار

موقف الوسط بين المترجمين القدامى والحداث. لذلك سأعتمد على الترجمة التى يمكن أن يكون قد عرفها الحواريون.

وأتحدث الآن عن العهد الجديد، المكتوب بلا شك باللغة اليونانية فيما عدا إنجيل متّى الذي كان قد استعان أولاً بالعبرية لنشره فى منطقة اليهودية. إن هذا الإنجيل يختلف يقيناً عن الذي بلغتنا نظراً لتعدد المصادر التى إستعانوا بها لتكوينه. وقدآثرت أن أرجع إلى نص أساسى، فلا أود الإستعانة بترجمات المدعوان لوشيانوس أو هزيكيوس التى يدافع عنها البعض بضراوة عن غير وجه حق، واللذان لم يكن من حقهما مراجعة لا العهد القديم بعد ترجمة السبعين، ولا أن يقوما بمراجعة النصوص الجديدة. فالنصوص الإنجيلية التى وصلتنا بلغات شعوب مختلفة توضح مدى الأخطاء والإضافات التى بها. وإذا كنت قد قمت بذلك بالنسبة للنسخ المكتوبة بلغتنا فلا بد وأن أعترف بأننى لم أستفد منها شيئا.

وهذه المقدمة المتواضعة تقترح أن يكون ترتيب الأناجيل الإسمى على النحو التالى: متّى، مرقس، لوقا ويوحنا. وقد تمت مراجعتها من عدة مخطوطات يونانية قديمة. وهي لا تبعد كثيرا عن فحوى النسخ اللاتينية. فلم اقم إلا بتصويب الأجزاء التى بدت بعيدة عن المعنى الحقيقى وتركت الأجزاء الأخرى كما وصلتنا فى صياغتها البدائية ووضعت حرف (ب). أما الترجمات التى قام بها يوسبيوس من القيصرية، المقسمة إلى عشرة أجزاء، وفقاً لأمونيوس السكندرى، فقد ترجمتها إلى لغتنا إلتزاما بالمعنى اليونانى فحسب. وإن كان هناك أى فضولى يود معرفة الأجزاء المتماثلة أو المتفردة أو التى تختلف تماماً عن تقسيمة العشرة يمكنه معرفة ذلك. لأن الأخطاء قد تراكمت مع الوقت فى كتبنا، وهو ما يجعل إنجيل ما يتفاوت عن الآخر، وأشرت إليه بحرف (ح).

لقد وقعت أخطاء عند محاولة التوفيق بينها، لذلك ترى خلطا شديداً فى الترجمات اللاتينية. فأحد الكتبة قد قال أكثر وفى الآخر قد أضافوا إذا تصوروا أنه أقل. وأن مرقس فى أجزاء كثيرة يتقل عن لوقا ومتّى، وأن متّى ينقل عن يوحنا ومرقس. بينما كان كل إنجيل يحتفظ بما يخصه فحسب. فكل واحد منهم قد نقل عن الإنجيل الذي وقع فى يده. لذلك عند قراءة الكشف الذي أقترحه لن يكون هناك أى خلط وسيتم التعرف على المتشابه بينها وعلى ما يخص كل منها بعد أن إستبعدت الخلط والأخطاء.

ففى الكشف الأول يوجد توافق بين الأناجيل الأربعة متّى ومرقس ولوقل ويوحنا، وفى الثانى لا يوجد توافق إلا بين متّى ومرقس ولوقا، وفى الثالث بين متّى ولوقا ويوحنا، وفى الرابع بين متّى ومرقس ويوحنا، وفى الخامس بين متّى ولوقا، وفى السادس بين متّى ومرقس، وفى السابع بين متّى ويوحنا، وفى الثامن بين لوقا ومرقس، وفى التاسع بين لوقا ويوحنا، وفى العشر ستجد كل

ما هو خاص بكل إنجيل ولا يوجد فى الأناجيل الأخرى. وفى كل إنجيل على حدة هناك أجزاء متفاوتة الطول كلما إبتعدنا عن التوافق.

الرقم سيكون باللون الأسود، وسيتضمن رقماً آخر تحته باللأحمر، لكي يدل فى أى إنجيل يوجد ذلك الجزء المعنى. فعند فتح الكتاب ومحاولة معرفة أى فصل ينتمي لهذه الترجمة أو تلك فإن ذلك سيتضح فورا من الرقم الذي أضفته من أسفل. وعند الرجوع إلى بداية الطبعة التى توجد فيها القوائم معاً وبفضل إسم الترجمة المحدد فى بداية كل إنجيل يتم العثور على رقم كاتبه مع العناوين المختلفة لكل منهم. ويوجد بجوار هذا الأخير أسماء الفقرات المماثلة. وهكذا يمكن الإطلاع على الرقام الموجودة فى نفس الفصل. وما أم تتم معاينة هذه المعلومات يمكن التوصل إلى كل واحد مع مراعاة الرقام التى تم تحديدها يمكن معرفة الأجزاء المتشابهة او المتماثلة (ب). أرجو أن تكون بخير وألا تنسانى فى المسيح يا قداسة البابا.

فهل بعد هذا الإعتراف، وبمثل ذلك الوضوح الشديد بأنه تم التبديل والتعديل والتغيير فى النصوص والترجمات، هل يمكن لأي إنسان، أيا كان إنتماؤه، أن يدّعى أن هذه الأناجيل منزّلة من عند الله؟!

الكنيسة بكلها مزدانة بالعظام الآدمية

نتيجة الحرب على العراق:

هكذا ماتوا ...

وهكذا يولدون ...

البطريرك ثيوفيلوس

بردية من القرن الخامس تثبت هدم معبد السيرابيوم ومكتبة الإسكندرية
بأمر من البطريرك ثيوفيلس السكندري المتوفي 15 أكتوبر سنة 412
وقد زورت الكنيسة االقبطية والصقت هذه الجريمة بالقائد عمرو بن العاص

كشف بأهم المراجع

Asharia, S.: **The Christ conspiracy**, 1999
Badinger, F. **: Mohamet II le conquérant et son temps** (1432-1481), Paris, 1954
Bardy, G. **: Faux et fraude littéraire dans l'Antiquité Chrétienne,** Revue d'histoire ecclésiastique, Louvain, t.32,1936
Bennett, R. **: La Papauté**,
Boulanger, N.-A. **: Le christianisme dévoilé**, 1759
Braudel, F. : **La méditerranée et le monde méditerranéen**, 1990
Bushby, T.: **The Bible fraud**, 2001
" " : **The Criminal History of the Papacy**, 2006
Catholic Encyclopedia, 15 vol., 1976
Cohen, Sami **: La bombe atomique. La stratégie de L'épouvante**, 1995
Ehrman, B. **: Lost Christianities**, 2003
Faucillon, H. : **L'an Mil**, 1952
Folz, R. **: Le couronnement impérial de Charlemagne**, 1988
Funk, R. : **The Five Gospels**, 1993
Grimal, P. **: Rome**, 1962
Guibbon, E. **: History of the Decline and fall of the Roman Empire**
Heldé, L. **: Les Empereurs Romains**, 2001
Hunke, S. **: Le soleil d'Allah brille sur l'Occident**, 1963
Le Coz, R. : **Jean Damascène, écrits sur l'Islam**, 1992
Levillain, Ph. **: Dictionnaire Historique de la Papauté**, 1994
Lombard, Denys **: Le carrefour javanais, Essais d'histoire globale**.1990
Male, E. : **La fin du paganisme en Gaule**, 1950
Martinelli, F. : **L'Inquisition Espagnole**, 1987
Massé, D. : **L'Enigme de Jésus-Christ**, 3 vols, 1929
Massey, G. : **The Historical Jesus and the Mythical Christ**, **Separating fact from fiction**, 2000
Müntz, E. : **Les arts à la cour des papes pendant le XVe et le XVIe siècles**, 3 tomes, 1878-1882
Nelli, R. **: Les Cathares**, 1972
Peytrignet, R. **: La vie de Jésus démystifiée**, 2003
Piganiol, A. : **L'Empereur Constantin**, 1932

Précis de l'Histoire de l'Egypte, (Collectif), 3 vol., 1932
Riboni, R. **: La page noire du christianisme**, 2001
Sénac, Ph. **: L'Image de l'Autre**, 1983
Sismondi, S. de: **The Extermination of the Cathars**, 1826
Timmermans, G. : **La chasse aux sorcières**, 2003
Vaudet, Ch. **: Le procès du christianisme**, 1933
Wheless, J.: **Forgery in christianity**, 1925

الفهرس

المقدمة: **3**

الفصل الأول: بالسيف والنار **10**

* الآخر فى الحضارات الغربية 11
* التاريخ الدموى للكنيسة 17
* التاريخ الإجرامى للبابوية 29
* البابوات والإسلام 41

الفصل الثانى: التدمير المتعمد **50**

* مكتبة الإسكندرية القديمة 51
* الإقتلاع بالهدم والتدمير 61
* إبادة المخطوطات والنصوص..... 68

الفصل الثالث: الآلة الحربية **78**

* محاكم التفتيش 79
* قتل الساحرات 84
* الحروب الصليبية 87
* الحروب الدينية 95
* فرسان المعبد 104

الفصل الرابع: إقتلاع الآخر **107**

* القتل العرقى لسكان الأمريكتين 108

* الحقيقة الدامغة: كنيسة سدلتس 116
* نظام العبودية 119
* هيروشيما وناجازاكى 128
* أفغانستان، العراق، وما بعدهما 136

الفصل الخامس: طاحونة التزوير 143
* طاحونة التحريف الكنسية 144
* وثيقة "هبة قسطنطين" 148
* إبادة النصوص وبدعة تأليه يسوع 155
* وثيقة "فى زماننا هذا"..... 161
* هيستريا تنصير العالم 172

الخاتمة 181
الملاحق (نصوص وصور) 185
كشف المراجع 194
الفهرس 196